شعر الموسوسين
في العصر العباسي

د. عبدالمجيد الإسداوي




mohamed khatab

شعر الموسوسين
في العصر العباسي

دراسة نصية وصفية تحليلية

د. عبدالمجيد الإسداوي



رئيس التحرير

د. عثمان بن محمود الصيني

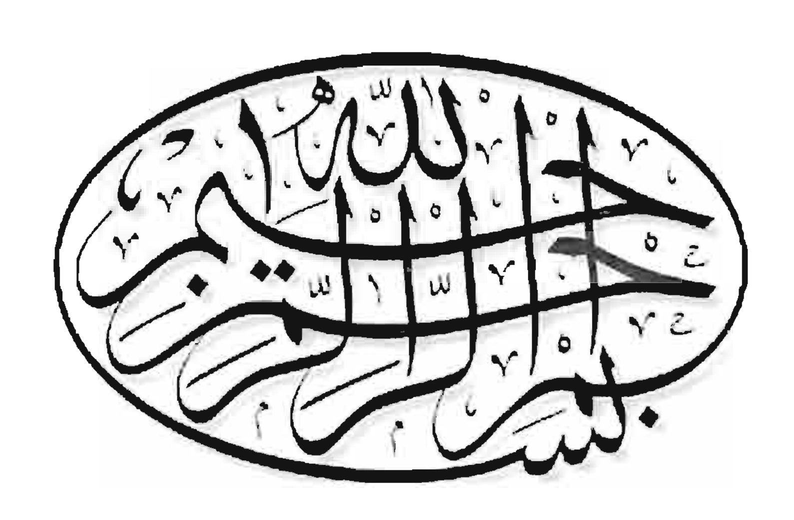
الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي

هاتف: 4778990 - 4779792 فاكس: 4766464

ص.ب 5973 الرياض 11432

المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com - info@arabicmagazine.com


بسم الله الرحمن الرحيم

ح المجلة العربية، 1434هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأسداوي، عبدالمجيد

شعر الموسوسين في العصر العباسي: دراسة نصية وصفية تحليلية. / عبدالمجيد الأسداوي- الرياض، 1434هـ

272 ص، 14x21 سم

(كتاب المجلة العربية: 198)

ردمك: 978-603-8086-97-1

1 - الشعر العربي - العصر العباسي 2 - الموسوسة أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي 811.5 4643/ 1434

رقم الايداع: 4643/ 1434

ردمك: 978-603-8086-97-1

المحتوى

المحتويات

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس»

(سورة الناس)

وبعد:

فموضوع هذا البحث هو (شعر الموسوسين في العصر العباسي دراسة نصية وصفية تحليلية) تدلف إلى النصوص الشعرية، موضع الدرس مباشرة، تستنطقها، وتحاول ترويضها، واسترفاد معالم فنيتها، من خلال التواصل مع عطاءاتها الممتدة، عبر الزمان والمكان، دون التعريج، إلا نادراً، على المرويات، والأخبار التاريخية، وما يتصل بها، مما نقلته المصادر والمراجع المعنية في تأريخها، وكشفها النقاب عن جوانب من حيوات هؤلاء الشعراء وإشاراتها إلى أشعارهم، وبعض قضاياها وخصائصها الفنية.

ويسلك الباحث، في هذا البحث قواعد (المنهج الوصفي التحليلي)، الذي يدرس الظاهرة الأدبية من نواحيها المختلفة، مع الاستفادة ما أمكن، من بعض نتائج (المنهج النفسي)، الذي يربط بين الأديب من جهة، وبين حاجاته، ودوافعه، وسلوكه، من جهة أخرى.. وقد دفعتني طبيعة البحث إلى تقسيمه لقسمين رئيسين متكاملين، أولهما: يعنى بدراسة مضامين شعر هؤلاء الشعراء، والآخر يختص بدراسة تشكيله الجمالي.

وقد صدرت القسم الأول، من هذين القسمين بوقفة متأنية مع (الوسوسة)،

وأخرى مع الشعراء الموسوسين في العصر العباسي.. وحاولت في الأول استيضاح معالم الطريق للبحث، بسبر أغوار معنى (الوسوسة) في اللغة، والاصطلاح، من خلال استقراء ما تيسر لي من المصادر والمراجع المعنية القديمة والمعاصرة..

وأشرت في الوقفة الثانية إلى خلاصة الأخبار، والمرويات التي تناقلتها كتب التاريخ والأدب، ونحوها، عن حيوات هؤلاء الشعراء، وبخاصة فيما يتصل بإصابتهم بالوسوسة، أو نسبتهم إليها.. وفي دراستي مضامين شعرهم قسمته ثلاثة أقسام متكاملة ومتداخلة، بدأتها (بالبوح الذاتي) الذي قصدت به صدى أحاديث الشعراء عن أنفسهم، في تأملاتهم، وتعمقهم بذواتهم، وكشفهم النقاب عما قد يختلج بها من أحاسيس ومشاعر متباينة، تواكب مواقفهم الإنسانية والأدبية التي عايشوها..

وبعد هذا القسم من مضامين شعرهم درست شعرهم الاجتماعي، وشعر الطبيعة، محاولاً الإجابة عن سؤال راودني كثيراً عن مدى تأثرهم، في مضامين شعرهم بما أصيبوا به، أو نسبوا اله من علة، أو مرض..

وفي دراستي تشكيلهم الجمالي في شعرهم وقفت قليلاً عند وحدات النصوص الشعرية في أشعارهم، منتقلاً منها إلى دراسة موسيقاها، من خلال ما أسميته (الإيقاعية)، وقد تفرعت، في هذا البحث، إلى دراسة أوزانهم، وقوافيهم، وما واكبهما، وما نتج عنهما من روافد الموسيقى الداخلية المعروفة في دراسات القدماء والمعاصرين.. مختتماً بالوقوف عند بناء لغة شعرهم وصوره الفنية، مذيلاً بقائمة المصادر، والمراجع، التي استفدت منها في إعداد هذا البحث.

والله الموفق والمستعان..

الفصل الأول

الوسوسة في الفكر القديم والمعاصر

الوسوسة (بوزن: الفعللة)، والوسواس، والوسواس (بوزني: الفعلال، والفعلال، وبفتح الواو الأولى، وكسرها، مع فتح الواو الأخرى، وتسكين السين فيهما): مصدر رباعي من الفعل اللازم: (وسوس: يوسوس).. وتجمع على (الوساوس) بوزن: (فعالل)، و(الوساويس)؛ بوزن (فعاليل) ويشتق منها اسما الفاعل: (الموسوس)، والمفعول: (الموسوس) له، أو إليه، وهو الذي تلقى إليه الوسوسة[1]

وقد جاءت كلمة (الوسواس) بمعنى صوت الحلي، والهمس، والإلقاء الخفي على لسان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس، ت 7هـ)[2]:

---

(1) ينظر بالتفصيل:
تفسير مجاهد، 2/ 797، وديوان الأدب، 671، والصحاح (وسوس)، 3/ 988، وتلخيص البيان، 366 – 367، ولطائف الإشارات، 3/ 787، والمفردات، 522، والكشاف، 4/ 823، والجامع لأحكام القرآن، 30/233 –236، ولباب التأويل، 7/ 325، والبحر المحيط، 10/ 578 – 579، ومعالم التنزيل، 7/ 325، والتفسير القيم، 600– 601، والتفسير الكبير، 4/ 593، 32/197، والقاموس المحيط، (وسوس)، 748، ولسان العرب، (وسوس)، 15/ 293، والدر المنثور، 8/ 693، والميزان، 20/ 397، والمعجم الوسيط، (وسوس)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم 2/ 1179، والمعجم الأساسي، (لا روس)، (وسوس)، 1309، ومعجم السمع والمسموعات، 102.. وفي (الجامع): نقل القرطبي قول الفراء (أبي زكريا يحي بن زياد الديلمي، ت 207ه): (وهو بفتح الواو (الوسواس) بمعنى الاسم؛ أي (الموسوس)، وبكسر الواو (الوسواس) بمعنى المصدر: (الوسوسة).. وفي (الكشاف) قال الزمخشري: (الوسواس: اسم بمعنى (الوسوسة)، وأما المصدر فوسواس، بالكسر كالزلزال، والمراد به الشيطان؛ سمي بالمصدر، كأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته، وشغله، الذي هو عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس). . وفي (معالم التنزيل) قال البغوي: (الوسواس: الشيطان مصدراً واسماً.. وقال الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري النحوي، ت 311ه): الشيطان ذو الوساوس).. وفي كتاب (الوسوسة الأسباب والآثار والعلاج، ص7–8، قال مؤلفه: (وسوس إذا تكلم بكلام لم يبينه، والوسوسة: حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان، وقيل: هي القول الخفي لقصد الإضلال من (وسوس) إليه، و(وسوس) له؛ أي: فعل الوسوسة؛ لأجله، وقيل: (الوسوسة) من جنس (الوشوشة)، يقال: فلان يوشوش فلاناً، وقد (وشوشه): إذا حدثه سراً في أذنه، وكذلك (الوسوسة) التي يلقيها الشيطان في أذن من يوسوس له، وهي مبادئ الإرادة، وأصل كل معصية، وبلاء، إنما هو (الوسوسة)..)

(2) ديوان الأعشى، 91.. والعشرق: شجر كثير الثمر، ثمرة كحب الزبيب، طيب المذاق، والرائحة، كانت العرائس تستعملنه، إذا حركته الريح سمع له صوت.

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل

كما ورد فعلها الماضي (وسوس) في القرآنٌ الكريم مرتين، إحداهما ترتبط بالشيطان الرجيم ذي الوساوس، وقد أضمر سوءاً لآدم وحواء..

والأخرى: ترتبط به (لعنة الله) أيضاً، ولكن مع تخصيص وسوسته لآدم فقط.

أما فعلها المضارع (يوسوس) فقد جاء، في الذكر الحكيم، مرتبطاً بحديث النفس، والهوى والأفكار والهواجس التي تراودها..

كما جاء الفعل نفسه (يوسوس)؛ أي: يلقي كلاماً خفياً عن طريق الشيطان الخناس[1]، أو الإنسان والجان الشبيهين به، في أقصى أذن السامع، فيلفتانه عن الرشاد، ويصرفانه إلى الضلال.. وذلك مما نلحظه عند قراءتنا آيات سورة (الناس).

وفي الوقت نفسه يطالعنا جلال الدين السيوطي (ت911هـ) بدعاء ورد على لسان المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيه: (اللهم اعمر قلبي من وسواس ذكرك، واطرد عني وسواس الشيطان..)[2]

والظاهر من فحوى هذا الدعاء أن الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) قد قصد بوسواس الذكر مجيئه خفي الصوت، مهموساً، يصل مفهومه إلى القلب، من غير سماع صوت.. أما وسواس الشيطان فلعله حديثه بالشر، والإثم، وما لا نفع فيه، ولا خير..

---

(1) سورة الأعراف، الآية: (20).

(2) سورة (طه)، الآية: (120).

ويرتبط بالمعنى الذي قصده النبي الكريم في صدر دعائه ما أشار إليه رؤبة بن العجاج التميمي (ت145هـ)، بقوله، يصف جانباً من أحوال أحد الصائدين، في لجوئه إلى الله (تعالى) يدعوه؛ ضارعاً إليه بصوت خفي، يسر به، خشية افتضاح أمره، وضياع ما يؤمله من عمله[1]:

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق

سراً وقد أون تأوين العقق

واتجه بعض العرب إلى عقد شبه ملازمة معنوية بين كل من (الوسوسة)، وبين ما يلاحظ من اختلاط الكلام، والدهشة التي تنتاب بعضهم، في بعض المواقف الحرجة المفاجئة.. ومن ذلك ما نستنبطه من قول عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (ت35هـ): (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسوس ناس، وكنت فيمن وسوس)[2].

أما الفضل بن العباس اللهبي (أحد شعراء القرن الأول الهجري) فقد مال إلى تضمين (الوسواس) معنى الحيل الباطلة، والأكاذيب والضلالات المغوية، وذلك ما نلحظه في إنشادنا خطابه الشعري، الذي توجه به إلى أحد خصومه قائلاً[3]:

---

(1) سورة (ق)، الآية: (16).

(2) وقد نظم الشيخ عبدالعزيز الديريني (ت 694هـ) هذا المعنى، وما يتصل به، بقوله:

وصاحب الوسواس من يوسوس — من الشيطان وطوراً يخنس

خنوسه تأخر الوسواس — بالذكر وهو غالب للناس

ثم الشياطين من الجنسين — جن وإنس فاحذر الصنفين

(التيسير في علوم القرآن، 161)...

(3) الدر المنثور، 8/ 693 – 694.

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس

فاذهب فليس لداء الجهل من آسي

وذهب غيره من اللاحقين إلى عقد مماثلة معنوية بين كل من (الوسوسة)، من جهة، وبين بعض العلل النفسية والأمراض العقلية، التي يختلط فيها الذهن، ويزول تركيز العقل، أو يضطرب، من جهة أخرى.. ومن هؤلاء ابن الرومي (علي بن العباس، ت 284هـ) الذي يطالعنا ببيتين هجا بهما عبدالله الناشئ الأكبر (ت 293هـ) يقول فيهما[1]:

يرجف القرد بأني

زائل العقل موسوس

إن أوسوس فحقيق

بسعد القرد وأنحس!!

أما محيي الدين ابن عربي (ت 638هـ) فقد راح يضيف (الوساويس) إلى (الظنون)، بكل ما تحمله هذه الإضافة من دلالات، قائلاً[2]:

دع الظن واعلم أن للظن آفة

وقوفك حيث الظن والظن متهم

فشرد وساويس الظنون بلمحة

من الكوكب العلمي إن كنت تحترم

وتقدم بركات بن زين الدين المكي خطوة أخرى في الوقوف على معاني

---

(1) ديوان رؤبه، 107.

(2) المعجم الوسيط، (وسوس).

(الوسوسة)؛ وذلك بتضمينها معنى ذهاب العقل واستلابه، وفقدان الذهن، بكل ما يصاحبه من شرود، وذهول، مخاطباً بعض أحبته، وخلانه بقوله[1]:

يا من بذكراهم قد زاد وسواسي

ومن شغلت بهم عن سائر الناس

ومن تقرر في قلبي محبتهم

وجئتهم طائعاً أسعى على راسي

وفي الاتجاه نفسه، تقريباً، راح برهان الدين القيراطي يربط بين كل من (الوسوسة)، وبين المبالغة والإغراق في التشكك، والاستسلام لسلطان الهواجس، عند النظر إلى الأمور، بقوله، يصف أحد الموسوسين، وقد غلبت عليه الوسوسة؛ فنهض للوضوء، والطهارة وكله دأب على معاودة عمله، مستقلاً كميات المياه المتاحة له، ومستصغراً ما تكتنزه البحار من مياه[2]:

وموسوس عند الطهارة لم يزل

أبداً على الماء الكثير مواظبا

يستصغر البحر الكبير لذقنه

ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

ونلاحظ، في تأملنا بهذه النصوص الأربعة الأخيرة ونحوها ميل أصحابها إلى عد (الوسوسة) مرضاً نفسياً، أو عقلياً، يصيب المرء، فيجعله فاقد التوازن، والإدراك، والوعي؛ بسبب ما ينتابه من هواجس، وظنون تأخذه،

---

(1) ديوان الفضل اللهبي، 29.

(2) ديوان ابن الرومي، 3/ 1196- 1197.

أخذاً فتلقي به إلى دركات التشكل، وانعدام الرؤية الصحيحة للأشياء.

أما أسباب الوسوسة، فإننا نقف على جوانب منها بمطالعة الحديث الشريف، الذي رواه عبدالله بن مغفل المزني (رضي الله عنه) (ت 60هـ) (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم) محذراً بقوله: (لا يبولن أحدكم في مستحمه، ثم يغتسل فيه).. قال أحمد (ت 241هـ): (ثم يتوضأ فيه؛ فإن عامة الوسواس منه)[1].

وإضافة إلى هذا العامل – يطالعنا الإمام موسى الكاظم (رضي الله عنه) (ت 183هـ) بتحديد أربعة أشياء تؤدي إلى الوسوسة، أو تواكبها، وهي: أكل الطين، وفت الطين، وتقليم الأظفار، وأكل اللحية[2]..

أما الإمام عبدالوهاب الشعراني (ت 973هـ) فيرى أن أصل الوسوسة من ظلمة الباطن، وأصل ظلمة الباطن من عدم الورع في اللقمة؛ فمن تورع في اللقمة ضمنت زوال الوسواس[3].

وفي الوقت نفسه قسم أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) أصناف الوسوسة ثلاثة أصناف، أولها ما يكون من جهة التلبيس بالحق، وثانيها ما يكون وسواسه بتحريك الشهوة، وهيجانها، والآخر ما يكون وسوسة بمجرد الخواطر، وتذكر الأحوال الغالبة والتفكر في غير الصلاة مثلاً[4]..

وكشف موفق الدين الجماعيلي (ت 620هـ) النقاب عن بعض أحوال

---

(1) ديوان محي الدين ابن عربي، 442.

(2) نسمة السحر، 433/2.

(3) خزانة الأدب للحموي، 2/ 334، والكشكول، 474.

(4) المسند، 6/ 45، الحديث رقم (20046)، وسنن أبي داود، كتاب (الطهارة)، 7/1، الحديث رقم (27)، وسنن ابن ماجة، الحديث رقم (304)، وسنن النسائي، بشرح السيوطي، 34/1..

طوائف من الموسوسين، الذين (تحققت منهم طاعة الشيطان، حتى اتصفوا بوسوسته، ونسبوا إلى قبول قوله، وطاعته، وخاصة فيما لا غنى عنه في الوضوء، ومواكلة الصبيان، وأكل طعام عامة المسلمين، ونحو ذلك، متقبلين قول إبليس في تعذيب أنفسهم، مطيعين في الإضرار بأنفسهم، بأجسادهم، بالغوص في الماء البارد، تارة، وتارة أخرى بكثرة استعماله، وإطالة العرك، مبالغة، وربما فتح بعضهم أعينهم في الماء وغسلوا داخلها، حتى يضروا أبصارهم، وربما أفضى بعضهم إلى كشف عوراتهم للناس، وربما صار بعضهم إلى أحوال يسخر منهم الصبيان، ويستهزئ به من يراهم فيها.. ومنهم من يتوسوس في إخراج الحروف حتى يكرر الحرف الواحد مرتين، أو ثلاثاً[1]).

ومن جهة أخرى نلحظ –عند مطالعتنا جوانب من تناول بعض القدماء للوسوسة، والموسوسين– مدى حرصهم على الخلط بين كل من الجنون والوسوسة، وما يتعلق بهما، ومن أوائل الذين ربطوا بين أصحاب هذين الفريقين، من المرضى: أبو عثمان الجاحظ (ت255هـ)، الذي أفرد جانباً من أحد كتبه للحديث عن (المجانين، والموسوسين، والنوكي)[2]..

(1) بلاغة الإمام موسي الكاظم، 274، 287.

(2) لطائف المنن، 554.

وفي حديثه عن أبي حية النميري (ت 183هـ) قال إنه (كان أجن من جعيفران (الموسوس، ت230هـ)[1].

وواكبه أبو العباس المبرد (ت284هـ) الذي نقل عن الأصمعي (ت 216هـ) وصفه لقيس بن معاذ المعروف بالمجنون (ت68هـ) بقوله: «لم يكن مجنوناً، وإنما كانت به لوثة كلوثة أبي حية»[2].

وفي ترجمته لأبي حيان الموسوس ينقل ابن المعتز (ت296هـ) عن طاهر بن محمد الأهوازي قوله: «رأيت أبا حيان الموسوس.. وكان موسوساً، آخر عمره، وكان يخلط في الكلام..»[3].

وعقد أبو الطيب الوشاء (ت 325هـ) باباً في كتابه (الفاضل) جعل عنوانه: (باب البلاغة من المجانين ومأثور حكم الموسوسين)[4]، ونقل، في إحدى صفحاته، عن بعض الأدباء قوله لقديس الذي يصفه بقوله: «كان ذاهب العقل موسوساً»[5].. وفي وصفه لصباح الموسوس يطالعنا بسؤال يقول فيه: «من يجئ بقينة بين يدي مجنون موسوس»[6]؟!..

ومواكبة لهذا وذاك يطالعنا ابن عبد ربه (ت 328هـ) بحديث عن (شعر المجانين)[7] نتأمل في أسماء المشار إليهم فيه؛ فنلاحظ ميله إلى الجمع بين أصحاب هذين الفريقين من المرضى وهم المجانين والموسوسون..

---

(1) إحياء علوم الدين، 8/ 78 79.
(2) ذم الموسوسين، 3336.
(3) البيان والتبيين، 225/2، وما بعدها..
(4) البيان والتبيين، 2/ 229.. وينظر أيضاً: العقد الفريد، 7/ 157، والمذاكرة في ألقاب الشعراء، 252- 253.
(5) الكامل، 1/ 254، ومصارع العشاق، 13/2، والمذاكرة، 252 - 253..
(6) طبقات الشعراء، 384- 385 .
(7) الفاضل في صفة الأدب الكامل، 252- 259.

أما أبو القاسم ابن حبيب النيسابوري (ت 406هـ) فقد عقد كتاباً من كتبه، جعل عنوانه (عقلاء المجانين)، مستهلاً إياه بتعريف (المجنون) عند الناس، وعنـد أهل الحقائق، وعند أهل اللغة[1]، مضمناً إياه تراجم متواترة لكل من نسبـوا إلى كل مـن الجنـون، والوسوسة.. وفي مقدمتهـم جعيفران وماني الموسـوسـان[2].. إضافة إلى كل من جساس وصبـاح، وعفان وقديس[3].. وغيرهم ممن شهـروا بالوسوسة.. مسجلاً، في تراجمـه لهم، ما يدل على وصف كل منهم بهذه الصفة.

ومثـل ذلك ما سلكه كل من صلاح الدين الصفدي (ت764هـ)[4] وابن شاكر الكتبي (ت764هـ)[5]، في حديثهما عن بهلول بن عمرو (ت190هـ)؛ بقولهما: «.. ابن عمرو المجنون من أهل الكوفة، وكان من عقلاء المجانين، ووسوس..».

أما ابن تغري بردي (ت 874هـ)، فقد نقل مضمون هذه المقولة الأخيرة، بشـأن بهلول نفسه قائلاً: «تشوش عقله، فكان يصحو في وقت، ويختلط في آخر، وهو معدود من عقلاء المجانين»[6]..

أمـا في الفكـر العلمي الحديـث والمعاصر[7] فـإن علماء الطـب النفسي يطلقـون على هذا المرض (الوسوسة) اسم (العصاب الوسواسي القهري)،

---

(1) الفاضل، 253..
(2) الفاضل، 257.
(3) العقد الفريد، 157/7، وما بعدها..
(4) عقلاء المجانين، 18، 22، 30 – 31، 42 – 43.. وغيرها..
(5) عقلاء المجانين، 152 – 155، 121 – 125..
(6) عقلاء المجانين، 158، 144، 147، 118 – 119.. وغيرها..
(7) الوافي بالوفيات، 10/ 309– 313..

أو (عصاب الحصار)، قاصدين بهما تلك الفكرة، أو الأفكار، أو العواطف الشـاذة المتسلطة المفروضة، جبراً، على المريض، تلازمه، وتعاوده، دون أن يستطيع طردها، أو التخلص منها، على الرغم من شعوره بها، وإدراكه مدى غرابتها، وعدم واقعيتها[1]..

وتسمى الشخصية التي لديها هذا الاستعداد للمرض (الشخصية الوسواسية القهرية)، ومن أهم سماتها: الشك، والتردد، والجمود، والتزمت، والاستحواذ، والبخل، وانعدام الثقة في الآخرين، والدقة والحذر في المناقشات الموصوفة بـ(السوفسطائية)، والموسوعية، والتمركز على الذات، وصعوبة التكيف، أو التوافق مع من حوله.. إضافة إلى التحلي، أحياناً، ببعض مظاهر الفضيلة، والتشكك بالطقوس، والتظاهر بالكمال، مع مزيد من القلق، والتوتر[2]..

وتقوم الوساوس المرضية بشل حركات الفرد المصاب بالوسوسة، مجبرة إياه على الفعل، أي فعل، بطريقة من شأنها أن تقلل من مفعولها، قدر الإمكان[3]

وتظهر الوساوس، عادة، في صورة أفكار مشحونة بقوة انفعالات؛ لذا فإنه يوجد ما يسمى بالوساوس العقلية كالمشغولية الذهنية على الدوام،

---

(1) فوات الوفيات، 1/ 228- 231..

(2) النجوم الزاهرة، 2/ 141..

(3) ينظر بالتفصيل: ذخيرة علوم النفس، 970- 971، وموسوعة علم النفس والتحليل النفسي: د. فرج عبدالقادر طه وزملائه، 845- 846، وموسوعة علم النفس والتحليل النفسي: د. عبدالمنعم حفني، 2/45.. والمعجم الموسوعي في علم النفس، 6/ 2745، 2746، والطب النفسي المعاصر، 137140، والصحة النفسية والعلاج النفسي، 433، ومبادئ الصحة النفسية، 432 - 436، ومصادرها..

بمسألــة فيزيقيــة، إضافــة إلى الوساوس الكافــة، أو الكابحــة، المركبة مثلاً من الشكوك والحـيرة، أو الارتياب، والمخـاوف، وتتبع ذلك الصنف من الوساوس المخاوف، والألم المستحدث، والتسمم..

أما الوساوس الاندفاعية، فتقترن لدى صاحبها، بترضية مرضانية أو وبيلة بالفعـل، مركبة مما يسمى (التهوسات) مثل هوسـس العد، وهوس الشراب، وجنون السرقة، وهوس ترديد اسم معين.

وقـد تظهر الوساوس بصورة مشاعر من غير أيـة أفكار قاطعة، كالقلق، ومشاعر عدم الكفاءة، وانعدام الشخصية[1].

ويؤدي العامل الوراثـي دوراً هاماً في نشأة الوسواس القهري، متداخلاً مـع العامل البيئي، الـذي يحيط بالفرد، فيسبب له تلـك المشاعر المرضية، والهواجس القهرية[2]..

وقـد يحدث الوسواس القهري على حين غرة، ودون أن يكون للامتثال الـذي يفرض نفســه على الفكر أية علاقـة بالوضع، أو بشــيء من الأشياء الحاضـرة، هذا العنصـر الطفيلي، الـذي لا يقاوم، يمكنـه أن يكون فكرة، عبثـاً، أو شكاً، أو هاجساً (وساوس عقلية أو فكرية) أو رغبة في إنجاز فعل مضحـك، عدواني، أو مدنس: (وساوس اندفاعيــة/ اندفاعات)، أو خوفا من عمل، أو وضع، أو شيء حاضرين بصورة غير مادية (وساوس كافة)[3]..

---

(1) مبادئ الصحة النفسية، 432433.

(2) الطب النفسي المعاصر، 139- 140.

(3) ذخيرة علوم النفس، 971.

وينتاب المريض الذي يعاني من الوسواس، عادة، عدد من أفكار الوسواس من الجراثيم، والقذارة، والعدوان، تجاه الآخرين.. وقد تأخذ هذه الأفكار صورة الأفكار المجردة التي تتضمن، غالباً، الموضوعات ذات البعد الفلسفي، أو الديني، وغالباً ما نلحظ أفكار وسواس من أفعال عنف نحو الآخرين، أو نحو الذات، حيث يعاني المريض بوسواس الخوف من أخطار يتهيأ له حدوثها بين لحظة، وأخرى[1]، إضافة إلى شعوره المتزايد بالألم، الذي ينهك قواه، ويستنفذ جوانب من طاقاته الإبداعية[2].

وقد أجمل الباحثون[3] أعراض العصاب القهري، أو الحصاري في اتسام شخصيته بالمبالغة في النظافة، والنظام، وحيوية الضمير، والحذلقة، وعدم التأكد، وعدم وجود رأي قاطع في الفكر، والعمل، والاهتمام بتجميع الأشياء، والتناقص الوجداني، والشك، والاعتماد الانفعالي الخفي على الغير، والشعور بعدم الكفاية، والأحكام الذاتية الفظة، والمثالية، والتصنع، والكف الانفعالي، من حيث الإدراك والاستجابة، والاهتمام التام بالجزئيات، وشدة الارتباب، والحيرة البالغة، والشح، والتشاؤم، والمماطلة، والشعور الذاتي الحساس، والخجل، والعناد، وعدم القدرة على اتخاذ قرار، والخوف من التغير، وتجنب المواقف الجديدة غير المألوفة.. ونحوها.

ونلاحظ -في تأملنا بدلالات الصفحات الأخيرة السابقة- مدى

(1) الطب النفسي المعاصر، 138.
(2) المعجم الموسوعي في علم النفس، 6/ 2745..
(3) الطب النفسي، 225 - 226.

انسجامها مع مثيلاتها، مما أوردناه، في صدر هذه الدراسة، بصدر تعريف (الوسوسة) في الفكر العربي القديم، إضافة إلى ما تزعت إليه روح البحث العلمي الحديث، والمعاصر من تفصيل، وربط الجانبين النظري بالتطبيقي؛ مما يعد -في نظري- مكملاً لما أصله القدماء من غرس، وصالحا لدراسة صفحات من شعرنا العربي القديم في ضوء نتائجه..

الفصل الثاني

مع الشعراء الموسوسين في العصر العباسي

عرف العصر العباسي عدداً غير قليل من الشعراء الموصوفين، أو المنسوبين إلى (الوسوسـة)، مفردة، أو مجتمعة مع الجنون، وهم الشعراء الذين أشارت بعض المصادر والمراجع إلى جوانب شتى من أخبارهم، التي تؤكد جانباً ما، من إصابتهم بالوسوسة.. وممن تيسرت لي الإشارات إلى جوانب من سيرهم (حسب الترتيب الهجائي):

أحمد بن عبدالسلام:

وهو شاعر عباسي لم تتيسر لي ترجمته، غير ما رواه ابن المعتز، بسنده، عن محمد بن عبدالله الطرطوسي من أنه رأى أحمد بن عبدالسلام (هذا)، وماله ثان بمدينة السلام/ بغداد، في قول الشعر، ولم يكن له فيه أمل، وما زال فقيراً إلى أن مات، ووسوس في آخر عمره؛ فرآه والصبيان يصيحون به: يا كاتب الشريطي؛ فيخرق ثيابه، ويحلف ألا يخرج من داره[1]..

برذعة الموسوس:

شاعـر عباسي لم تتيسـر لي معرفة اسمـه ونسبه، ولا جوانـب من سيرته وشعره، عدا ما ذكـره أبو عبيد الله البكري (ت487هـ)، بسنده، عن محمد بن أحمد بن أبي الأزهر (ت 325هـ) قوله: مررت على (برذعة) الموسوس، وقد أدخل رأسه في جيبه، وهو يخضخض؛ فضربته برجلي، فانكشف[2]..

(1) المعجم الموسوعي، 6/ 2745..

(2) مبادئ الصحة النفسية، 435436..

بكار المجنون:

شاعر لم تتيسر لي سيرته، وسلكه ابن حبيب النيسابوري في (عقلاء المجانين)[1] وروى، بسنده، عن أبي يعقوب السوسي، قوله: رأيت ببلد مجنوناً، يقال له (بكار المجنون)، يضع على سوأته خرقة، وبيده قصبة، على رأسها كالعلم، وهو يعدو، ويقول: كفى حزناً..

أبو بكر الموسوس:

شاعر عباسي، لم تتيسر لي ترجمته غير ما ذكره أبو منصور الثعالبي (ت429هـ) عنه، من كونه أحد شعراء القرن الرابع الهجري البصريين، يعرف بسيبويه، ويشبه بأبي العيناء (محمد بن القاسم، ت 282هـ)، في حضور جوابه، وبيان خطابه، وحسن عبادته، وكثرة درايته[2]..

بهلول بن عمرو:

أبو وهيب الصيرفي الكوفي (ت نحو 190هـ): كان من عقلاء المجانين، وحدث عن عمرو بن دينار، وعاصم بن بهدلة، وابن أبي النجود، وأيمن بن نابل، وعاصر هارون الرشيد (ت 193هـ)، ووعظه، وكان معروفاً بالتشيع لآل البيت النبوي الشريف، وكان في منشئه، من المتأدبين، ثم وسوس؛

---

(1) طبقات الشعر، 406.. وينظر أيضاً: ديوان المصابين، 5 – 6.. وقد أورد له ابن المعتز مقطوعة شعرية من سبعة أبيات، أثبتها في (ديوان المصابين)..

(2) سمط اللآلي، 2/ 671، وديوان المصابين، 8 – 9.. وقد أثبت له البكري مقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات، وضعتها في مكانها من (ديوان المصابين)..

فعرف بالمجنون[1] وقد سلكه الجاحظ ضمن مجانين الكوفة[2].

وروى عنه قوله: «رأيت بهلولاً المجنون بجامع الكوفة يبكي..»[3]

وروى ابن عبد ربه، بسنده، عن إبراهيم الشيباني قوله: «مررت ببهلول المجنون، وهو يأكل خبيصاً، فقلت: أطعمني!!..

فقال: هو ليس لي، إنما هو لعاتكة بنت الخليفة، بعثته إلي؛ لآكله لها..»[4]

وفي حديثه عن بهلول – نقل النيسابوري أخباراً عدة، تكشف النقاب عن جوانب من إصابته بهذه العلة، وما يتصل بها، ومنها ما نقله عن علي بن ربيعة الكندي قوله: «خرج الرشيد إلى الحج، فلما كان بظاهر الكوفة، إذ مر بهلول المجنون على قصبة، وخلفه الصبيان، وهو يعدو، فقال –من هذا؟

قال: بهلول المجنون...».

ونقل عن الحسن بن سهل (ت 236هـ) قوله: «سمعت بهلولاً؛ وقد رماه الصبيان بالحصى، وقد أدمته حصاة» – وروى عن علي بن الحسين قوله: «لما مات أبو بهلول، خلف ستمائة درهم؛ فأخذها القاضي، وحجر عليها، فأتاه بهلول، فقال: أصلح الله القاضي، أو تزعم أني مصاب في عقلي؟!..»[5]..

---

(1) عقلاء المجانين، 146.. وينظر أيضاً: ديوان المصابين، 12–13. وقد أورد له النيسابوري نتفة شعرية من بيتين، وبيتاً يتيماً، أثبتهما في موضعهما من (ديوان المصابين).

(2) وينظر يتيمة الدهر، 1/ 522. وينظر أيضاً: العقد الفريد، 7/ 166، ومعجم الشعراء العباسيين، 544، وديوان المصابين، 14– 17.. وقد أورد له ابن عبد ربه، والثعالبي نتفتين شعريتين، كل منها من بيتين اثنين، إضافة إلى مقطوعة من ثلاثة أبيات أثبتها –جميعاً– في موضعها من (ديوان المصابين).

(3) البيان والتبيين، 2/ 230– 231، والعقد الفريد، 4/ 144، ومحاضرات الأبيات، 4/720، وعقلاء المجانين، 100 –104، وغرر الخصائص 127128، والتذكرة الحمدونية، 1/487، والمنتخب والمختار، 563، وأنس المسجون، 113–114، والوافي بالوفيات، 13/ 281، 283، وفوات الوفيات، 1/ 228– 231، ونزهة الجليس، 1/ 576– 579، ودائرة المعارف الإسلامية، (بهلول المجنون)، والأعلام 2/77، ومعجم الشعراء العباسيين، 83، وديوان المصابين 18/ 64.. ومصادرها.. وقد ورد له بالمصادر السابقة، وغيرها (28) نصاً شعرياً أثبتها له، ووثقتها، في موضعها من (ديوان المصابين).. كما عثرت له على نصين آخرين، مما أنشده بكتاب (أنس المسجون وراحة المحزون)..

(4) البيان والتبيين، 2/ 230 – 231 .

(5) أنس المسجون وراحة المحزون، 113–114.

جساس الأعرابي:

شاعر لم تتيسر لي ترجمته غير ما رواه عم الأصمعي، بقوله: «قلت لجساس الموسوس: مالك لا تنام دهرك؟!

فقال: النوم لا تبعة علي فيه، وفي مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات!!

قلت: وأي تبعة عليك في مجالستي؟

فقال: أشتغل بك عمن أنشأني»[1]..

وروى الأصمعي، عن عمه، قال: «دخلت بعض أحياء العرب، فرأيت شيخاً موسوساً يهذي، وقد اجتمع إليه الناس، فقلت: من هذا؟!

قالوا: جساس الموسوس، لا يزال ينام ليله ونهاره، وربما ينتبه، فزعاً مرعوباً، فيجلس ساعة، ثم يصبح ويهيم على وجهه، ثم يعود إلى نومه..»[2].

جعيفران الموسوس (ت 230هـ):

أبو الفضل جعفر بن علي بن السري (وقيل: ابن أصغر بن السري) بن عبدالرحمن الأنباري السامرائي، ولد ببغداد، ونشأ بها، وكان أبوه من جند خراسان، معدوداً من أهل الفضل، والأدب، ثم انتقل إلى الكوفة، ظريفاً، حلو الشعر، يتشيع لأهل البيت النبوي الكريم، ويكثر من لقاء الإمام علي بن موسي بن جعفر،/ الرضا (رضي الله عنه) (ت203)، وهو الذي أشار عليه بوجوب مراعاة جانب الحزم والشدة مع ابنه جعفر/ جعيفران،

---

(1) العقد الفريد، 7/ 144.

(2) عقلاء المجانين، 100، 102، 103، 104.

الـذي نسب إليه أبـوه اختلافه إلى إحـدى سراريه؛ فأوصـاه الإمام الرضا بطرده، عن داره، وإخراجه من ميراثه، بعد موته.

وحاول جعفر/ جعيفران، جاهـداً، تبرئة نفسه أمام أبي يوسف القاضي (يعقـوب بن إبراهيم، ت 182هـ)؛ فأحضـر الوصي، وسأل جعيفران البينة علـى نسبه وتركة أبيـه؛ فعجز جعيفران عـن تبرئة نفسـه، واسترداد حقه المسلوب عنه -في ظنه- مما دفعه إلى استشعار مدى الظلم والحنق على كل مخالطيه، وجعله يحس بنيران غربة شديدة، وسط أهله وعشيرته، جانحاً إلى العزلـة والانطواء الموحش، راغباً عن الـزواج، مضطرباً، إلى أبعد حد، في مواجهـة أعباء الحياة القاسية، من حوله، في كل مـكان يأوي إليه، ببغداد، والأنبار وسامراء/ مدينـة المعتصم، التي أسسها بين سنتي (221- 222هـ)، ممـا يقطع بتأخر سنـة وفاته إلى نحـو نهاية العقد الثالث مـن القرن الثالث الهجري، وليس سنة (208هـ)، كما نسب لابن شاكر الكتبي، وغيره، ممن ترجموا له[1].. ويـدل ما وصل إلينا من أخباره وشعره على وصفه من قبل بعض معاصريه، ولاحقيهم بالوسوسة.. وخاصة فيما نطالعه من قوله[2]:

رأيـت الـنـاس يدعوني

بـمـجـنـون عـلـى عمد

---

(1) عقـلاء المجانـين، 158، وديـوان المصابين، 64. وقـد أورد له النيسابوري تحفـة شعرية من بيتين، أثبتهـا في موضعها من (ديوان المصابين).

(2) عقلاء المجانين، 158.

.. وقوله[1]:

رأيـــت الـنـــاس يرمونــ
نـــي أحـيـانــاً بـوسـواس

.. وقوله[2]:

طاف به طيف من الوسواس
نفـر عنه لـذة النعاس

.. وغيره[3]..

أبو حيان الموسوس:

شاعر لم تتيسر لي معرفة اسمه، ولا جوانب من سيرته وأخباره، عدا ما أشار له كل من ابن المعتز[4]، والمرزباني (ت 384هـ)[5] وغيرهما[6] من كونه بصرياً، قدم إلى بغداد، وقد روى أحد معاصريه، وهو طاهر بن محمد الأهوازي أنه

(1) ينظر بالتفصيل: البيان والتبيين، 2/ 227– 228، وطبقات الشعراء، 382، والعقد الفريد، 7/ 158– 163، والأغاني، 20/ 188 – 196، وتجريده، 2/3/ 2102 – 2106، وعقلاء المجانين، 121125، وتاريخ بغداد، 7/ 163–164، ونزهة الجليس، 1/ 574 – 576، ونسمة السحر، 1/ 486493، وفوات الوفيات، 1/ 297، 299، وتاريخ التراث العربي، 2/4/198، وشعراء بغداد، 2/ 339، 340، ومعجم الشعراء العباسيين، 544، والعلماء المنسوبون للأنبار، (م. آفاق الثقافة والتراث)، العدد (34)، ربيع الآخر 1422ه وديوان المصابين، 65– 144، وشعر جعفر بن علي الأنباري، 360، ومصادرها.. وقد جمع له الدكتور إبراهيم النجار (26) نصاً شعرياً، ضمنها الجزء الرابع من كتابه (شعراء عباسيون منسيون) ص (35–372). وقد استفدت من هذه المحاولة الأولى في جمعي ما تيسر لي من شعره (46) نصاً، وضعتها في موضعها من (ديوان المصابين) ثم أتيح لي نص آخر، أضيف إليها، كان، وسابقيه مادة شعرية أعانتني على دراسة مضامينه وبنائه التشكيلي مما صدر لي عن (دار التيسير بالمنيا، سنة (2003 م).. وهي الدراسة التي سأرمز لها بكلمتي (شعر جعفر)..

(2) قارن ديوان المصابين، 71، وشعر جعفر. 98. وقارن الفاضل، 255.

(3) قارن ديوان المصابين، 77، وشعر جعفر. 104. وقارن الفاضل 256–257.

(4) ديوان المصابين، 78 – 79، وشعر جعفر، 106..

(5) ديوان المصابين، 86، 89، وشعر جعفر، 113، 16..

(6) طبقات الشعراء، 384385..

رآه، مولعاً بصب الماء، يحمله من محلة إلى أخرى، فيصبه، فيقال له في ذلك؛ فيقول: لو لم أفعل ذلك، في كل يوم لمت..

كما وصفه ابن المعتز بأنه كان موسوساً آخر عمره، وكان يخلط في الكلام، ولا يخلط في الشعر، أصلاً..

أبو حية النميري (الهيثم بن الربيع بن زرارة العامري، ت بعد (180هـ)[1]:

أحد مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، وصفه الجاحظ، كما مر بنا، بأنه (كان أجن من جعيفران، وكان أشعر الناس)[2].

ومر بنا أيضا ما رواه المبرد، عن الأصمعي، عندما سئل عن المجنون المسمى قيس ابن معاذ؛ فقال: «لم يكن مجنوناً، وإنما كانت به لوثة كلوثة أبي حية..»[3]..

وقد ذكر النشابي (ت 657هـ) نص هذه الرواية، معقباً عليها بقوله: «اختلاط، وفساد، واسترخاء»[4]..

---

(1) معجم الشعراء، 509.

(2) ينظر: شعراء عباسيون منسيون، 2/ 339– 340، ومعجم الشعراء العباسيين، 544– 555، وديوان المصابين 115 – 116. وقد روي له ابن المعتز مقطوعة شعرية، من سبعة أبيات، أثبتها في موضعها من (ديوان المصابين).

(3) الشعر والشعراء، 486، وطبقات الشعراء، 143، والأغاني. 6164/15، وسمط اللآلي، 97 وحدائق الأزاهر، 260.. والأعلام، 103/8 – 104، ومعجم الشعراء العباسيين، 145، ومصادرهما.

وقد جمع الدكتور يحيي الجبوري شعره، وحققه، ونشرته وزارة الثقافة بدمشق، سنة (1975م)

كما جمعه وحققه/ رحيم ضحي التوبلي، ونشرته مجلة (المورد) في مجلدها الرابع، بالعدد الأول من السنة نفسها، وهو العمل الذي تيسر لي، وعليه تقوم دراستي لشعره، مشيراً له بكلمات (شعر أبي حية)، متبوعة برقم النص..

(4) ينظر البيان والتبيين، 2/ 229. وينظر أيضاً: العقد الفريد، 157/7، وفيه: (.. كان أبو حية أجن الناس..).

وذهب الدكتور أحمد عبدالستار الجواري[1] إلى أن أبا حية هذا قد عانى (من خفة الأحلام، ووهن الأعصاب تحدر إليه من أهله وعشيرته، واشتهاره بالحب المبرح، الذي يسلم إلى الجنون، واختلاط العقل، هذا جانب، والجانب الآخر يشبع فيه الشعور بالضعة، والإحساس بالنقص، وقد انضم إلى هذا كله رهافة في الشعور، ورقة في الإحساس؛ فأخرج هذه الشخصية العجيبة النادرة الطريفة.. ويبدو هذا وجهاً من وجوه التناقض في شخصية الرجل، هذا التخليط، وتلك الهلوسة، كيف اجتمعت مع شعر جيد، وتعبير جزل متين، وأسلوب جميل رائع)؟!

خالد بن يزيد (أبو الهيثم التميمي الكاتب البغدادي) (ت262هـ)[2]:

شاعر كان يكتب للجيش ببعض الثغور، وكانت له بعض المعارك الشعرية مع كل من أبي تمام (ت231هـ) والبحتري (284هـ) الطائيين، وتقدمت به السن..

ونقل الجهشياري (ت 319هـ) عن أبي الحسن ابن الفرات (ت 312هـ) وهو أحد معاصري خالد– قوله، في شأنه: «وجدناه متماسك العقل، بخلاف ما ظننا به، وسمعناه عنه»[3]..

ويشير ابن الفرات بهذه العبارة، فيما يبدو، إلى ما رواه ابن حجة الحموي (ت837هـ)، وغيره من أن خالداً –هذا– قد (كبر، حتى دق عظمه، ورق

(1) الكامل، 254/1..

(2) المذاكرة في ألقاب الشعراء، 252– 253..

(3) أبو حية النميري دون كشوت عربي قبل زميله الإسباني بقرون، مجلة (العربي)، الكويت، العدد (24)، أكتوبر/تشرين الأول، 1960م..

جلده، وقوي به الوسواس؛ ورئي ببغداد والصبيان يتبعونه، فأسند ظهره إلى قصر المعتصم، والصبيان يصيحون به: يا بارد..»[1]

وقد علق الدكتور إبراهيم النجار على هذه الرواية بقوله: «والظاهر أن مرض خالد لم يكن سوى نتيجة لجملة من الأعراض، تتخذ أشكالاً عدة، منها الفصام والاكتئاب، وتجمعها ما يحدده علم النفس التحليلي بظاهرة الوهن الوسواسي»[2].

أبو دانق الموسوس البغدادي:

شاعر عباسي لم تتيسر لي ترجمته، عدا ما ذكره الشريف الصنعاني (ت1121هـ) من كونه أحد معاصري يعقوب بن الدقاق المستملي بن أبي نصر – صاحب الأصمعي (ت 216هـ) يتناشد الأشعار مع بعض الشعراء في رحبة جامع المنصور[3]..

---

(1) طبقات الشعراء، 404، والديارات، 1114، وتاريخ بغداد، 8/308 – 314، وسمط اللآلي، 1/ 311، وفوات الوفيات، 1/ 296، 297، وتاريخ التراث العربي، 4/ 170–171، والأعلام، 2/ 301، ومعجم المؤلفين، 4/98، ومعجم الشعراء العباسيين، 149 – 150.. ومصادرها.

وقد حقق الدكتور يونس السامرائي ديوانه، ونشرته دار الرسالة، سنة 1981م.. كما حققه ألبرت أرازي ونشره في باريس، سنة 1990م.. وحققه الدكتور/ إبراهيم النجار، وضمنه الصفحات (109 – 228) من الجزء الثاني من كتابه (شعراء عباسيين منسيين)، في طبعته الثانية، وهي إصدارة (دار الغرب الإسلامي)، التي تيسرت لي مطالعتها، والاعتماد عليها في هذه الدراسة، رامزاً لها بكلمتي: (شعراء منسيون)..

(2) الوزراء والكتاب، 162– 163.

(3) ثمرات الأوراق، 94.

سعدون/ سعيد المجنون (ت بين 245 - 250هـ):

أبو عطاء البصري[1] شاعر عباسي، نزل الفسطاط، قائما على حلقة ذي النون المصري (ت 245هـ)، وعاصر الرشيد، والمأمون (ت218هـ) والمتوكل (ت247هـ) العباسيين، ووعظهم، وسلكه المؤرخون في عقلاء المجانين، وحكمائهم، سياحاً، مجنوناً..

وقد نقل النيسابوري[2] عن مالك بن دينار خطابه لهذا الشاعر: (إن الناس يزعمون أنك مجنون، فقال: وأنت قد اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أنني مجنون، وما بي جنة، ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي، وجرى بين لحمي ودمي وعظمي، فأنا من حبه هائم مشغوف..

كما نقل عن عيسى بن علي قوله: (رأيت سعدون ذات يوم، والصبيان يؤذونه؛ فطردت عنه الصبيان، فقال بعض الصبيان: هو يزعم أنه يرى ربه؛ فقلت له:

أما تسمع ما يقول الصبيان؟!).

فقال: وما هو؟!

قلت: يقولون: إنك ترى الله (عز وجل)!!..

فقال: يا أخي، مذ عرفت الله (تعالى) ما فقدته، ثم أنشأ يقول:

زعم الناس أنني مجنون

كيف أسلو ولي فؤاد مصون؟

---

(1) شعراء عباسيون منسيون، 2/ 60، حاشية رقم (3).

(2) نسمة السحر، 1/ 494، وديوان المصابين، 199-120. وقد روي له الصنعاني مقطوعة شعرية من (5) أبيات، إضافة إلى بيت يتيم، أوردتهما في موضعهما من (ديوان المصابين).

وفي موضع آخر من شعره نراه يصرح بهجرانه بني جنسه، مؤثراً عليهم من تفرد بالكمال والجلال، فاستحق المحبة والإجلال، قائلا[1]:

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم

وعفت الكرى شوقا إليه فلم أنم

وموهت نهني بالجنون على الورى

لأكتم ما بي في هواه فما انكتم

فإن قيل: مجنون فقد جنني الهوى

وحرمة روح الأنس في حندس الظلم

سمنون بن حمزة الخواص (ت بين 290 ـ 298هـ):

شاعر ناسك بصري، سكن بغداد، وزار بيت المقدس، وصحب السرى بين مفلس السقطي (ت 253هـ)، وغيره[2].. واتفق المؤرخون على أنه وسوس[3]، وأنه كان، في هيجانه ينشد قوله، ضارعاً لله (سبحانه)[4]:

ضاعف علي بجهدك البلوى

وابلغ بجهدي غاية الشكوى

---

(1) عقلاء المجانين، 8993، وفوات الوفيات، 2/ 48، والوافي بالوفيات، 15/191-193، وعيون التواريخ، أحداث سنة (245هـ)، ص 358 – 359، وتاريخ العباسيين، 178 – 179، وديوان المصابين، 130 – 168.. وقد تيسر لي الوقوف على نحو (39) نصاً شعرياً، مما جري على لسانه، أودعتها كتابي (ديوان المصابين)..

(2) عقلاء المجانين، 8990.

(3) ديوان المصابين، ص 160، 158..

(4) تاريخ بغداد، 9/ 234 – 235، والرسالة القشيرية، 1/152 – 154، وطبقات الصوفية، 195، وطبقات الأولياء، 165-170، والطبقات الكبرى، 128-129، وحلية الأولياء، 10/309-312، والأعلام، 3/ 240، وشعراء الصوفية المجهولون، 12، وما بعدها، وديوان المصابين، 170 – 199، ومصادرها.. وقد جمع له الدكتور يوسف زيدان نحو (17) نصاً شعرياً أودعه كتابه (شعراء الصوفية المجهولون).. واستفدت من جهده، مضيفاً إليه (15) نصاً شعرياً آخر، ضمنتها (ديوان المصابين)، ثم عثرت له على نتفة أخرى، من بيتين في كتاب (رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق والزهد)، ص42.

وروي أنه جلس يوماً، على شاطئ دجلة، وبيده قضيب، يضرب به رجله، وفخذه؛ حتى تبدد لحمه، وتناثر، وهو ينشد قوله[1]:

كان لي قلب أعيش به

ضاع مني في تقلبه

صباح الموسوس:

شاعر لم تتيسر لي ترجمته، وإن وقفنا على إشارتي الجاحظ[2] وابن عبد ربه[3] إلى نسبته إلى الوسوسة.. وروى النيسابوري، والوطواط (ت 718هـ) أنه وقف على قوم، فسألهم شيئاً، فردوه؛ فولي، وهو ينشد[4]:

أسأت إذا أحسنت ظني بهم

والحزم سوء الظن بالناس

عبدالله بن أبي الشيص الخزاعي:

شاعر ابن شاعر، تنقل بين (بغداد)، و(واسط)، و(سامراء)، وعاصر أبا تمام (ت 231هـ)، ورثاه بعد موته[5]..

وذكر أبو محمد القتبي (ت 276هـ)[6] أنه كانت بابن أبي الشيص لوثة؛ لأن السوداء غلبت عليه، فاختلط، واشتاط، وخرق ثيابه، ثم زج نفسه في (دجلة) في يوم شديد البرد، فمات..

---

(1) طبقات الصوفية، 195، وتاريخ بغداد، 9/ 234- 235، والمنتظم، 6/ 108..
(2) ديوان المصابين، ص 196.
(3) ديوان المصابين، 172.
(4) البيان والتبيين، 2/ 231.
(5) العقد الفريد، 7/ 143-144. وينظر أيضاً: غرر الخصائص، 144 - 145.
(6) ديوان المصابين، 200.

أبو فراس قديس البصري:

شاعر، وصفه النيسابوري بأنه كان موسوساً ذاهب العقل[1].

محمد بن القاسم:

أبو الحسن ماني المصري، (ت بعد 245هـ).. من أشهر الشعراء الموسوسين، في العصر العباسي[2].. وقد نقل ابن المعتز، بسنده، عن أحمد بن عاصم بن قدامه الضميري قوله: رأيت (ماني) المجنون يوماً بباب الكرخ ببغداد، وهو عريان، بيـده قصبة، وكأنه ملهوف..)[3].. وقـد روي عنه قوله، يخاطب محبوبته، مشيراً إلى بعض أعراض علته[4]

سـلي عائداتي: كيف أبصـرن كربتي

فإن قلت: قـد حابينني فاسألي الناسـا

فـإن لـم يقولـوا: مـات أو هـو ميـت

فزيدي -إذن- قلبي جنونا ووسـواسا

---

(1) الشعر والشعراء، 2/ 852، وطبقات الشعراء، 364 – 365، وأخبار أبي تمام، 278 – 279، والأغاني، 20/ 173، وتاريخ بغداد، 64/10، والمذاكرة في ألقاب الشعراء، 103، ومعجم المؤلفين، 7/ 247، ومعجم التراث العربي، 2/ 4/ 161 – 163، والأعلام، 55/7، ومعجم الشعراء العباسيين، 277، وديوان المصابين، 207 – 228.. ومصادرها.. وقد تيسر لي الوقوف على نحو (14) نصاً شعرياً، مما جري على لسانه، ضمنتها كتابي (ديوان المصابين).

(2) الشعر والشعراء، 2/ 852.

(3) عقلاء المجانين، 118 – 119.. وينظر أيضاً: ديوان المصابين، 253–355.. وقد تيسر لي الوقوف على مقطوعة شعرية من (3) أبيات، إضافة إلى بيت يتيم، مما تتوزعت نسبته، بينه، وبين غيره من الشعراء..

(4) طبقات الشعراء، 382 – 383، والعقد، 165/7–166 والأغاني، 181/23–187.. والأعلام، 334/6، وتاريخ التراث العربي، 132/4/2، ومعجم الشعراء العباسيين، 395، وديوان المصابين و258– 310.. ومصادرها.. وقد جمع د. إبراهيم النجار، والأستاذ عادل العامل ما تيسر لهما من شعره.. مما أفادني في الوقوف على نحو (47) نصاً شعرياً، مما أنشده ماني، ووضعته في موضعه من (ديوان المصابين)، ثم تيسر لي الوقـوف على أربعة نصوص أخرى له، أضفتها إلى سابقتها، وضمنتها محاولتي في جمع شعره ودراسته، مما ستأتي إشارتي لها بكلمتي (شعر محمد)..

مصعب بن الحسين الكاتب (ت نحو 250هـ):

شاعر بصري بغدادي ماجن موسوس، عرف بأنه كان من أكثر الناس تهتكاً، وأكثرهم خلاعة، واستهتاراً.. وقد جاء على لسانه، في إحدى صفحات شعره، قوله:

فقال لي: أنت مجنون؟ فقلت له:

لا تكثرن على القال والقيلا[1]

وغير خاف على المتفحص في دلالات هذه الأخبار والمرويات السابقة، المنسوبة لهؤلاء الشعراء الموسوسين، ونحوهم[2] ما نلحظه من واقعية هذه الأخبار، والمرويات، وصدقها، في تحديد بعض العوامل التي دفعت أصحابها، دفعاً، إلى التهاوي في دركات الوسوسة، والمعاناة من أعراضها التي تنوعت أشكالها، وكمياتها من شاعر إلى آخر، وسببت لهم -جميعاً- آلاماً مبرحة..

ويدفعنا الإنصاف إلى وجوب النظر إلى هذه المرويات المشار إليها، بهذا الصدد، بشيء كبير من الحذر، والتأني، أحياناً؛ بسبب ما نلحظ من تداخلها بعضها بالآخر، تارة، ونسبتها لأكثر من شاعر، من هؤلاء الشعراء، تارة، وارتباطها بمواقف، أو حالات مرضية عارضة، أو مؤقتة، طارئة، لبعض الوقت، تارات أخرى..

---

(1) طبقات الشعراء، 383، وشعر محمد، 182.

(2) شعر محمد، 175.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة، هنا: هل أنشد الشعراء الموسوسون ما وصل إلينا من أشعار لهم وهم واقعون تحت تأثيرات وساوسهم التي انتابتهم، أو عرضت لهم في أجزاء من حيواتهم؟ وكيف يتسنى لنا التأكد من ذلك، أو عدمه؟!

والإجابة عن هذا السؤال - بشقيه - ليست - في رأيي - بالأمر الهين، أو السير؛ في ظل ما نفتقده من الأخبار، والمرويات الكافية، التي قد تساعدنا على الكشف عن المعالم الواضحة البينة، وغير الواضحة البينة من سير هؤلاء الشعراء، ونحوهم.. وفي ضوء إيماننا بأن عملية الإبداع الفني، بعامة، والشعري، بخاصة، ليست أحادية الجانب، وإنما هي دائرة متسعة عميقة، متعددة الجوانب والآفاق.. تتأثر، فيما تتأثر به، من شخصية مبدعها، وروح عصره، بكل مكوناتها الفطرية والمكتسبة، كل على السواء؛ وبالتالي فإن الربط الحتمي، أو شبه الحتمي بين إصابة هؤلاء الشعراء المشار إليهم، في صفحات هذا المبحث، بالوسوسة أو بعض أعراضها، من جهة، وبين نتاجهم الشعري الذي تيسرت لنا نصوصه، من جهة أخرى -يجب أن يكون محكوماً عليه بالتسرع، أو التعسف، وما يترتب عليهما من نتائج قد تكون مغلوطة..

وقد سبق عبدالله بن المعتز، ببصيرة الشاعر الناقد الفذ، إلى طرح أحد الفروض العلمية الصالحة للاستعانة بها هنا، وذلك بقوله، في شأن أحد هؤلاء المعنيين بالدراسة: «وكان أبو حيان موسوساً آخر عمره، وكان يخلط في الكلام، ولا يخلط في الشعر أصلاً، وهكذا هؤلاء الذين خولطوا -بعد قولهم الشعر- يوجد في كلامهم تفاوت كثير شديد، فإذا جاءوا إلى الشعر

مروا على رؤوسهم، ورسمهم المعهود، قبل أن يوسوسوا»[1]

ولنتأمل إشارته الدقيقة إلى توقيت إصابة المترجم له بالوسوسة، وتحديدها بآخر عمره، وملاحظته الشديدة تخليطه في الكلام، وعدم تخليطه في الشعر، أصلاً، وانتقاله من الحكم النقدي الخاص، المنبثق من ملاحظة أحد الشعراء، إلى الحكم النقدي العام، الذي يشمل، في إطاره، عامة الشعراء -موضوع الدراسة- مدركاً عدم تأثرهم بآفتهم، إبان إنشادهم الشعر..

ويبقى الحكم بمصداقية هذه الملاحظة النقدية الأخيرة، أو الحاجة إلى تعديلها، أو نفيها، مرهوناً بالوقوف على مضامين أشعار هؤلاء الموسوسين، وأدواتهم التشكيلية، وهو الأمر الذي تتناوله الدراسة في المبحثين التاليين إن شاء الله (تعالى)..

(1) طبقات الشعراء، 386، والديارات، 193، والأعلام، 7/ 247، وشعراء عباسيون منسيون، 5/ 131 - 134، ومعجم الشعراء العباسيين 518، وديوان المصابين، 312- 338، ومصادرها.. وقد جمع له الدكتور إبراهيم النجار نحو (10) نصوص شعرية، وضمنها كتابه (شعراء عباسين منسيين)، وأفدت من عمله في هذا المجال، مما ضمنته كتابي (ديوان المصابين).

الفصل الثالث

مضامين شعر الموسوسين

علــي الرغـم من إيماني بأن مضامين العمل الأدبــي كل لا يتجزأ، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالنصوص التي وصلت إلينا مستقلة بعضها عن بعض- فـإني، في هذا المبحـث، سأحاول النظـر إلى هذه المضامين بصـورة أجزاء يكمل بعضها الآخر، يتأثر به، ويؤثر فيه؛ لذلك فقد وضعت نصب عيني ما تيســر لي من أشعار الموسوسين العباسيين، التي تزيد عن (460) نصاً شعرياً، يتقدمهــا الغــزل، بنوعيه: المعنوي/ المثــالي/ العذري/ العفيــف، والحسي/ المــادي، بمجيئه في نحــو (230) نصاً، بنسبــة (49,6%)، منها (184) نصاً شعريــاً مما جــرى على لسان خالد الكاتــب، و(18) نصاً، ممــا أنشده ماني الموسوس، و(17) نصاً مما أنشده أبو حية النميري، و(5) نصوص مما أنشده كل من جعيفران، وعبدالله بن أبي الشيص الخزاعي، إضافة إلى نص شعري واحد مما تيسر لنا من شعر بكار..

ويلي الغــزل شعرهم الحكمي والوعظي الإرشــادي، الذي يقع في نحو (47) نصــاً شعرياً (10%)، مما أنشده بعض هــؤلاء الشعراء، وفي مقدمتهم سعــدون، الذي أنشــد (23) نصاً في النصح والإرشــاد، ويليه بهلول، وله (18) نصــاً، من نصوص هذا البــاب، فجعيفــران (4) نصوص، فسمنون وصباح، ولكل منهما نص شعري واحد..

ويلي هذيــن الفنين ما يعرف بالحــب الصوفي/ الإلهي، ومــا يواكبه من مناجــاة وابتهال، وقد جــاءت (38) نصاً شعريــاً: (8,2%) مما تيسر لنا من

أشعار هؤلاء الشعراء، وفي طليعتهم سمنون المحب، وله (26) نصاً شعرياً: ويليه سعدون، وله (8) نصوص، فبهلول الصيرفي (4) نصوص، مختتمين بكل من بكار وماني، ولكل منهما نص شعري يتيم..

أما الهجاء فيقع في المرتبة الرابعة، ضمن فنون الشعر في ديوان هؤلاء الموسوسين، بإنشاده في (26) نصاً شعرياً: (5,6%) منها (15) نصاً مما جرى على لسان جعيفران، و(5) نصوص مما أنشده ابن أبي الشيص، و(3) نصوص مما أنشده أبو حية النميري، ونصان اثنان لخالد الكاتب، ونص واحد لأبي دانق..

ويجيء وصف الذات: فخراً، واعتداداً، ورثاءً، وما يتصل بها، في المنزلة الخامسة، من مضامين هذا الديوان، موضوعاً في أكثر من (25) نصاً شعرياً: (5,3%)، منها (12) نصاً لأبي حية، و(4) نصوص لمصعب الكاتب، ونصان اثنان لسمنون، ونص واحد لكل من بلهول، وجعيفران، وسعدون، وأبي فراس وماني..

ويأتي بعد هذا الوصف بجوانبه المتعددة في المرتبة شعرهم الذي أنشدوه في تعشق الغلمان، وهو الشعر الذي يضم (21) نصاً: (4,55%)، منها (9) نصوص لمصعب الكاتب، و(8) نصوص لماني، ونص واحد لكل من أحمد بن عبدالسلام، وأبي بكر وجعيفران، وأبي دانق..

وانفردت الطبيعة بعشرين نصاً: (4,3%)، يحتل وصفها المنزلة السابعة من مضامين الشعر في ديوان الموسوسين، ويكاد أبو حية يستقطب أغلبها..

أما المدح فيأتي في (14) نصا شعرياً: (3%) انفرد جعيفران بإنشاد ستة

نصوص منهـا، وتلاه كل من خالد الكاتب وماني بإنشادهما (4) نصوص على لسان كل منهما..

وفي الشكـوى من الفقر ونحوه (12) نصـاً وشعرياً: (2,6 %) ورد (5) نصوص منها على لسان أبي حيـة، و(4) على لسان ماني، ونصفهما على لسان جعيفران، ونص واحد على لسان ابن أبي الشيص..

وفي المرتبـة الحادية عشرة يأتـي كل من وصفهم بعض مجالس الشراب واللهو والمجـون (9) نصوص: (1,9%)، إضافة إلى كشـف النقاب عن معاناتهم من الوسوسة، وأعراضها(9) نصوص.

وأنشـد سمنون المحـب (4) نصوص شعرية في وصـف الجنة، ونعيمها المقيـم، الذي ينتظر عبـاد الله المخلصين، مما نستطيع ضمهـا إلى ما سبقت الإشارة إليه من مناجاتهم وابتهالاتهم إلى الله ذي الجلال والإكرام..

كمـا أنشد ابن أبي الشيص نصين اثنين في الرثـاء ومثلهما مما ورد على لسان كل من بلهول وأبي حية، في الوقت الذي انفرد فيه أبو بكر الموسوس بنص شعري واحد في الاعتذار..

وعلي الرغـم من تعدد أجزاء هذه المضامـين، واتساعها النسبي، وتنوع بعضها، وتداخله في بعض - فإني أجملها في ثلاثة أجزاء/ فنون، متكاملة، يتقدمهـا (الشعر الذاتي)، الذي يضم، فيما يضم، من حب صوفي، وغزل إنسـاني في المـرأة، أو الغلمـان، إضافة إلى وصف الـذات، وما يختلج بها مـن مشاعـر وأحاسيسـ، وهواجسـ، وأفـكار تظهر مـن خلالها بعض مظاهر ثقتهم، واعتدادهـم، أو قلقهم، وتوجسهم أو تبرمهم، أو أحزانهم

وشجونهـم التي ما فتئت تراودهم، وخاصة قبيـل سني غروب شمسهم؛ بكاءً لشبابهم؛ واجتراراً لهموم مشيبهم..

والجـزء الثاني من هذه الأجزاء ما أسميـه (الشعر الاجتماعي) الذي نرى أصحابـه ينزعون به وجهـة اجتماعية متعـددة المسالـك، كاشفين به عن جوانـب مختلفة من حصـاد علاقاتهم بغيرهـم من أبنـاء مجتمعاتهـم.. إضافة إلى مـا نلحظه مـن كشف بعضهم النقـاب عن معالم من لهـو معاصريهم، وتماجنهم، وتفحشهم، وبذائهم..

ويخصص الجزء الثالث من أجزاء هذه المضامين للدراسة (شعر الطبيعة)..

وقبـل الولـوج في رحاب هذه الأجزاء – المتراكبـة في حقيقتها – يجدر بـي تنبيـه قارئي العزيز إلى أنني – ولعلي على حـق في هذا أقرأ هذا الشعر، الـذي بين يـدي، مما ورد على ألسنـة الموسوسين، بوصفـه (ديواناً شعرياً) واحـداً، أو شبه واحد، تعددت أصوات أصحاب منشديه، وتكاملت، في الوقت نفسه..

وبنـاءً على هـذه القـراءة الشعرية/ النقديـة المقترحة –يـرى كاتب هذه السطـور ولعله عن حق أيضـا– أن إصابة منشدي هذا الديوان بالوسوسة، أو بعضـ أعراضها، مدة طويلة، أو قصـيرة، وفي وقت باكر، أو غير باكر، من أعمارهم –إن صح أنهم أصيبوا بذلك بالفعل– تكاد هذه الإصابة، في رأيي المتواضع، لأن تكون مدخلاً فنياً، لتذوقه، وتحليله، من خلال الاستعانة (بمفتاح مجازي)، يتضمن ما تشي به معظم نصوص الديوان الفياض بالقلق، والتوتر المتزايد..

وإن جازت لي الاستعانة بهـذا (المفتاح المقترح) للدخول إلى العالم الفني الخاص، والعام، لهذا الديوان - وجب علينا استهلال دراستنا لمضامين شعره بسؤال عن مدى (تصريح) منشديه، أو بعضهم، بالوسوسة (سبباً، أو مسبباً، على ألسنتهم شعراً، دون مواربة، أو إخفاء، أو تستر، أو تمويه..

والجواب عن هذا السؤال يعيدنا إلى ما أسلفنا الإشارة إليه، في صدر هـذا المبحث، من وقوفنا على (9) نصوص شعرية فقط، مما وصل إلينا من نصوص ديوانهم الشعري، الذي يضم (463) نصاً، وهو عدد قليل للغاية لا يكاد يصل إلى نسبة (2%)، موازنة بغيرها من الموضوعات، أو المضامين الشعرية الأخرى، التي أفسحوا لها مساحات أكبر من نتاجهم الشعري..

وإن كانت هذه النسبة القليلة المشار إليها بهذا الصدد لتدفعنا، في الوقت نفسه، إلى تجاوز هذه النصوص التسعة إلى غيرها، من نصوص الديوان؛ استكناهاً لمعالم هـذا (القلق الفياض)، وذلك (التوتر المتزايد) اللذين أرى أنهما (المفتاح) الذي يساعدنا على تعمق بعض أسرارها المطوية..

1 - البوح الذاتي

وأقصد به صدى أحاديث الشعراء عن أنفسهم، وكشفهم النقاب عما قد يعتلج بأعماقهم من أحاسيس ومشاعر، وأفكار وهواجس متباينة، بلغة مشحونة بالتوتر الهادر، والقلق الفوار، أو الأمن والسكينة، أو غيرها مما يعبر عن مواقفهم الإنسانية، والأدبية المتنوعة، ولسان حالهم يجنح، جنوحاً واضحاً إلى إيثار (الضمير المفرد) المتكلم، عن غيره من الضمائر..

ونستهل استماعنا لبعض أصوات هذا البوح الذاتي لدي هؤلاء الشعراء بما وصفوا به من وسوسة ابتلوا بها، أو طوردوا بالنسبة إليها من قبل بعض معاصريهم.. ومن هذه الأصوات ما تعالى به محمد ابن القاسم/ ماني، وهو يجلو، في موقف إنساني وأدبي، شديدي الإيحاء باللوعة، والأسى، والقلق، والتوتر، جانباً غائراً من ذاته، وقد سكنها شيء عميق من الهوى الجارف، مقرراً في خطابه من ولهت قلبه، وأسرت لبه، وقد دأبت على صدورها عنه، ومفارقتها إياه، دون وازع من رحمة أو شفقة، أو عطف؛ مما دفعه، دفعاً، إلى معاناة الكربات المتلاحقة الهوج، المؤذنة بهلاكه، والقضاء على حياته، قانعاً، كدأب عامة المجبين، وخاصتهم، بما يحظى به من جفائها، وخيلائها، وتمنعها، موقناً أنها بهذا، وذاك، تزيد من ضراوة جنون قلبه، وهيام نفسه، ووسوسته، قائلاً[1]:

سلي عائداتي: كيف أبصرن كربتي

فإن قلت: (قد حابينني) فاسألي الناس

فإن لم يقولوا: (مات أو هو ميت)

فزيدي -إذن- قلبي جنوناً ووسواسا

وإضافة إلى هذه النتفة السينية التي أنشدها ماني -يلاحظ قارئ ديوان الموسوسين سبعة نصوص شعرية أخرى، تنوزعت نسبة خمسة منها بين

---

(1) ينظر في أخبار بعض المصابين بالوسوسة، ممن ضاعت أسماؤهم من ذاكرة التاريخ: عقلاء المجانين، 109- 110، 133، 138، 139، 144، 149، 194.. والعقد الفريد، 7/ 163 - 164، وشرح مقامات الحريري، 2/ 358-359، ومحاضرات الأدباء، 392/4، وأخبار النساء، 300، ومصارع العشاق، 55/1، وغرر الخصائص، 130، 131، وديوان المصابين، 342 - 386، وغيرها..

كل من جعيفران[1]، وصباح[2] الموسوسين.. وقد علق قائل هذه النصوص، أو قائلاهـا، على وصف جانب من الفجيعة الـكأداء، وقد طاف به طيف لعـين من طيوف علته، وإحساسه الممض بالوسوسة، التي ما فتئت تعاوده، بـين فينة وأخرى، مشعـرة إياه بأهوال الغربة القتالـة التي أخذت تشمله، مـن كل صوب، وحدب، منفرة عنه لـذة النعاس، والائتناس بمن حوله من الناس، الذين افتقد نعمتي التآلـف، والتوافق النفسي والاجتماعي معهم، بسبب مـا دأبوا عليه، جاهلـين، وجاهدين من تنقصه، والحـط من شأنه، قائلاً (خماسية):

طاف به طيف من الوسواس

نفر عنه لـذة النعـاس

فما يرى يأنس بالأناس

ولا يلذ عـشرة الجلاس

فهـو غريب بين هـذي الناس وانتقل، في موضـع ثان، من شعـره، أو أشعارهم، إلى تصوير بعض مواقفه اليومية، مع بعض مخالطيه، من الندمان، الذيـن دأبوا على اغتيابـه، أو اغتياله حياً، في عدم حضـوره، واصفين إياه بالجنـون، بسبب ما رأوه من أحواله يوماً، وقد تعرى جسـده من الملابس، فبـدا في صـورة لا تليق بإنسان عاقل، سوى سديـد الإدراك، مقرراً أنه قد جنـح جنوحاً إلى هذا المسـلك المعيب، في نظرهم، بسبب ما انتابه من فقر

---

(1) طبقات الشعراء، 384 - 385..

(2) شعر محمد، 175..

مدقع، وحاجة ماسة شديدة، متعرضا؛ بذلك، لكرم الناس الذين لا يبخلون عليه بما قد يسد رمقه، ويروي غلته، ويداري سوأته، حتى يتمكن من قضاء ليلة عامرة بالأنس، والطرب، والنشـوة الغامرة، على وقع أوتار العازفين، وأصوات المغنين، بقوله:

ونـــدامـــى أكـــلـــونـــي..

إذ تـــغـــيـــبـــت قليلا

إن أكـن سؤ تكم اليـو

م فــخــلـوا لي سبـيلا

وابـتـغـوا غــيري نديماً

لــكـــم مـــنـــي بـديـلا

ثــم حـــيـــوا غـــنـــاء..

يـــترك المـــولى ذلـيـلا

ثم نراه يكشف النقاب عن جانب آخر من جوانب ذاته المهزومة، ونفسه المحبطـة، المتوترة القلقة، بتصويره جانباً، من إحساسه الموتور الحانق، على بعضـ أبناء مجتمعه المحيطين به، بسبب ما دأبـوا عليه، من حين لآخر، من إيذائـه، ورميه، كذبـاً، وبهتاناً، بالجنون، وفقدان نعمتـي العقل والإدراك السليم، رائياً أن هذا العقل المشين الصادر من هؤلاء الأشرار السفهاء، إنما هو مـن أقبح الأفعال، وأدرذلها، ومؤكداً أنه لن يتغاضى عن هذه السفاسف، والترهـات، في الوقت الذي يعلـن فيه انسحابه مـن مواجهتهم، بما يبطل

سهامهــم عجزاً ومــرارة، مشيراً إلى أنه سيلتزم – تعقــلاً – جادة الصواب معهم، بالصفح عنهم، تكرماً، عسى أن يجني منهم، ومن أمثالهم ما يشرح صــدره، ويثلج فــؤاده، ويخفف عنه شعوره بالوحــدة المهيمنة على نفســه المتضعضعة ولو بعد حين، قائــلاً:

استوجب العالم مني القتلا

لما شعرت فرأوني فحلا

قالــوا علي كذباً وبطلا

إني مجنون فقدت العقلا

قالوا المحال كذباً وجهلا

أقبح بهذا الفعل منهم فعلا!!

لست براض من جهول جهلا

ولا مجازيه بفعل فعلا

لكن أرى الصفح لنفسي فضلا

من يرد الخير يجده سهلا

ومن تصويــر هذا الجانب الموتور من ذاته، إلى الشكوى المرة في أكثر من موضع من شعره، أو أشعارهم، من سوء أحوالهم، وخيبة آمالهم، ومعاناتهم القاسية من أعراضــ محنتهم في مرآة معاصريهم، وســوء معاملاتهم إياهم، ووصفهم بالجنون تارة، والحمق تارة، والوسوسة تارات، مستدركاً عليهم بأن لجوءهم إلى هذه المسالك المهينة في حقه، هو وأترابه من هؤلاء المصابين،

إنما هو مدفوع بما آل إليه أمرهم، من فقر، وعوز، وإفلاس، وإقلال، وليس بسبب ما يخيل لهم من تعاميهم، وتغافلهم من إصابتهم، وتبدل هيآتهم، مستدلاً على ما يراه من هذا التعامي، وذلك التغافل، اللذين باتا يحجبان عنهم حقائق الأمور، وجواهرها، بما ضربه من أمثال، وما انتقل إليه من توبيخ، حينا، ونصح حيناً آخر، بقوله:

رأيت الناس يدعوني
بمجنون على عمد
وما بي اليوم من جهل
ولا لبس ولاً عقد
ولكن قولهم ذاكا
لإوقافي من الوجد
ولو كنت كقارون
ووالي رحبة الجند
رأوني راجح العقل
جميلاً حسن القد

.. وقوله:

رأيت الناس يرمونـ
ـي أحياناً بوسواس

.. وقوله:

رأيت الناس يدعوني
بمجنون على حال
وما بي اليوم من جن
ولا وسواس بلبال
ولكن قولهم هذا
لإفلاسي وإقلالي

.. وقوله:

رأيت الناس يرموني
بوسواس وإلمام
وما كنت أخا موق
قديماً قبل تهيامي
ولكني أرى ذاكا
لإدقاعي وإعدامي

وقريب من دلالات هذه النصوص الطافحة بالمرارة، وإن أخذ وجهة أخرى، ما نطالعه من قول سعدون، الذي راح يبث فيه تباريح شكواه المرة مما دأب عليه بعض معاصريه من ملاحقته بتهمة الجنون، بسبب ما لاحظوه عليه من شرود متزايد، وميل واضح إلى العزلة والانطواء.. معللا ذلك ونحوه، بمداومة الخلوة مع الله (سبحانه)، والفوز بوصاله المحمود،

ذكراً، وتسبيحاً، قائلاً[1]:

زعم الناس أني مجنون

كيف أسلو ولي فؤاد مصون؟!

علق القلب بالبكا في الدياجي

وهو بالله مغرم محزون

وإذا تجاوزنا هذه الصفحة، أو الصفحات التي تنطق سطورها بمدى اعتلاج صدور أصحابها بلواعج التوتر، والحسرة، والمرارة، والغربة، والمعاناة، إلى غيرها من أشعار، انتقل بها منشدوها من بلاغة (التصريح) إلى آفاق التلميح).

- لاحظنا مدى إحساسهم بالقلق، الذي تمور به جوانحهم، موراً، يدفعهم إلى الأرق والسهد الدائمين، يتقلبون فيه من الشرود، والأوجاع المتلاحقة التي تعاودهم؛ فتنهش ضلوعهم، في ضراوة، وتدفعهم، مضطرين إلى الإفضاء بما يستكن بداخلهم من أسرار الهوى، وهواجسه.. ونحو ذلك مما يتضح لنا عند إنشادنا قول أبي فراس قديس البصري[2]:

إذا الليل ألبسني ثوبه

تقلب فيه فتى موجع

رأيت التصبر ستر الهوى

إذا اشتملت قوة الأضلع

وكيف يطبق فتى كتمه

وأجفانه أبداً تدمع؟!

---

(1) شعر جعفر، 98، 104، 106، 113، 116- 119. وينظر أيضاً للكاتب هذه السطور: شعر جعفر بن على الأنباري مضامينه وبناؤه التشكيلي، ضمن كتاب (إلي روح الأستاذ الدكتور/ مصطفي مندور في ذكرى رحيله)، إشراف قسم اللغة العربية بآداب المنيا، 109، 110..

(2) الفاضل في صفة الأدب الكامل، 255- 257..

ويكابد سمنون المحب آلام غربته الصارمة المفروضة عليه من أعماقه المضطرمة، أو أوضاع عصره المضطربة؛ فتدفعه إلى ارتداء ما تهالك من ثياب، يستر بها جسده، غير مكترث بهيئتها الرثة البالية، بقدر ما تتجه أنظاره، ومدركاته إلى محراب التأمل في عواقب أمره، ولسان حاله يقول[1]:

لئن أمسيت في ثوبي عديم

لقد بليا على حر كريم

فلا يحزنك أن أبصرت حالاً

مغيرة عن الحال القديم

فلي نفس ستذهب أو سترقى

لعمرك بي في أمر جسيم

وكشف بهلول عن صفحة من صفحات ذاته، عندما تأخذه غمرات الإحساس المفهم بالواقع المرير، بداخله، أو من حوله فيضطر إلى مواجهتها، بعزم، وثبات، لا يفتران، دون عدول عن سبيله، الذي اطمأنت إليه نفسه، وقاده إليه فكره، دون تردد، تاركاً أمر غد، وما قد يخفيه من عواقب لوقتها قائلاً[2]:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

ونكب عن ذكر العواقب جانبا

---

(1) ديوان المصابين، 160..

(2) ديوان المصابين، 253.

ويغالب الجوع بهلولاً، ولا يجد ما يسد به رمقه، فينخرط في البكاء؛ لعله يجد فيه سلواه، وبعض دوائه، مما يضطرم بداخله من جوي، وتباريح؛ فيشفق عليه أحد مخالطيه، داعياً إياه إلى التذرع بالصبر، عسى أن يكون فيه شفاؤه، وتخفيف لوعته، غير أنه يرفض هذا الدواء الذي يعز عليه مناله، ويصعب عليه إدراكه، حالتئذ، رائياً فيه مرارة لا يقدر على تحملها، وعجزاً عن الفوز به، بقوله[1]:

يقولون لي: في الصبر روح وراحة

ولا عهد لي بالصبر مذ خلق الصبر

ولا شك أن الصبر كالصبر طعمه

وإني رأيت الصبر ممتنع وعر

وتزداد أحوال جعيفران سوءاً بعد سوء؛ بسبب ما بات بشعر به من حرمان، يباعد بينه، وبين مظاهر العيش الكريم، الذي يقتات به زاد يومه، في غير عجز، ولا هوان، أخذ يتساقط في دركاتها بائساً مهموماً، ولسان حاله يبوح بما آل إليه أمره، قائلاً:

لا والذي أنزل نعمه علي

وهو المفضل المنعم

مالي دينار ولا درهم

أشرب منه لا ولا أطعم

ولا يساوي درهماً واحداً

من ليس في منزله درهم

---

(1) ديوان المصابين، 191.

ثم نراه، في صفحـة أخرى من شعره، يهب إلى الدفاع عن بعض ما يراه مـن مقومات عيشه، آنئذ، راداً على وصـف أحد شعره بالرداءة، مقرراً أن دوران هـذا الشعر على الألسنـة، وفي المنتديات لكفيل أن يعد لنفسه الثقة المفتقدة مهما لاقى من صعوبات الحياة وأهوالها من حوله، بقوله[1]:

سـوف أهجـوك إن بقيـت بشـعر
ليـس إن قوموه فلسـين يسـوى
ويقـولـون: ذا ردئ وحسـبي
أن يقولـوا لـه: (ردئ) ويـروى

.. ونتقـدم خطوة أخرى، في استماعنا لأصوات بوحهم الذاتي؛ فنطالع قول مـاني، الذي راح يتأمـل في أعماق ذاته، ويطيـل التأمل، والتحديق، بنظـرات لا ينقصها الوعي بمـا يدور بها أحياناً من أحـزان وشجون، رائياً في شخصـه مثالاً يحتـذى للإنسان الصالح، الذي يقتدي بـه أبناء عصره، غير مطيل زيارة إخوانه؛ لكيلا يشعروا بالسأم منه، أو الإملال من صحبته، إضافة إلى إيثاره الوحدة، والعزلة، يأنس بهما قلبه، وتهدأ لهما نفسه، دون اضطرار إلى مغالبة الهواجس، والأباطيل الناجمة، عن صحبة بعض الناس، الذين لا يضعون الناس في منازلهم الجديرة لهم، بقوله[2]:

مدمـن التخفيف موصول
ومطيـل اللبـث مملول
ليس لي إلف فيعطفنـي
فارقت نفسي الأباطيـل

---

(1) ديوان المصابين، 22.
(2) شعر جعفر، 121، 131.

ويتقـدم العمر بأبي حية النميري؛ فـنراه يستشعر إعصـاراً جارفاً من الحزن العميـق، يزلزل ذاته الواهنة، ويدفعهـا إلى التشكي مما آل إليـه أمره من عجز، وضعف، يواكبـان هرمه وشيخوخته اللذين أقبل ركبهمـا المشئوم إلى رحابه؛ فصيره إنساناً آخر هامداً موجوعاً، أصيب بالعلل، والأسقام المتوالية، في ظهره، وأعصابه؛ مما دفعه إلى الاستعانة بعصا، أو أكثر، لمواجهة أعباء الحياة، بقوله[1]:

كفي حزنـاً أني أرى المـاء معرضا

لعينـي ولكـن لا سـبيل إلى الـورد

وما كنـت أخشى أن تكـون منيتي

بكـف أعــز النـاس كلهـم عندي

وقـوله:

وقـد جعلت إذا ما قمت يـوجعنـي

ظهري فقمت قيـام الشارب السكـر

وكنـت أمشي عـلى رجلـين معتدلاً

فصرت أمشي على أخرى من الشجر

ويعزف ماني على وتر هامس شجي من أوتار هذه المعزوفة الحانية، متأملاً جانباً مـن أحواله، وقد شـارف النهاية من عمره محتضـراً، يتمنى لو تنطق أحشـاؤه الهامدة بما بدا له من صفحات ذاته المشحونة بالخوف والترقب، والحـذر، وأنفاسـه تتضاءل، في خفـوت متوال، ونظراتـه ينتابها الذبول، والسقم ينهض؛ مسرعـاً في كل أنحاء بدنه، ودموعه تساقط غزيرة؛ جزعاً

(1) ديوان المصابين، 312، 326، 327..

من الموت وسكراته قائلاً[1]:

لـم يبق إلا نفس خافت

ومقلة إنسانها باهـت

بلى وما في جسمه مفصل

إلا وفيه سقـم ثابـت

فدمعه يجـري وأحشـاؤه

توقـد إلا أنـه ساكت

ويعيش سعدون لحظات الاحتضار؛ فيود لو أتيح لعينيه الواهنتين المقرحتين أن تجودا بالدموع الغزيرة؛ بكاء على نفسه، التي كم عاشت بين جنبيه، وتخفيفاً من الآلام المبرحة التي طغت عليه جاثمة.. منتقلاً إلى التنويه بما يتراءى لذاته، في أجزاء هذا الموقف الإنساني، والأدبي الفريد، إذ فرقت ريح الموت شمل أحبته، ونغضت لذاتهم، وقضت على طيباتهم، وأجبرتهم على رفع رايات الذل، والانكسار، والخشوع لإرادته، بقوله[2]:

عيـن فابكي على قبـل انطلاقـي

بدمـوع تمـل منهـا المآقـي

وانظـري مصرعي فقد قضى الأمـ

ـر ونوحـي عـلى قبـل الفـراق

---

(1) شعر محمد، 185.

(2) شعر أبي حية، النصان: (13، 22).

وقـوله:

نغص المـوت ريحه كل طيـب

ودهانـي بفقـد كـل حبيب

ولكم إذ رأيت من حدث الســ

ـن غريراً كغصن بان رطيـب

أحس بالموت فانثني بانكسا

ر واضعاً خده بذل عجيب

قائلاً: إخوتي سلام عليكم

آذنت شمس مدتي بالمغيب

.. وثمة صفحات شعرية أخرى كثيرة تعالى فيها بوح الموسوسين الذاتي، وتولت أناتهم الحائرة وصيحاتهم المتقطعـة.. ألا وهي التي أنشدوها فيما عـرف، قديماً وحديثاً، بالغزل، أو العشق والمحبة.. وما نصطلح عليه باسم البوح العاطفي..

وقد تعـددت مظاهر (البوح العاطفي) في ديوان هـؤلاء الشعراء متجهة اتجاهـات فنيـة عـدة، متكاملـة الدلالة على مـدى اضطـرام خواطرهم، واضطراب مواقفهم الأدبية، وتناقضها النسبي، مواكبة لاختلاف مواقفهم الإنسانيـة، عشاقاً متيمـين غلبت على معظمهم دلائـل التوله، والتشوق، والهيام الجارف؛ فاندفعوا يتمنون لحظة قرب يفوزون فيها بحب من وقعوا في إسار هواهن، وشغفوا بهن، رائين فيهن (المثل الأعلى) للجمال الإنساني، الذي لا يضارعه جمال.. ومن ذلك ما نطالعه بإنشادنا قول ماني[1]:

---

(1) شعر محمد، 202.

أتمنـــي الذي أذا أنا أومأ

ت إليه بطرف عيني تجني

ثم نــراه يتقدم بمستمعه خطوة، أو خطــوات، في سبيل الوصول بمحبوبته إلى غايــة مثلي، من الجمال الذي يجمع بــين حسنيي الدنيا والآخرة؛ وذلك بوصفها بكل من الغادة، والطاووسة والجوهرة البحرية، والبانة المغروسة في جنة الفردوس، مما يجعلها تجل عن وصف الواصفين، وأفكار المتأملين، قائلاً:

وكيــف صــبر النفــس عــن غـــادة

تظلمهـــا إن قلـــت: طاووســـه

وجــرت إن شــبهتها بانـــة

في جنـــة الفــردوس مغروســـــه

وغــير عــدل إن عدلنـــا بهـــا

جوهــرة في البحــر مغموســـــه

جلــت عــن الوصــف فمـــا فكــرة

تلحقهـــا بالنعـــت محســـوســــــه

ويلاحظ قــارئ ديوان هــؤلاء الشعراء مدى إلحــاح أصحابه على فكرة (المثل الأعلى الجمالي) الذي حاولوا التسامي بمحبوباتهم إلى آفاقه السامقة، من خلاله، قاصدين به، فيما أرى، إلى ترجمة جانب من نزوعهم الفكري، والوجداني إلى عالم الفضيلة المفقودة في أنحاء متعددة من مجتمعهم العباسي، الــذي عاشوا في رحابه، متظاهرين، بهذا النــزوع الفني بمدى تطلعهم إلى الكمــال المنشود، يعرضون به شيئاً من أمانهم الداخلي السليب؛ بسبب ما

وقعوا في دركاته من مهاوي القلق، والتوتر، بأعراضهما الضاغطة عليهم.. أقول ذلك ولعلي على حق، مدفوعاً بوقوفي على أكثر من (15) نصاً شعرياً لأحـد هؤلاء الشعراء، وهو خالـد الكاتب الذي يبدو أنـه واكب إشارتي مـاني السابقتين، مضيفاً إليهما ما يؤكد ولعـه، وشدة إدراكه، بهذا الجانب الواضـح، فيما وصل إلينا مـن شعره.. فمرة نلحظ أنـه يخاطب محبوبته، واصفاً إياها بأن محاسنها تدق عن الصفات، وتجلها الأبصار[1]:

يا من تدق عن الصفات محاسـنه
وتجلـه الأبصـــار حـين تعاينـه
دان الجمـــال لـه فأيـقـن أنهـا
لا شيء أصبــح مثلـه فيقارنـــه

ومرة أخرى يرى أنه بديعة، لا تحتويها النعوت:

يـــا بديعـاً لا تحتـويـــه النعـوت
لــك وجـه تحيـي بـــه وتميـت

وثالثة يستنكر أن تكون مخلوقة من طينة البشر:

لـو كان مـن بشر لم يفتـن البشرا
ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا

ورابعة رأي أنها (مثل) إليه ينتهي المثل الأعلى:

مثـل إليـه ينتـهـي المثل
نصفان مرتج ومعتدل
غضن كأن الحسن يخنقه
بالنور ملتئم ومشتمل

---

(1) ديوان المصابين، 149، 132.

وخامسة حدد فيها بأنها عزيزة المثل من كل الورى:

عزيـز المثـل من كل الـ

ورى في الحســن منقطع

وسادسة يقرر أنها نور تولد بين الشمس والقمر:

نــور تولـد بـين الشـمس والقمـر

يجل حســناً عن الأشــباه والصور

وسابعة ينصح غيره إلى وجـوب قصر الحسن عليها، معللاً ذلك بأنها قد شارفت الغاية والمعدن في هذا الشأن:

لا تنسب الحسن إلى غيره

فعنـده الغــاية والمعــدن

وثامنة يخاطبها- مثبتاً لها صفة (التكامل) في جميع الخصال، التي تدفع الشمس والبدر يقبسان نوريهما من نورها:

الشــمس تقبـس نورها مــن نوره

والبــدر يحكيــه لعـز نظيــره

يــا من تكامـل في جميـع خصــاله

صـل مــن وصـلــت أنينـه بزفيره

.. ومرة نـراه يتوجه لها بالخطاب؛ ضارعاً بحسن وجهها، واصفاً إياها بروحه وريحانه، وسؤل نفسه، بقوله[1]:

---

(1) شعر محمد، 192، 173.

بحســن وجهك يا روحي وريحاني

وســؤل نفــسي في سري وإعلانــي

ويا ضياءين من شمس ومن قمــر

يحويها قـــده غصن مـــن البــان

وأخرى يذهب إلى نفي الإحاطة بدلائل حسنها:

ما تصل الألسن في الـ

ـوصـف إلى أكـثـره

كيف بمن تنتسب الـش

شـمـس إلى جوهره؟!

وثالثــة يسلط أضــواءه الكاشفة تجاه ما يبهره من كمــال صورته، وزهرة وجهها، وضياء وجنتيها، وحمرة خديها، وفتور مقلتها، وعطفة ناظريها.. وما يتألف منها -جميعاً- من معالم الحسن والجمال قائلاً[1]:

بكمــال صورتــه وزهــرة وجهـــه

وضيــاء وجنتــه وحمــرة خـــده

وفتــور مقلتــه وعطفـــة ناظـــر

يزهــو بمــا فـــي قــده مــن قــده

مــا قلــت أهــوى قبلــه أو بعـــده

حاشــاه أن يبقــي هوى مــن بعده

(1) شعراء منسيون، ص 180، 116، 138، 148، 168، 153، 147.

ومن التغني بهذه الدلائل الواضحة للمثل الأعلى في المحبوبة؛ إلى إظهار مدى التشوق، والحزن العميق، اللذين بات يستشعرهما بكار، وهو يضطر اضطراراً إلى تقليب طرفه يمنة ويسرة، فيمن حوله؛ عسى أن تقر عينه برؤيتها، بقوله[1]:

كفى حزناً إني مقيم ببلدة
أحباي عنها نازحون بعيد
أقلب طرفي في البلاد ولا أرى
وجوه أحبائي الذين أريد

ومن تقليب الطرف، بكل ما يوحي به من حيرة واضطراب، إلى الإحساس المفعم بعدم الإدراك، والتمييز لمدى مرور الزمن؛ بسبب ما وقع فيه المحب الهيمان من التقلي بنيران محبوبته، والتخشع لسطان هواها عليه، معبراً عن هذا، ونحوه، بقوله[2]:

لست أدري أطال ليلي أم لا
كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي
ولرعي النجوم كنت مخلا
يا غزالاً من القصور تجلى
صام طرف لناظريك وصلى
كن عزيزاً أكن ذليلاً فإني
كلما زدت عزة زدت ذلا

---

(1) شعراء منسيون، 130.

(2) شعراء منسيون، 134.

وقد أدى هذا الإحساس بانعدام قدرته على التمييز بطول الوقت، أو قصره، إلى إحساسه بالرغبة الجامحة في التسليم طوعاً، لأمر محبوبته، رائيا فيه دلالة قوة على إخلاصه لحبها، والتشوق لوصالها، مضيفاً إلى ذلك، ما نطالعه في موضع آخر من شعره، من إشارته البليغة إلى بعض مظاهر هذه الرغبة، قائلا[1]:

تعبدني أحور الناظر

فويلاه من طرفه الساحر!!

وأورثني فترة في العظام

من طرفه الفاتر الفاتر

ويعاني ماني من ويلات الصبابة، وتباريج الهوى القتال، ما يعانيه العاشق الولهان، مما يجعله فريسة للاكتئاب الممض، الذي يترك آثاره الخطيره على بدنه المنهك المضرج بالدموع، والآلام، والأسقام، توقداً لكبده، وإضعافاً لنفسه، وفقداناً لإدراكه، وسداد عقله، بقوله[2]:

مكتئب ذو كبد حرى

تبكي عليه مقلة عبرى

يرفع يمناه إلى ربه

يدعو وفوق الكبد اليسرى

يبقى إذا كلمته -باهتاً

ونفسه مما به سكرى

تحسبه مستمعاً منصتاً

وقلبه في أمة أخرى!!

(1) ديوان المصابين، 12.

(2) شعراء منسيون، 171.

ويكرر خالـد الكاتب عزفه على أوتار جانب من هـذه المعاناة القاسية، وهي تقرح كبده التي فتتها الوجد، الذي ألم بصاحبها، يقول[1]:

سـيدي أنت لم أقل سيدي أنـ
ـت لخلق سواك والصب عبـد
خـذ فـؤادي فقد أتـاك بـود
وهو بكر ما افتضه قط وجـد
كبـد رطبة يفتتهـا الوجـ
ـد وخـد فيه مـن الدمـع خد

وفي موضعـين آخرين[2] من شعره، يشير هذا الشاعر إلى ما أصاب كبده العليلة من الأسقـام، والأوجاع، والجراح المتواليـة، مما يجعلها في ذوبان تقاسي ما تقاسيه من ألم الوجد، وعناء الصدود، والتسخط، بقوله:

كبـد شـفها غليـل التصـابـي
بـين عتـب وسـخطة وعـذاب
كل يـوم تدمـي بجـرح مـن
الشـوق ونـوع مجدد مـن عذاب

وقولـه:

كبد المستهام كيف تذوب
ما تقاسي من العيـون القلوب
بـدن المستهام كيف تراه
شجـن ماله سـواه طبيب

---

(1) شعراء منسيون، 143.
(2) شعر محمد، 207 – 208.

ومـن الإشارة إلى الأكباد العليلة إلى الإيمان الناطق بلغة القلق، والتوتر إلى القلـوب القلقة، التي لم تعد تقر في مكانها المعهـود من أجسـام أصحابها؛ بسبـب ما أصابها من إعصار الوجـد، وتياراته المرجفة، التي تكاد تعصف بالأحشاء عصفاً يشعرها بفقدان القدرة على التوازن، وذلك ما نلحظه في إنشادنا قول الشاعر نفسه[1]:

فما أيسـت عيني بشيء من البكا

ومـا كان مـن فقد الرقـاد لها بد

ولا قـر قلبـي سـاكناً في مكانـه

ولا كان منسـوباً إلى غـيره الوجـد

وقولـه:

تقول: سلا فمن المدنف

ومن عينه أبـداً تذرف؟

ومـن قلبه قلـق خافق

إليك وأحشاؤه ترجف؟!

وفي مواضع أخرى من نفثات تجسيده مظاهر من هذه الشكوى، يطالعنا بالإشارات الموحية بما يمور بداخله من أنات قلبه، وتباريحه المتوالية، إضافة إلى أحاديث نفسـه إلى نفسه، وقد انشقت نصفين، يتضور أحدهما بنيران اللوعة، وأحاسيسهـا المترعة بالغصص والآلام الشديـدة، حيناً، وشكوى الضمير إلى مثله، والقلب إلى صنوه، وقد طرأ عليها ريح التشتت، والتمزق؛

---

(1) شعراء منسيون، 125.

بسبب ما يلاقيه من أسر الصبابة، وقيودها الصارمة، حيناً آخر، بقوله[1]:

أإن بان من تهـوى ركنت إلى الأسى

ونادى منادى الشوق قلبك بالذكر؟!

فمـا قـر مـذ فارقتـه في مكانـه

ولا كان إلا طائـراً ضل عـن فكري

أحـادث نفسـاً ترتقي كل سـاعة

فأحبسـها بـين الترائـب والنحـر

ويـبلغنيهـا غضتـي وكأنهـا

ملذعـة بـين الجوانـح بالجمـر

وقوله:

يشـكو الضميـر إلى الضميـر كما

يشـكـو الفـؤاد عـداوة البصـر

وقوله:

وقائـل لي: أيـن الصـبر قلـت لـه

كل الفؤاد من الأحـزان فاحتـرقـا

ومثله قول عبدالله بن أبي الشيص[2]:

إن لـم أرَ بفنـاء بيتـك واقفـاً

فالقلـب محتبـس عليـه وواقف!

---

(1) شعراء منسيون، 112، و110.

(2) شعراء منسيون، 154.

وبمداومة البعاد والهجران، وما يواكبهما من صدود -يستشعر الشاعر الهيمان لهيب الحرمان، يصعب به، ويجعله يرى نفسه، بحالته الشعورية الماثلة أمام ناظريه أشبه بذبالة تنضب، فتضيء لمحبوبته، ولغيرها من الناس، وهي تحترق[1]:

أحرم منكم بما أقول وقد
نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت
تضيء للناس وهي تحترق

وتغالب الأشواق المحب، فتجعله سقيماً نحيفاً هزيلاً، معذب القلب، يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، وتبلغ نفسه التراقي؛ بسبب أشواقه الجارفة إلى الفوز بملاقاة محبوبته التي ذاب فيها صبابة وهياماً[2]:

معذب القلب بالفراق
قد بلغت نفسه التراقي
وذاب شوقاً إلى غزال
أوضع للبين بانطلاق
لم يبق منه السقام إلا
جلداً على أعظم رقاق
لولا تسليه بالتبكي
آذنت النفس بالفراق

(1) شعراء منسيون، 144، 144، و159.
(2) ديوان المصابين، 219.

ويقع خالد الكاتب تحت سيطـرة الهوى القتال، مكابداً نيران الصدود، وآلامه، متقلباً بين زفرة حارة، وأنة واشتياق، وسقام، تتكاثف عليه، فتجعله محزوناً، يتلدد، واهن القوى، سكران، بغير سكر، غير مدرك تمام الإدراك معـالم ما حوله، ومن حوله من عالمين، والعجز يضرب بجناحيه في أعماقه، ضرباً مبرحاً، يدفعه إلى التوهم، وعدم القدرة على الحركة المعتادة، ذاهباً إلى أن أيدي المحن، والشدائد قد تمكنت منه، وتلاعبت به، واغتالت أحلامه، ولبه الشارد المذهول، فأخذت به إلى دركات مفجعة من التقسم، والتنازع، بين أجزاء جسمه، وروحه، وفكره التي أخذ بعضها يعاتب بعضاً، ويلومه، ويوبخه، بقوله[1]:

منعته مـن طاعة العاذلينا
زفـرة تتبـع الأنيـن الأنينا
واشتياق نما السـقام عليه
مجمعاً أن يذيب قلباً حزينا

وقوله:

لما عرفت سريرتي أقصيتني
وتركتني متلـدداً محـزونا
ثقة بأني لا أفيـق ولا أرى
ديناً لقلبي غير حبك دينا

---

(1) شعراء منسيون، 158.

وقوله:

يا مـن تجاهـل عمـا كان يعلمـه

عمـداً وبـاح بســر كان يكتمـه

هـذا خليلـك نضـواً لا حـراك بـه

لـم يبق مـن جسـمهً إلا تـوهمـه

وقوله:

لعبت بنا أيـدي الخطـو

ب وغالنا ريب الـزمان

وقوله:

أراني ذليـل النفس مـذ أنت غائب

وأية نفـس لا تذل علـى الهجر؟!

يعاتـب بعـضي فيك بعـضي وكله

إليك وحب العفو يســمح بالعـذر

وتخفيفـاً مـن حـدة الآلام، وشدة لذعها قلـوب المحبـين، وأرواحهم الهائمـة، نراهم يسكبون الدموع الغزيرة، في القرب، وفي البعد، كل على السواء؛ مما يصيبهم بالأذى المتلاحق، ويدفع أعينهم إلى الشعور بالسخونة، والتحـرق والإعياء.. وهو شيء وصفه ماني، ولسان حاله يترجم جانباً من واقعه الإنساني الذي اكتوى بنيرانه، قائلاً[1]:

---

(1) ديوان المصابين، 284 – 285.

ومــا في الأرض أشــقى مــن محــب

وإن وجــد الهــوى عــذب المــذاق

تــراه باكيـــاً في كل حـــين

مخافـــة فـرقـــة، أو لاشـتيـاق

فيبكــي إن نـــأوا شـــوقـــاً إليهــم

ويبكــي إن دنـــوا خــوف الفـراق

فتســـخــن عينـــه عنـــد التلاقـــي

وتســخن عينــه عـنـــد الفـراق

ومثله، في هذا الشأن، ونحوه، أبو حية النميري، الذي لاحظ أن دموعه باتـت تنزل من عينيـه المقرحتين متلاحقـة، تواكب ما يمر بـه من مواقف معاناته مـع محبوبته، فأخذ يكفكف من دموعه؛ مشفقـاً على نفسـه، التي راح يراودهـا، ويحاول الحيلولة بينها، وبين مواقـف الحزن والبكاء، التي أوشكت أن تودي بحياته، وتوصله إلى دركات سحيقة خطيرة من عجزة، وشقائه، بقوله[1]:

اســتبق دمعــك لا يـــود البكـــاء به

وأكفف بــوادر من عينيك تســتبق

ومـــا الدمــوع وإن جــادت بباقية

ولا الجفـــون على هــذا ولا الحدق

---

(1) شعراء منسيون، 180، 181، 175، 186، و139.

وانتقل، في موضع آخر من شعره، يكشف عن معالم صفحة جلية من ذاته، وقد مر، مرتحلاً ببعض معالم محبوبته، فهاجت خواطره، وثارت مشاعره جياشة، مما اضطره إلى التذرع بالبكاء الغزير، غير أنه قد عمد جاهداً إلى كتمانه، والسيطرة عليه، متماثلاً، بعض الوقت، ثم بدا له أن انسكاب الدموع، في هذا الموقف الجلل، هو أقل خطراً، وأهون ضرراً عليه من احتباسه، الذي يؤدي إلى جعل ضلوعه تتقضقض، وجسمه يرتجف، بقوة، لوعةً، وأسىً وزفرة حنين، وضراعة، ولهفة، قائلاً[1]:

ولما رأى أجيال سنجار أعرضت

يميناً وأجيالاً بهن سروج

ذرى عبرة لو لم تفض لتقضقضت

حيازيم محزون لهن نشيج

أما عبدالله بن أبي الشيص فقد اتجه إلى الطرف الآخر/ محبوبته؛ ليصور جانباً من أحوالها، وقد أنهكها الشوق، وأذابها الوجد، مثله، فجعلت تواصل بالدموع دموعاً، بسبب ما آل إليه أمرها من ضعف وجزع، مستدركاً بمستمعه بأن ما تراءى لناظريه من دموعها إنما هي دموع أنثوية معصفرة بدماء، تختلط فيها الحمرة، بالبياض والسواد، وتنتظم كخرزات عقد عقيقي مفصل بالدرر، بقوله[2]:

---

(1) شعر محمد، 214.

(2) شعر أبي حية، النص رقم (30).

جعلـت تواصـل بالدمـوع دموعـا

جزعـاً ولـم تـك قبـل ذاك جزوعـا

وجـرى لهـا دمـــع يعصفــره دم

في صحــن وجنتهـا فعـــاد نجيعـا

فكأنــه خـــرز العقيـــق مفصـلاً

بالدر يحســب ســلكــه مقطـوعا

وراح خالـد الكاتب يصور جانباً من غمـرة إحساسه المفعم بالتأسـف، والتكسر، والوهــن، والضعف، والتقسـم والدعاء الضارع لله (سبحانه)، عسى أن يمن عليه بنعمة الشفاء مما ألم به من أسقام وعلل، قائـلاً[1]:

هـــذا محبـك مطـوي عـلـى كمده

عـبرى مدامعه يبكي على جســده

لــه يـد تســـأل الـرحمـــن راحته

ممــا بـه ويـد أخـرى عـلى كبـده

يا طول زفرته مـن طـول حسرته

ومـا أعـد لــه في يـومـــه وغـــده

يا مــن رأى أسـفــاً مستبعداً دنفاً

كانـت منيتـه في عينــه ويـــده؟!

(1) شعر أبي حية، النص رقم (9).

وانتقـل، في موقف إنساني وأدبـي آخر، يدعو على نفسه راضياً بتنغيص العيش، ومرارتـه، إن خطر عليها (الوسوسة) بنسيـان محبوبته، أو الهمس بالتسلي عن حبه لها، والإخلاص لودها، متسائلاً، في استنكار بالغ: كيف يقـدم، كارهاً، أو مختاراً، على هذا التسلي، وذاك النسيان المستحيلين، وقد استكن هوى محبوبته بـين جوانحه، ناطقاً بما يتراءى للأعين من بكاء حار، بين فينة وأخرى، تخفيفاً من لوعته، وتلظي جوارحه المشتاقة إليها[1]:

لا صفا لي العيش إن لم
أك مـشـتـاقـاً إليكـا
كيـف أنســاك وما بالـ
جسـم يحكـي مقلتيكا
ودمــاً أصبـح دمـعـي
ظاهراً في وجنتيـكا..؟!
أنــا منـسوب إلـى حـب
بـك مـوقـوف عليـكا..

ومن الدعاء على نفســه، والتساؤل الغاضب عن شأن جانب حيوي من واقعــه ومآله، علـى لسان خالد، إلى اللجوء إلى مناجــاة الفكر، على لسان ماني، الذي يصف كيف تحير الدمع بمقلتيه، تحيراً يترجم جانباً ملموساً بارزاً مــن تحير أمره، وتشتت فكره، وشعور بالقلق المتزايد، موقوفاً على مكابدة الأشواق، وما يترتب عليها من آلام، وأوجاع[2]:

---

(1) ديوان المصابين، 217.
(2) شعراء منسيون، 131.

وقمت أناجي الفكـر والدمع حائر

بمقلة موقوف عـلى الضر والجهد

وفي وقوفنـا عند صفحات أخرى من ديوانهم الشعري -نلاحظ إلى أي مدى سجلت بصائرهم الفنية، بوعي، وإدراك فائقين وقوعهم تحت دائرة التجني، والجبروت المسلطة عليهم، من قبل محبوباتهم، اللائي يأتين (رمزاً فنياً)، متجدداً الدلالة، فيما يبدو، لجانب اجتماعي، أو اقتصادي، تسلطي قاهر، عانى هـؤلاء الشعراء من ويلاته، وطغيانـه؛ ولذلك راحوا يدبجون الأشعار؛ تعبيراً عن إحساسهـم الممض بمدى التضارب الملحوظ في سلوك كل منهـم، على حدة، في تعامله مع الآخـر، وأعني به المحبوبة، وقد خيل لهـا، أو لهن، أن إظهار وسائل التودد إليهن صار ذنباً كبيراً يستحق المحب المشوق عليه عقوبة صارمة، كما أنشد أبو حية[1]:

ليالـي أهلانا جميعاً وحولنا

سوائم منها رائح وغريـب

وإذ يتجنبن الذنوب ومالنا

إليهـن إلا ودهن ذنـوب

أمـا عبدالله بن أبـي الشيص فقد وصف جانباً من صـورة محبوبته المتأبية الطاغيـة الظالمة، وقد بدت معرضة عنه، مجافية لـه، ظانة أن الهجر قرض، تقتضـي به مـن جراء ذنـب لم يرتكبه، وتلاحقـه بالتمـادي في الإعراض

(1) شعراء منسيون، 161.

والصدود والهجران[1]:

ومعرضة تظن الهجر قرضاً

تخال لحاظها للضعف مرضى

كأني قد قتلت لها قتيلاً

فما مني بغير الهجر ترضى!!

وغدا جعيفران إلى تصوير مشهد وداعي حزين جمع بينه وبين محبوبته، يوماً، وقد ظهر منها على تباعدها عنه، من أطراف مخضبة بالحناء، أو غيرها، وتجافت عنه مولية، تستشعر حرقة البين، ولوعة الفراق المضنية، مودعة دون هم، أو نطق بلسانها المبين شيئاً، مكتفية بتحيته الجميلة، والإيناس بما أوحت به عيناها الساحرتان من كلام، يعجز غيرهما عن ترجمته، وفك أسراره، والوشاية به، والإيقاع بينهما؛ بسببه قائلاً:[2]

أبدت على البين أطرافاً مخضبة

لما تولت وخافت حرقة البين

وودعتني وما همت وما نطقت

وإنما نطقت وحياً بعينين

بلى فلو أومأت نحوي بإصبعها

إيماءة ختلت عنها الرقيبين

---

(1) ديوان المصابين، 268.

(2) شعر أبي حية، النص رقم (3).

ويقدم خالد الكاتب على مشهد وداعي مماثل؛ فنراه يتوقف مع قلبه الحائر المضني، وقفة تأمل، وتدبر، وتساؤل، وتحسر وإشفاق، مسائلاً إياه عما هو صانع في غده الآتي بحتفه، ومجدداً السؤال والرجاء الموصولين لمحبوبته القاسية؛ عسى أن تشفق عليه، وترحم ضعفه وشكايته، مختتماً بإبداء آيات ضراعته لله ذي الحول والطول؛ عسى أن يهبه من نعمته وفضله صبراً وسلوانا[1]:

غداً أيها القلب ما تصنع
أتصبر للبين أم تجزع؟!
كأني بصبرك في أمرهم
مودع غير الذي ودعوا
أما راقب الله يوم الفرا
ق فيمن هو المدنف الموجع؟
أيا رب لا عبرة تنفع
ولا دعوة فيهم تسمع؟!

وانتقل، في موضع آخر من شعره، يصور بإيجاز وإيحاء بالغين، كيف وقف هو ومحبوبته، في مشهد وداعي آخر يتبادلان الآهات والزفرات، والدموع والشكاية، قائلاً[2]:

وقفنا وثالثنا عبرة
ويشكو إلى وأشكو إليه

---

(1) ديوان المصابين، 216.
(2) شعر جعفر، 122.

وفي الوقت نفسه نلاحظ، في تأملنا ببعض معالم ديوانهم الشعري، مدى مواكبتهم معاصريهم وسابقيهم من الشعراء المتيمين والعشاق الملتاعين؛ بلجوئهم إلى تبادل الرسل والهدايا الرمزية، وممارسة بعض طقوس العشق والصبابة المتوارثة.. وإن جنحوا بها وجهة أخرى؛ يترجمون بها جانباً، أو أكثر من جوانب محنتهم الكؤود، مصابين يتجرعون كؤوس العلل والأسقام، تتعالى زفراتهم الصادرة من أعماقهم المكلومة، مجسدة مظهراً ملموساً من مظاهر معاناتهم، وضعفهم، وتقطع أنفاسهم.. ومن ذلك ما يطالعنا به خالد الكاتب بإشارته إلى الاستعانة بزفرة حارة، ونفس خافت مصدور رسولاً صادقاً أميناً؛ يؤدي رسالته المحملة بتباريح صدره، ولواعج وجدانه إلى حبيبته، بقوله[1]:

إنـي إذا لـم أجد شـخصاً لأرسـله

وضاق بـي منتهى أمري وملتمسي

لمرسـل زفـرة مـن بعدهـا نفـس

يا ليت شـعري هل يأتيكم نفسي؟!

وانتقل، في صورة شعرية غزلية أخرى، إلى الاستعانة بدمع عينه المتواصل رسولاً؛ ينطق بحرارة مشاعره، وصدق أحاسيسه، وحسن مؤمله من محبوبته[2]:

---

(1) شعراء منسيون، 152.

(2) شعراء منسيون، 190.

دمــع عينــي كان مشتا

قــا إلى قـــرة عــيني

إنــــه كــــــان رســـــولاً

بينـــه الدهـــر وبينـــي

أما أبو حية فقد اتخذ الرياح العليلة، بعبقها الطيب الفواح رسولاً، شاهداً عليه، يبلغ محبوبته ما يمور بداخله من محبة شديدة، وأشواق غامرة نحوها[1]:

إذاريدة من حيث ما نفحت له

أتاه بــريــاها خليل يوصله

ويشير خالــد الكاتب إلى تفاحة (مجرحة) بعثت بهــا محبوبته إليه، منوها بوقعها الطيب، وفعلها الحسن على قلبه وروحه[2]:

تفاحــة جرحــت بالدر مــن فيــها

أشــهى إلي مــن الدنيــا ومــا فيهــا

كما يلفتنــا إلى بعض مواقفه الغرامية الحانية النــادرة، التي شهدت تبادل التحيات القلبية العامرة بالبهجة، والإيناس المفقودين، في كثير من الأحيان، مستعيناً بالورود المتألقة المنداة بقطرات الندى لسان محبة وأشواق، غامرة، وضمير ذوق رفيع[3]:

عشــية حيــانــي بــورد كأنــه

خــدود أضيفت بعضهــن إلى بعض

---

(1) شعراء منسيون، 148.

(2) شعراء منسيون، 185.

(3) شعر أبي حية، النص رقم (50).

ومواكبـة لهذا، ونحوه - نراه يوجه خطابه الشعري المشحون بالشجن، والحنين إلى من يراهما أهلاً لتلبية ندائه من محبيه، وخاصته؛ عسى أن يريا فيه (هدياً) صالحاً للفداء، والتضحية، والإيثار، يستعينان به على الوفاء بالحقوق المفروضـة عليهما؛ تقرباً إلى محبوبته، وتزلفاً، بعد مماتها، وفوزاً بما حرم منه في سنـي حياته الدنيا مـن وصال عزيز، وأمن منشـود، يعيدان له بعض ما افتقده، أو يصبو إليه في غده[1]:

احملاني إن لم يكن لكما عقر
إلى جنب قبـره فاعقرانـي
وانضحا من دمي عليه فقد كا
ن دمي من نداه لو تعلماني!!

ومـن هذه الرغبـة الجامحة في التواصل المنشود مع حبيبتـه حياً وميتاً، إلى الكشـف، بجلاء، عـن بعض مواقفهم الأخرى التـي نراهم فيها، كغيرهم مـن المولهين العشاق، مدفوعين إلى الفـوز -واقعاً، أو فناً- بريا محبوباتهم، وشهد رضابهن، وريقهن العذب، يترشفون برحيقه الطيب جزءاً، يداوون بـه علتهم، ويـروون به ظمأهم، ويشفـون به غلتهم الصاديـة التي حالت ظروفهم الخاصة دون تحقيقه.. ومن ذلك ما يطالعنا به ماني، الذي وصف جانبـاً من سعادته، ونهمه البالغين في تقبيـل مبسم محبوبته، والتلذذ بنكهة فمها العذبة، مهما كلفه ذلك من وزر، في الدنيا والآخرة[2]:

(1) شعراء منسيون، 187.
(2) شعراء منسيون، 150.

ولقد قلت حين قبلت منه

مبسماً مثل نكهة النمام

رب إن كان ذا حراماً فإني

أشتهي أن تخصني بالحرام!!

أما خالد الكاتب فقد أشار إلى أن فوزه بتقبيل فم محبوبته، والتغني بذكره قد انقلب عليه وبالاً؛ ما بعده وبال، بات يتجرع فيه كئوس الضنى والعذاب[1]:

عذابي بعذب الذكر عذب المقبل

ومن سهمه الريان من دم مقتل

.. وتعويضاً عن بعض أسباب هذا الوئام الإنساني المفتقد بينهم وبين نساء عصرهم، وبناته، وتعبيراً عما يمور بداخلهم من مشاعر فوارة، كانت تنطق بالقلق المتزايد، والتوتر المتصاعد -لجأ بعض هؤلاء الشعراء إلى بث خواطرهم، ومداد مشاعرهم وجهة أخرى، تتجاوز الخلق الموصوفين على ألسنة هؤلاء الشعراء، وغيرهم، بالظلم، والتجاهل- إلى الخالق (عز شأنه)، الذي لا يخيب قاصده، ولا يتعثر محبه، ولا تضل خطواته، وهي الوجهة التي جسدتها بعض أشعارهم التي تنتظم فيما عرف بالحب الصوفي، أو الحب الإلهي، الذي أراه -ولعلي على حق في هذا- لبنة فنية أخرى تؤكد إحساس هؤلاء الشعراء بالغربة بمظاهرها، وأسبابها المختلفة، وما يواكبها من قلق متزايد، وشك مرضي متصاعد تجاه أبناء عصرهم، الذين أساءوا

---

(1) شعراء منسيون، 184.

معاملاتهـم، وساعدوا في مضاعفة شعورهم بالبأسـاء، والضراء، والكرب المتلاحـق، الذي يواكب معاناتهم من علة الوسوسـة؛ مما دفعهم إلى محاولة التسامـي، بقصد، وبصيرة نافذة، ونفس راضية مطمئنة، بعد طول التياع، وتوجس، وتشك إلى رحـاب قدسية جليلة هي رحـاب (الذات العلية)، تبادلهـا حباً بحـب، وقرباً بقرب، ونجـوى بنجوى.. فها هـو ذا سمنون المحب ينفض يديه من التعامل مع بني جنسه، من الآدميين؛ بعد طول معاناة معهـم، ويأس، وإحباط، ويشعـر، ببصيرته النافـذة، أن المستحق الأوحد للإجـلال، والتقديس، والمحبة الخالصة هو الله الفرد الصمد (جل جلاله)؛ لذلك فهو يحث عينيه اللتين طالما بكتا؛ تسلية له في مواقف مختلفة سابقة- علـى سح الدموع غزيرة، ويحض نفسه على التفاني ذوباناً ووجداً، بمحبته (سبحانه)، قائلاً[1]:

يـا عـين سـحـي أبـداً
يـا نفس موتي كمـدا
ولا تـحـبـي أحـدا
إلا الجـليـل الصمـدا

أمـا سعدون فقد أشار إلى أن أنسه بالله (تعالى) قد أغناه عن مخلوقاته؛ لذا فإنـه يداوم على التمسك بحبال محبته له (سبحانه)، ويحرص على وصاله، ومداومته على الفوز بقربه، وحرصه على الاهتداء إلى سبيله[2]:

---

(1) شعر محمد، ص 188.
(2) شعراء منسيون، 174.

أنســت به فلا أبغي سواه

مخافة أن أضـل فـلا أراه

وفي موقف شعري آخر، أكثر تفصيلاً، يصرح بمدى (ملالته) من الإيناس بحـب البشر؛ مما دفعـه إلى هجرهـم، في سبيل الفوز بمحبـة الله الوهاب، والتشـوق إليه (سبحانه)، متحملاً في ذلك مـا لا يتحمله غيره من مفارقة النـوم، ومصاحبة السهد، والأرق، والضني والسقام، وما يؤاكبه من شرود الذهـن، واختلاله، ممـا عرضه لسخريـة الساخرين، ووشايـات الواشين، ولسـان حاله ينطق، بوحـي وإيماء، وإشارة بليغة لا يفطـن لدلالاتها المبينة سـوى أمثاله من المتيمين الخلصاء، إخفاء لمـا يستكن بين الضلوع من حب مقدس سام، وغرام مبرح متنام، ترك آثاره البارزة في جسده النحيلً[1]:

هجـرت الورى في حب مـن جادً بالنعم

وعفــت الكـرى شـوقاً إليـه فلم أنم

وموهــت ذهنــي بالجنون على الـورى

لأكتــم ما بي فــي هــواه فما انكـتم

فلمـا رأيـت الشــوق بالحــب بائحاً

كشـفت قناعــي ثـم قلـت: نعـم نعم

فإن قيل: مجنون فقـد جنني الهـوى

وحرمــة روح الأنس في حنـدس الظلم

---

(1) رائق الشهد، 42.

لقـد لامنـي الواشـون فيـك جهالـــة

فقلت لطرفي: أفصح العذر فاحتشـــم

فعاتبهـــم طـرفي بغـير تكلـــم

وأخبـرهـم أن الهوى يـورث السـقـم

ومواكبـة لذلك راح سمنون لاهجـاً بلغة الدموع والأشـواق، يستعين بمفرداتهـا الفريدة علـى تخفيف بعض لواعجه، وأحزانـه التي خلفتها فيه أحاسيس العشق، ومواجده، واصفاً نفسه بالمعذب بنيران الهوى المسعورة، التـي طالمـا ابتلي بلهيبها من جزاء مخالصته الحب لمـن يعجز عن معاتبته، أو مجرد التفكير في صده وهجراته[1]:

بكيت ودمع الشـوق للنفس راحة

ولكن دمـع العين ينكي بـه القلب

وذكـرى لمـا ألقـاه ليـس بنافـــع

ولكنـه شيء يهيـج بـه الكـــرب

ولـو قيل لي: ما أنـت؟ قلت: معذب

بنـار مواجيـد يضـرمهـا الغيـب

بليـت بمـــن لا أسـتطيع عتابـــه

ويعتبنـي حتـى يقـال: لـه الذنب

---

(1) ديوان المصابين، 161.

ونـراه، في موقف شعـري مماثل، يعـاود الإشارة البليغـة إلى لغة العتاب المتبادلـة -في ضميره- بينه، وبين محبه الأعظـم، منوهاً بأن هذا العتاب إنما يزيـد من انشراح صدره، وقرة عينه، وهدوء نفسه، ويجعله مبتهجاً بلذات الصبابة، مسروراً بنشوة الإيناس، وعبق الوداد[1]:

يعاتبنـي فينبســط انقبـاضي

وتسـكـن روعتـــي عنـد العتـاب

جـرى في الهـوى مـذ كنـت طفلاً

فمــا لي قد كـبرت عــن التصابي؟!

ونلاحظ، في تأملنا بمواضع متعددة من ديوانهم الشعري، مدى مواكبتهم بـين أجواء هذا العشق النوراني بمفرداتـه، ومعالمه المشار إليها، في الفقرات السابقة، وبين تلك (المناجاة) الفريدة التي درجوا على إجرائها، بين الحين، والآخـر، كاشفين بها عـن بعض صفحات ذواتهم المشرقـة، حالتئذ، وقد تيمها العشق الإلهي، وسمـا بها إلى رحابه المقدسة؛ فأحسنت التقرب إليه (سبحانه)، مدفوعة بما يراه أصحابها، أو بما نراه من أحاديثهم الهامسة، التي تميط اللثـام عما يستشعرونه من مراقبة إلهية دائمـة شاملة لكل حركاتهم، وسكناتهم، وظواهرهم، وبواطنهم، آخـذة إياهم إلى آفاق متسامية عزيزة مــن الورع، والحياء، وإخلاص العبادة، والمودة، والرغبة في مواجهة المحن والشدائد، التي تورث أصحابها قوة بعد قوة، ويقيناً ما بعده يقين، ولسان

---

(1) ديوان المصابين، 158، 159.

أحوالهــم الأنس به (تعالى) والتلبية بذكره، والفــوز بنعمة رؤيته بذواتهم، وفي كل مــن حولهم، وما حولهــم من مخلوقات، تسبــح بحمده، وتنطق بجلالــه، وعظمتــه، والرضا بطول المجاهــدة في سبيل محبتــه والانقلاب الحســن بنعمته، ورضوانه، ومداومة وصاله المحمود.. ومن ذلك ما نطالع أصداءه في قوله:[1]

كأن رقيبــاً منــك يرعــى خواطري

وآخــر يرعــى ناظــري ولســانيــا

فما خطرت مــن ذكر غيرك خطرة

عــلى القلــب إلا عرجــا بعنانيــا

وقوله:

ضاعف على بجهدك البلــوى

وابلغ بجهدي غاية الشكوى

واجهد وبالغ فــي مهاجرتي

واجهر بها في السر والنجوى

فإذا بلغــت الجهد في فلــم

تترك لنفسك غاية قصوى

فانظر فهل حــال بي انتقلت

عما تحــب بحالة أخــرى؟!

---

(1) ديوان المصابين، 173174.

وقوله:

لا لأني أنساك أكثر ذكرا

ك ولكن بذاك يجري لساني

أنت في النفس والجوارح والفكـ

ـر وأنت المنى وفوق الأماني

فإذا أنت غبت عني عياناً

أبصرتك المنى بكل مكان

ومثله كثير[1].. مما لم يتفرد به سمنون المحب، وحده، وإنما شاركه فيه صنوه سعدون، الذي يطالعنا في أكثر من موضع من شعره بندائه الشجي الذي يرسله حانياً؛ (مناجاة) لربه، (سبحانه) واصفاً إياه بما يليق بفضله، وإحسانه، وجلاله، وكماله، وقدرته المتفردة على رؤية باطن اعتقاده، ومنتهى أمر فؤاده، وشآبيب رحمته، مبتهلاً إليه، وكله ضراعة، وخشوع، وإخلاص، عسى أن يصلح فساد ما اعوج من أموره ويمن عليه بما يحفظ عزته، ويصون بهاء وجهه في الدنيا والآخرة بقوله[2]:

يا من يرى باطن اعتقادي

ومنتهى الأمر في فؤادي

أصلح فساد الأمور مني

ولا تدع موضع الفساد

---

(1) ديوان المصابين، 170.

(2) ديوان المصابين، 197، 196، 136، 193.

وقوله:

يا من كلما نودي أجـابا

ومن بجلاله ينشـي السحابا

ويا من كلم الصديق موسى

كلاماً ثـم ألهمه الصوابا

ويا من رد يوسف بعد ضر

على من كان ينتحب انتحابا

ويا من خص أحمد باصطفاء

وأعطـاه الرسالة والكتابا

وقوله:

أتتركني وقـد آليت حلفـاً

بأنك لا تضيع من خلقتا

وأنك ضامن في الرزق حتى

تؤدي ما ضمنت وما قسمتا؟!

وإنـي واثـق بك يا إلهـي

ولكن القلوب كما علمتا..!!

وقد تفرعت من دوحة هذا العشق الصوفي المتسامي شجرة ظليلة حانية، جنـح فيها هـذا الشاعر / سعـدون، إلى رحاب سامقة، غـير متناهية، تبعد عـن مـدارك الكثيرين من الخلـق، في كل زمان ومـكان، ألا وهي جنة الله

(سبحانـه) التي أعدها لعبـاده المخلصين، ثواباً لهـم، وتسلية عن بعض ما لاقوه من مواقف الحرمان، التي طالما عانوا منها في حياتهم الدنيا..

وكأني بهـذا الشاعر، ونحوه، في مسلكه الفنـي الذي خصص له بعض نصوصه الشعرية يسلي نفسـه، وأترابه من المبتلين، والمصابين، والمنسوبين إلى كل مـن الجنـون والوسوسـة، وما واكـب ذلك، وغيره مـن افتراءات المفترين، وادعـاءات المدعين، وبذاءاتهم المترامية عليهم، بوسائل، ومظاهر مختلفة.. كأني به يعزي نفسه، ويروض قلبه، بما أعده الله (تعالى) لمن صبروا، واحتسبـوا، وجاهـدوا في سبيلـه، وأحبـوه، وتعلقـوا بمودتـه، في سرهم ونجواهم، وأفعالهم الصالحة، ودعـوه مخلصين، رغبة، ورهبة، وزهدوا في متع الحيـاة الدنيا الزائلة، وعاشوا بنفس راضيـة مطمئنة، أو لائمة تحررت مـن هواجسها، ووساوسها، وقلب سليـم خلا من الغل والحسد، واطمأن بذكر الله (جـل شأنه)، وذكر أنعمه، والإقرار بوحدانيته، وكماله، وجلال وجهه، وعظمة سلطانه؛ ولذا فقد سلط نواظر بصيرته، لتكشف له، ولقراء شعـره، عما لاح له في (أفق ذاته) المستنيرة من معالم جنة الخلد، وخاصة ما افتقد نظائرها في حياته الدنيا من أولئك الجواري، من الحور العين الفائقات حسنـاً، وجمالاً، وقـد بدت كل واحدة منهن في غاية مـا يتمني من فتنة، وزينة، وتألق، تداعب من أعدت، وهيئت له من أهل الجنة، ولسان حالها: طبت، فحسن ثوابك.. ونحو ذلك مما نطالعه بقوله[1]:

---

(1) ديوان المصابين، 176، 184، 187 – 190.

إن فــي الخلـد جـاريــه

هــي حـــســن كمــا هيــه

لــو تراهــا عــلى النــمــا

رق بالغنـــج مــاشــيــه

لــتــمــنــيــت أنــهــا

لـــك مـــا عشـــت بــاقيــه

كتبــت فــي شــقــائق الــ

ـخلـد ســـطراً بغــاليـــه

أنــا لـلــزاهـــد الـــذي

عينــه – الــدهـــر باكيـــه

وقوله:

تفهــم يــا أخــي وصــف المـلاح

وقــد ركبــوا النجائــب في الوشـــاح

مــن الحــور الحســان منعمــات

تفــوق وجوههــا ضـــوء الصباح

براهــن المهمــين مــن عبيـــر

وشرفــهــن حقــاً بالفــلاح

وقوله:

قبـــة مـــن جواهـــر الخلـ
ـــد بـــالــــدر رصـــعـــت
حجبـــت كـــاعب مـــن الـ
ـــحور فيـــهـــا فـــأبـــدعـــت
عـــجـــب الحســـن والجمـــا
ل إذا مـــا تـــطـــلـــعـــت
متـــع الحـــب بـــالحـــبـــيـ
ـــب كـــمـــا تمتـــعـــت

وقد نجح هذان الشاعران في تشكيل هذه اللوحات الفنية الأخيرة؛ إبرازاً لموقـف، أو أكثر، من مواقفهم الإنسانية، والأدبية، وقد تحررت ذاتهما من قيودها الصارمـة المفروضة عليها، من داخلهمـا، أو خارجهما، وانبعثت مولوداً جديداً من رحم (التجربة التأملية) الرحبة، التي عايشاهما، ولتصل، متأخرة، أو غير متأخرة إلى درجة ثابتة، مطمئنة من اليقين الإنساني المأمول، الـذي يخفف عـن أصحابه جـزءاً من غلـواء إحساسهم المتجـدد بالغربة الـكأداء، والقلق، والتوتـر، والتساؤل الحائر المستمـر، عن مصائرهم، في غمرة معاناتهم من الوساوس، وترهات الجنون، واختلاط المدارك..

غير أن هذا النجاح النسبي المؤقت -في نظري لا يجب أن يبعدنا، كثيراً، عن الإطار العام الذي دارت حوله مضامين صورهم الشعرية التي عرضنا

لها، في دراستنا لجوانب من (بوحهم الذاتي)، الذي فاض بشكواهم المرة، من ويلات معاناتهم الظاهرة، وشبه الظاهرة، مما رموا به، ونسبوا له من جنون ووسوسة، فعبروا عنه، في مواقفهم الشعرية السابقة، بما يجسد توترهم، وقلقهم ويؤكد صحة جانب مما رأيناه، في ختام المبحث السابق، من اقتراح (مفتاح شعري) يسهل لنا آفاق تذوق شعرهم، وتحليله، ويدفعنا هذا التأكيد إلى حاجتنا إلى إعادة طرح هذا السؤال، الذي استهللنا به مبحثنا هذا، من جديد، وهو:

إلى أي مدى تأثر هؤلاء الشعراء بعلتهم، عند إنشادهم نصوصهم الشعرية، التي واكبوا بها انخراطهم في روح عصرهم، وبنائه الاجتماعي، والفكري.. والقيمي..؟!

وهو السؤال الحيوي الذي نخصص لإجابته صفحات المبحث التالي، إن شاء الله..

2 ـ شعرهم الاجتماعي

واكب الشعراء الموسوسون العباسيون اتجاهات معاصريهم، وبعض سابقيهم في إسباغ مظاهر الثناء على ممدوحيهم، رائين فيهم مظهراً، أو آخر، من دلائل (المثل) الاجتماعي، أو السياسي، أو الديني الأعلى المنشود..

غير أن قارئ ديوان هؤلاء الموسوسين ـ يدرك إلى أي مدى ارتبطت مدائحهم، بقصد، أو بغير قصد، بخيوط قوية، نبعت من ذواتهم المكلومة والمتضررة من أعباء ما وصفوا به، أو نسبوا إليه من علل وأسقام؛ مما دفعهم

إلى التأثـر، في طيات هذه المدائح ببعض ما انتابهم، حيناً من قروح خلفت في داخلهـم، وعلـى مرأى مـن أجسامهم، حريصين علـى تقسيم أكثر ما وصـل إلينا من لوحاتهم الشعرية المدحية قسمين متكاملين، أولهما: يتصل بذواتهم، ومـا أصابهم من العدوى، أو الفقر، والحرمـان، والسأم، ونفاد الصبر ومرارة السؤال، والقيود الاجتماعية الصارمة..

والآخـر: يقصد ممدوحيهم، وقد رأوا فيهم معقل آمالهم، وطوق نجاتهم ممـا تهاووا فيه من دركات المرض، والعـوز المهلكة.. ومن ذلك ما نلحظه بإنشادنـا لامية جعيفران، التي مدح بها أبا دلف العجلي، مصوراً إياه كريم النفس واليدين، جواداً، سخياً، متناهي العطاء، صانه من الوقوع، متهالكاً ذليلاً، يتكفف الناس، قائلاً[1]:

يا معدي الجود على الأموال

ويا كريم النفس في الفعـال

قد صنتني عن ذلـة السؤال

بجـودك المـوفي على الآمـال

وفي دالية موجزة أشار إلى ممدوحه وما وصف به من غاية الكرم، ومنتهى الفضـل، مجسداً في مدحـه إياه صفة من صفات بعض الموسوسين، وهي الجنوح للمبالغة، أحيانا وذلك برفع ممدوحه عن درجة الإنسانية، أو البشرية المعهودة، إلى أفق أسنى من (الألوهية)، معرجاً في صدر مدحته على صفحة

(1) ديوان المصابين، 143، 133، 135.

من صفحات ذاته المفجوعة، بقوله[1]:

يـا أكرم الأمة مـوجـودا

وأفجع الأمــة مفـقودا

لما سـألت الناس عن واحد

أصبـح في العـالم محمودا

قـالـوا جميـعاً: إنه قـاسم

أشبه آبـــاءً له صيـدا

وانتقل في (مقصورة) إلى وصف ممدوحه نفسه بالسيادة، والمجد، وسعة البذل، والجـود، وما يتصل بذلك من كثرة استقبال الأضياف، وإكرامهم، مصـدراً مدحته بصفحة ذاتية، تتعلق بنفسـه العفيفة التي تعاني من ويلات الفقـر، والملال، والصـدود من قبل من يعاشرهم، الذيـن يسيئون معاملته، قائلاً[2]:

أبـا حســن بلغـن قـاسماً

بـأنــي لـم أجفـه عـن قلي

ولا عـــن مـــلال لإتبانـــه

ولا عن صـدود ولا عن عني

ولكـــن تعـففت عن مالــه

وأصـفيتـه مدحتــي والثنا

---

(1) ديوان المصابين، 164، 139، 140، 136.

(2) شعر جعفر، 114.

أبـــو دلــف سـيــد مــاجــد

سنــي العطية رحــب الفنــا

.. واستهل ماني مدحه لمحمد بن عبدالله بن طاهر (ت253هـ) بمطلع حكمي، مما يجري مجرى الأمثال، ذاهباً، من خلاله، إلى النصح والتوجيه لمستمعيه بوجوب تخفيف زياراتهم للأصحاب، جانحا صوب الاستعانة ببعض المفردات ذات الارتباط الوثيق بمجريات حياته ولاسيما فيما نلحظه من إشارته إلى (الإدمان)، و(الإملال) مثنياً على ذلك ببوح (ذاتي)، ووصف فيه جانباً من وحدته التي يعيش فيها حبيس الآمال، ينتظر نعمة ممدوحه الأمير الذي يصله برفده، فيخفف عنه بعض شجونه وأحزانه، ويعيد له أنسه السليب، بقوله[1]:

مدمــن التخفيـف موصول

ومطيـــل اللبـــث مملــول

ليـس لي إلــف فيعطفنـــي

فارقــت نفــسي الأباطيـل

أنا موصـــول بنعمــة مــن

حبلـــه بالمجـــد مــوصول

أنـــا مغبـوط بنعمــة مـــن

طبعـــه بالخيـر مأمــول

وانتقل، في (فائية) موجزة، إلى مدح إبراهيم من المدبر (ت275هـ) واصفاً إياه بما هو أهله من كرم، وسخاء، معرجاً، في الوقت نفسه، على صفتين

(1) شعر جعفر، 102.

اثنتين لصيقتين ببعض الموسوسين، ألا وهما كثرة النظر في الأشياء، بتأمل، والشعور بالحرمان[1]:

ليت شعري أي قوم أجدبوا
فأغيثوا بك من طول العجف!!
نظر الله إليهم دوننا
وحرمناك لذنب قد سلف

أما خالد الكاتب فقد أشار، في معرض مديحه الحسن بن وهب (ت 250هـ)، بما صار يستشعره، لسبب، أو آخر، من نفاد الصبر، والتبرم، وضيق الحيلة، قائلاً[2]:

ما إن دعوتك إلا حين أسلمني
صبري ولم أبك إلا حين لم أنم

وفي مديحه محمد بن موسي بن حفص -نراه ينيف على ما يراوده من بسط الأمل، وسعة العطاء، والبر الذي، هو في أمس الحاجة إليه، بعد أن طالت معاناته من جحود معاصريه، وأهل وده[3]:

---

(1) شعر جعفر، 154.
(2) شعر محمد، 185.
(3) شعر محمد، 211 - 212.

أكرمتني وبسطت لي أملاً

لم ينأ عنه نوالك الجزل

وبرزتني عن غير معرفـة

سلفت ومثلك للندى أهل

وفي موضع آخر من (شعره المدحي) يطالعنا بإشارته إلى بعض ما يعترضه مـن (اتهـام)، وود مشوب بالجفاء، إضافـة إلى ما يحيـط بحياته من قيود (تطوق) رقبته، وتسلبها نعمة الحياة الحرة الكريمة[1]:

أغيـب عنـك بغيـب غـير متهـم

وصفو ود وشـكـر غـير منصـرم

أبـا عـلى لقـد طوقتنـي مننـاً

طـوق الحمامة لا يبـلى على القدم

.. وواضـح من معـاودة النظر في هذه النصوص المدحية، ونحوها، أن منشديهـا لم ينـأوا في صورهم المدحيـة، عن إطارهم الفنـي السابق، وهو (البوح الذاتي) المفعم بالتوتر، والقلق..

والحال نفسه – تقريباً في (أهجياتهم)، التي داروا فيها من فلك معاصريهم، وسابقيهـم مـن شعراء الهجـاء، محاولين جهدهم التنقص من خصومهم، الذيـن نابذوهم مشاعر الكراهية، والبغضاء، لسبب، أو آخر، منطلقين من (البـؤرة الذاتية) نفسها، وما تنضح به من مرارة، كانوا يستشعرونها بقوة،

(1) شعراء منسيون، 197.

بسبب إصابتهم بعلتهم؛ فجعلت بعضهم يشعر بالضياع والغربة، حتى من في داخل بيته، موجهاً سهام السخرية، والتقريع، والتهكم لنفسه، فيما يشبه (رجم الذات)، متنقصاً من أحوالها، ومتخذاً من ضعة النسب، أو اختلاطه، سبيلاً لهذا التنقص.. كما فعل جعيفران، الذي أخد يشكك في إحدى أهجياته، بنسبه لأبيه، ويطعن في عفة أمه، بقوله[1]:

ما جعفر لأبيه
ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير
فكلهم يدعيه
فذا يقول: بنيي
وذا يخاصم فيه
والأم تضحك
لعلمها بأبيه!!

وتابعه، في التنقص بضعف النسب واختلاطه عبدالله بن أبي الشيص، متجهاً لأخرى، وهي التعريض بمن عرف بأبي سعد المخزومي، مستعيناً بأسلوب الاستفهام التهكمي، والمحاورة، في خطابه إياه، وسؤاله عما إذا كان صحيح النسب نقيه، أم مدنساً دعياً، قائلاً[2]:

---

(1) شعراء منسيون، 196.
(2) شعراء منسيون، 196.

أبـــا سـعـد بحــق الخمــ

س والمفــروض مــن صــومـك

أقـلت الــحـق في النــســ

بــة أم تحــلــم فـــي نــومـك؟!

أبــن لـــي أيــها المعــرو

ر ممن أنــت فـــي قـــومـك؟

فــولي قـــائـلاً: لــو شئـــ

ت قــد أقــصـرت مــن لومـك

ودعـــنــــــي أك مـــن شئت

إذا لـــم أك مـــن قـــومـك

ويصــدر جعيفران، في معظــم أهاجيه عن نفس عليلــة، تراودها الآلام، ويسيطر عليها اليأس، والقنوط وإحساس ممض بالجوع، مع عدم القدرة على توفــير طعام يسير، يسد به رمقه، إضافة إلى شعوره الحاد المتوالي بالصداع، متعرضاً؛ بسبب ذلك، أو مواكبة له، بكل وسائل السخرية، والتقريع، يصم بها خصومه، ويسلبهم مظاهر الكمال الاجتماعي، بقوله[1]:

يــاصــاحـبي مـن ثـقـيـف

يـــا مــؤنسي وحـــلــيـفـــي

يـئـســت مـن كـل خـيـر

عنـد ابـن سعـد الـوصـيـفي

---

(1) ديوان المصابين، 223.

فـرحـت لا بـطـفـيف

ولا بـغـيـر طفـيف

سوي طـعام يـسـيـر

خـلـفـتـه في الـكـنيـف

وقوله:

بـت ضـيـفـاً لـهـشام

فـي شـرابـي وطـعـامـي

وسـراجي الكوكب الدر

ي في كـــل ظـــلام

لا حرامـاً أجـد الـخبـ

ـــز ولا غـــير حـــرام

تـسـتـبـيـن الجوع منـي

في حـديـثـي وكلامي

وقوله:

يا قصر شـانك بخل صاحبك الذي

ما فيه -مع إمسـاكـه- مستمتع

أنت العـروس لهـا جمـال فـائـق

لـكنـها فـي كـل يـوم تصـدع

وفي مواضع أخرى من شعـره الهجائي نراه، حيناً، يصم بعض مهجويه بالكـبر والتيه، رائيـاً في هاتين الخلتين الخبيثتين مادة ملوثـة، تنضح بأجواء المرض، والعلل، والآفات، قائلاً[1]:

أم سـعيـد لـم ولـدتيه

مـلوثـاً بالـكبـر والتيه؟!

أما خالد الكاتب فقد صدر، في بعض أهجياته عما غلب عليه، في بعض أيامـه من (تخليط)، متأثراً بأعراضه التي قـد تحجب الرؤية الصحيحة عن مداركـه، فتريه الأشياء بضدها، وتعرضـه إلى بعض الإهانات والسخافات المؤذية من بعض معاصريه، فيطرحه بعضهـم، ويقذفه آخرون.. إضافة إلى إحساسه الممض بالجزع، وأنين الزفرات الحادة، والكمد المتتابع.. متوجهاً بسهام هجائه اللاذعة إلى خصومه، رامياً إياهم بالكبر، حيناً، وسوء الطوية، ونكـران الفضل، وسـوء الهيئة، ونحـو ذلك مما تعارف عليـه مجتمعه من الأخلاق القبيحة، بقوله[2]:

تـاه على ربـه فـأفـقـره

حتـى رأه الغنـي فـأنـكـره

فصار من طول حرفة علماً

يقـذفـه الـرزق حيـث أبصره

---

(1) شعر جعفر، 109، 120، 108..

(2) شعر جعفر، 130.

يــاحــلــبيــاً قــضــي الإلــه لــه

بالتيــه والفقــر حيــن صوره

لو خلطــوه بالمسك وسخه

أو طرحوه في البحر كــدره

وقوله:

يــاتيــك فــي جيــة مرقعــة

أطــول أعمــار مثــلها يــوم

من حلب في صميم سفلتها

عناه فقر وعــزه ضيــم

وقوله:

جــزعــت حــليــاتـــه عليــه فمــا

تــخــلــو مـــن الــزفــرات والكمــد

نـــزل الزمـــان بهـــا فأهلكــهــا

منـــه وأهـــدى اليتـــم للــولـــد

ويتصل بهذه الأهجيات المتأثرة بعلل أصحابها ما أنشده ابن أبي الشيص، هجــاءً لمدينة (سامراء)، التي اضطــر إلى الإقامة فيها، فــترة من حياته؛ فلم يحمد معيشته بها؛ بسبب بعض ما لاقاه فيها من تضييق في الرزق، وسيطرة الأمراضــ، وغير ذلك، مما أشعره بمزيد من الحزن، والكرب العظيم، ودفعه متسخطاً إلى الدعاء عليها، متمنياً لها، حلول القحط، والهلاك، بقوله[1]:

---

(1) شعراء منسيون، 198، 199، 197.

لعمرك ما سررت بسر من را

ولكني عدمت بها السرورا

وقوله:

لعـــن الله (ســـر مـــن را) بـلاداً

ورماها بالقحـط والطـاعـون..!!

بعت في الصيـف عندهم قبة الخيـ

ــش وبعـت الكانـون في كانـون!!

وفي هجائه لرجل فقد ناظريه، عرض أبو دانق البغدادي لجانب من أعراض إصابتـه بالوسوسة، وهو شعوره المتزايد بالحذر والخوف، إضافة إلى نضنضة اللسان، وهي خفته، وتوجسه، ونحو ذلك مما رمى به مهجوه، قائلاً[1]:

أشبـه رأسـه لـولا وجـار

بعينيـه ونضـنضـة اللسـان

فـلا سـلمت مـن خـذري وخـوفي

متـى سـلمت صفاتك من لسـاني

فإذا تقدمنا خطوة، في قراءاتنا نصوص (شعرهم الماجن)، بوصفه صفحة من صفحات روح عصرهـم – لاحظنا مدى ارتباطه الوثيق بما ألمحنا إليه، في أكـثر من موضع، مـن دراستنا، وهو (بوحهم الذاتـي) المنبعث من بين حنايـا أنفسهم، يترجم عن جانـب أو آخر من هموم دفينة، باتت تصطرع

(1) ديوان المصابين، 212 – 213، 224.

بداخلهم، وتعتلج اعتلاجاً.. ولذلك يطالعنا جعيفران بجيمية، من بيتين، يصف فيهما كيف عاودته همومه، بقوة، واعتلجت في صدره، بسبب أو آخر، مما دفعه، بين تارة وأخرى، إلى الإقبال على الشراب، بنهم، وضراوة؛ تسلية لذاته عن همومها، وأتراحها، بقوله[1]:

عادني الهم فاعتلج
كل هم إلى فرج
سل عنك الهموم بالـ
كأس تنفرج

وإذا تجاوزنا الصفحات الشعرية الناطقة بلسان ضعفهم، الذي دفعهم إلى نيران التهتك، والفحش، والبذاء.. وأضفنا لها صفحات شعرهم الأخرى، التي ضمنوها بعض (مفاخراتهم الجماعية)، وبعض زفراتهم الاعتذارية، والرثائية؛ بسبب ما نلحظه من افتقارها إلى ما وجدناه، في خطوات رحلتنا السابقة مع ديوانهم الشعري، من ارتباط وشيج بينها وبين (بوحهم الذاتي) المشحون بالشجن- وطالعنا بعض نصوصهم الشعرية، التي خصصها أصحابها لوصف جانب من (إخوانياتهم) أدركنا إلى أي مدى عاد هذا الخيط المفقود، بينها وبين لواعج ذواتهم، في الأشعار المشار لها، ممثلاً في إشارة سمنون المحب إلى كل من همه، وحزنه المصاحبين له، على الدوام؛ من جراء مفارقة أحد إخوانه إياه بقوله[2]:

---

(1) ديوان المصابين، 119.
(2) ديوان المصابين، 33.

أرسلت تسأل عني: كيف كنت وما

لاقيت بعدك من هم ومن حزن؟!

إضافة إلى إشارة سعدون ذات المعاني المتداخلة والمتراكبة، التي تشي بقدرته على إسقاط بعض مشاعره، وأحاسيسه، وأفكاره على مخاطبيه الذي بدت عليه مظاهر التلون، والتقلب، والتأرجح، وسيطر عليه إحساس مرير بالفقد، والتحسر، والندم، والعنت والمشقة، بسبب إصابته بداء الهواجس، وعلة الخواطر، فبات الكذب دليله، والزعم قائده، فمال إلى الخلوة، وحيداً، يعاني من أهوال التردد، والتوجس، قائلاً[1]:

تحب الصالحين بزعم قلبك

وتخلو إن فقدتهم بذنبك؟!

فمن حب الخليل تفر منه

وهذا كله من كذب حبك!!

ستندم حين لا ندم بمجد

وتعلم ما يحل غداً بجنبك!!

.. وقريب من شأن هذا الخيط الشعوري المبين، الواضح، في هذين النصين -ما نلاحظه، في مطالعتنا صفحات من (شعرهم الحكمي والوعظي)، الذي نهج به منشدوه وجهة تعليمية تثقيفية، تساير روح عصرهم، متخذين من خلاصة تجاربهم في الحياة اليومية المتطاحنة بداخلهم، ومن حولهم،

---

(1) ديوان المصابين، 193.

مـــدداً لا ينفد ومصداقية، تنبع من واقعيتهــم، في نصائحهم، ودعوتهم إلى التــزام جادة الصــواب، فيما يرونه صالحاً من الأمــور، ولسان حالهم، في هذا وذاك، ينطق بمعاناتهم القاسية الواضحة، وشبه الواضحة، التي خلفت في أعماقهم أفكاراً مشحونة بالشكوى الحارة، والتزهيد في العيش، ومتعه الفانيــة، والاندمــاج في الحياة الاجتماعية؛ بسبب مــا أصابها، في رؤيتهم الفنية، من اختلال، وعطب، وفساد كبير..

ومن هذه الصفحات ما أنشده جعيفران، وقد عجز عن توفير قوت يومه، ناصحاً مستمعه عن الزواج؛ تخلصاً مــن أعبائه، ومسئولياته، ناصحاً إياه بعــدم الافتتان ببعض ما يراه من مزايا الزواج، الطارئة، وخاصة فيما يتعلق بالاستقرار، والأمن النفسيين والاجتماعيين المنشودين، معللاً له صحة رأيه هذا، بأن هذه المزايا المشار إليها.. ونحوها، إنما هي، في حقيقتها الملموسة، عيــوب، يحق للمتأمل في شانهــا، تجنبها، وعدم الركــون إليها، بسبب ما تتسم به مــن عدم استمرارية، وما قد يواكبها، أو يعقبها من قيود اجتماعية واقتصادية تلزم المتزوجين من غير المؤهلين لها، بقوله[1]:

لا تـــــزوج فتهلكا
.. حـــذرك اليوم حذركا
أن لـــلعــرس مرجعاً
.. بينها يـــورث البكا

---

(1) ديوان المصابين، 133.

لا يـغـرنـك سـقـف بيـ

.. ت ومـــتـــكـــا

عــن قليل يشكي إليـ

.. ك فترثي لمن بكا..!!

وانتقــل، في موضع آخر، من شعره، يركــن إلى التصبر، وعدم اليأس من تبــدل أحوالــه، التي أخــذت تزداد ســوءاً، يوماً، بعد يــوم يتكفف الناس، بخلقانه البالية على الطرقات، داعيــاً مخاطبه إلى الاعتصام بحبل الله المتين، الذي بيــده تغيير الأمور، وتبديــل الأحوال؛ فيجعل الغنــي فقيراً، والفقير موسراً وجيهاً وأميراً، قائلاً[1]:

لا تيأسن إن كنت ذا فاقة

تتعب في نزر من الرزق

بينا الفتى في شر أحواله

صاحب خلقانٌ على الطرق

صــار أمــيراً إن ذا عبرة

وقـــدرة الله في الخلق!!

أما بهلول فقد آلمه الجوع؛ فقراً؛ فأخذه إلى رحاب آمنة، مطمئنة من اليقين الإنساني الفريد بأن هذا الإحساس المفعم بالألم في هذه الدنيا -إنما هو سمة بــارزة من سمات المتقين، الذيــن أعد الله (تعالى) لهم مــن نعيم جناته، في

(1) شعر جعفر، 112.

الآخـرة ما يشبعهم، ويروي ظمأهم، بعد طول معاناة.. مقرراً، في الوقت نفسـه، أن الفقـر الاجتماعي، في عصـره، الموبوء باختـلال القيم، وفساد الأخلاق، إنما صار علامة للماجدين الأحرار، الذين يكسبون قوت يومهم بعرقهـم، وكدهم، دون تـواكل، أو غش منبوذين؛ ولـذا يجب الرضا به، وعـدم ملاحقة الأغنياء، الذين ساءت طويتهـم، وفسدت أحوالهم، مؤمناً بأن الرزق بيد الله (جل شأنه) المنعم الوهاب، لا بيد أحد من عبيده، ولذلك يجـب طلبه بتـؤدة، وحكمة وبصـيرة، وعفة نفس، دون تهالـك عليه أو تطاحن في سبيله، ضارباً المثل الأعلى، في هذا الشأن، وما يتصل به، بنفسه، وقـد توكل على الله حق توكله، موقناً بـأن نواصي الخلق بيديه (سبحانه)، يتحكـم فيها كيفمـا يشاء، توسعة، وتضييقاً، متحمـلاً، في سبيل ذلك من الأذى، وصنوف الابتلاء، ما يجعله قربة يتقرب بها إلى بارئه، بقوله[1]:

تجـوع فإن الجوع مـن علم التقى

وإن طويـل الجوع يوماً سيشـبع

وقوله:

الفـقــر في - زمــن اللئـا

م - لـكــل مـكـرمــة عـلامـة

رغــب الـكـرام إلى اللئــا

م وذاك أشراط القيــامــه!!

---

(1) شعر جعفر، 111.

وقوله:

يا طالـب الرزق في الآفـاق مجتهداً

أتعبت نفسـك حتى شفك الطلـب

تسـعى لـرزق كفـاك الله بغيتـه

اقعد فرزقك قد يأتـي بـه السـبب

كم من دنيء ضعيف العقل تعرفه

لـه الولايـة والأرزاق والذهـب

ومـن حسـيب لـه عقـل يزينه

بادي الخصاصة لا يدرى له سـبب

فاسـترزق الله مما فـي خـزائنه

فاللـه يـرزق لا عقـل ولا حسـب

وقوله:

حسبي الله توكـلت عليه

من نواصي الخلق طراً بيديه

ليـس للهـارب فـي مهـربه

أبـداً من روحـة إلا إليه

رب رام لي بأحجار الأذى

لم أجد بداً من العطف عليه!!

وواكب سعدون في شعره الوعظي الحكمي ما سلكه سابقه، صادراً – مثله– عن إحساسه بمحنته، وما فرضته عليه من غربة وعزلة كنود، ولذلك نراه يتوجه إلى مستمعه، يحضه على تجنب معاملة الناس، والعيش في وحدة آمنة؛ تلافياً لأذاهم المستطير، ويحثه، في الآن نفسه، على عدم إبداء مظاهر الفخر، والعجب، والخيلاء، والصلف، وغيره من صفات شرار الناس، والاكتفاء بمصاحبة ذوي المحبة، وأهل التقي، والمروءة والفضل، من أمثاله، بقوله[1]:

خذ عن الناس جانبا
كي يظنوك راهبا

وقوله:

أعرض عن الفخر والتمادي
وارحل إلى سيد جواد
ما العيش إلا جوار قوم
قد شربوا صافي الوداد

ونهل صباح الموسوس وسمنون المحب من المعين نفسه، تقريباً، وهو قرحة ذاتيهما المكلومتين، في سبيلهما، إلى وعظ غيرهم، وتوجيههم إلى غاية السداد – إذ نلحظ نزوع أحدهما، وهو صباح، إلى لوم نفسه، وتقريعها؛ بسبب ما ركنت إليه، وادعة، من ظن حسن بالناس، الذين فتكوا

---

(1) ديوان المصابين، 32، 22،21، 25، 36.

به، ونغصوا عيشه؛ فراح ينصح، بمرورة، بوجوب اختيار سوء الظن بالناس قواماً للفلاح، في التعامل مع الآخرين، بقوله[1]:

أسأت إذا أحسنت ظني بهم

والحزم سوء الظن بالناس

أما سمنون فقد طالت معاناته وشكواه، مستغيثاً مما ألم به، إلى من استقبلوا نداءات هذه الاستغاثات المتوالية بآذان السخرية، والتهكم، والتقريع، وألسنة البذاءة والفحس، والإيذاء؛ مما دفعه إلى التذرع بالصبر، والنسيان؛ وسيلتين، يخفف بهما من ويلات محنته، وجبروتها، قائلاً[2]:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتك

ولا بد من سلوى إذا لم يكن صبر

ويدل مضمون هذا المبحث على أن هؤلاء الشعراء قد تأثروا في أشعارهم المدحية، والهجائية، واللاهية، والإخوانية، والحكمية الوعظية، ونحوها، بما ابتلوا به من أعراض محنتهم ومعاناتهم من جرائها - تأثراً ظهرت دلائله بطرق مباشرة واضحة حيناً، وغير مباشرة، أحياناً، ومتداخلة متراكبة، إسقاطية، تتغلغل بين طيات مضامينهم الشعرية المشار إليها، هنا، أحياناً أخرى، متصلة بخيوط منسربة من ذواتهم المكلومة، ونزوعهم التواق إلى التوافق، والتكيف الاجتماعي المنشودين، مع أبناء عصرهم، الذين عاشوا بين ظهرانيهم، غرباء، أو أشبه بالغرباء..

---

(1) ديوان المصابين، 134، 142.

(2) ديوان المصابين، 200.

ويدل مغزى هذه الملاحظة الجديرة بالتأمل على اتجاه إجابة السؤال المطروح، عن مدى تأثر الشعراء الموسوسين بعلتهم في (أشعارهم الاجتماعية) نحو الإيجاب، والإثبات.. إذ سار هؤلاء الشعراء؛ مواكبة، أو امتداداً فنياً لبوحهم الشعري الذاتي، حريصين على ملاصقة أغلب ما وصل إلينا من هذا الرافد الشعري، من روافد ديوانهم لجوانح صدورهم، ولواعج قلوبهم..

وتغرينا هذه الإجابة على هذا السؤال بمعاودة طرحه، للمرة الثالثة، ولسان حالنا يقول:

هل تأثر هؤلاء الشعراء، بأحوالهم الخاصة المشار إليها، عند إنشادهم أشعارهم التي تتخذ من (الطبيعة) مضموناً شعريا؟!

ولمعرفة إجابة هذا السؤال نخصص المبحث التالي من دراستنا..

3 ـ الطبيعة في شعر الموسوسين

يحتل شعر الطبيعة مساحة ضئيلة في ديوان الموسوسين، ومرت بنا الإشارة إلى احتلاله المرتبة السابعة، موازنة بمضامين الشعر الأخرى، التي أنشدوا فيها ما تيسر لنا من نتاجهم الشعري..

وعلى الرغم من قلة النصوص الشعرية التي أفردها أصحابها لوصف معالم من الطبيعة المحيطة بهم – نلحظ عدم انفصالهم، في أغلب هذه النصوص، عن (ذواتهم) التي رأيناها تمدهم، في فنونهم الشعرية السابقة، بمدد متصاعد من حرارة التجربة، وواقعيتها، وبؤسها..

وإضافة إلى هذا الاتصال بين عناصر الطبيعة، التي امتدت لها مخيلاتهم الفنية، وبين بوحهم الذاتي - نلحظ أنهم قد استعانوا بالطبيعة، وعناصرها النباتية، والجمادية، والحيوانية، وغيرها؛ بوصفها لبنات جزئية مكملة لجوانب فنية كبرى، نزعوا إلى تشكيلها، وليس بوصفها كائنات مستقلة، كاملة الأبعاد، والزوايا، والدلالات.

ومن أمثلة ذلك ما نطالعه في إنشادنا (بائية) سعدون التي أشار فيها، بحدس فني بليغ، إلى كل من (ريح الموت)، وغصن البان الرطيب المتكسر، وشمس العمر، التي آذنت بالمغيب، طاوية، بارتحالها، صفحة حياته، كغيره من المخلوقات، وهو يتحسس ببصيرته النافذة، معالم دنو أجله، ويتجرع كأساً، يودع بها مرارة العيش، وضراوة الانكسار، أمام قوى الشر المحيطة به، من كل اتجاه.. بقوله[1]:

نغص الموت ريحه كل طيب

ودهاني بفقد كل حبيب

ويتواصل أبو حية بمعالم (الأطلال) الجاثمة من حوله، وقد أصابتها عوامل التعرية المتوالية، بمرور السنين والأحقاب، بما غير من هيئتها القديمة، التي كانت أشبه بسني شبابه الوارف، في خفض لذيذ من العيش، ورغد الربيع، وبهجته، مأنوسة بأهليه وخلانه، الذين كانوا منبع صفائه، وهنائه، ووده بقوله[2]:

---

(1) ديوان المصابين، 182.
(2) ديوان المصابين، 132.

يا دار غيرها التقــادم والبلى

بين السليل ومأزمي أكباد

لازلت في خفض عليك تهافتت

ديم عليك طويلة الإرعــاد

وأنار واديك الربيع فـربمـا

تغني به ونـراه أبهج وادي

وأرى به الإنس الذين تحبهم

عيني ويألف من تحب فؤادي

ومن تواصلــه مع هذه الديار، وبثها روح الحياة نداء واستماعاً، وجواباً، وتحية قلبية عامرة بالحب والمودة.. إلى مواكبة جانب مما تعارف عليه بعض معاصريــه، وسابقيهم من إزجاء النصح لخليليه، اللذيــن يرافقانه، واقعا، أو فناً، عبر رحلة الحياة الممتدة المتطاولة، مطالباً إياهما سرعة التوقف عند معالم أنســه الخالية، غــير مكترثين مما قد يشهدانه من هطــول دموعه غزيرة على وجنتيــه، تحية هامسة حانية لرسوم هذه الديــار، التي صارت مأوى ثلاث حمامــات وادعات، جئن هلعــات، يبحثن عن أمن، طالمـا افتقدنه كثيراً؛ بسبب تلاحــق الصراعات، وتراكم المحن، عليهن، رامزاً بهذه الحمامات، فيمــا يبدو، لجانب وثير من مكنون ذاتــه، المشحونة بالخوف، والتوجس، والأســى، وقــد أجبرته الظـروف القهرية علــى الترحل، صبــاً يبحث عن خلانه، الذين اضطر إلى مفارقتهم، والعيش طريد ذكرياته الحانية، متمنياً لو أتيح لنفسه الموزعة التــي تعاني من ويلات الفرقة، والشتات أن تقر، وتهدأ

على وعد صادق متجدد منه ألا تحرمه هواجسه القديمة التي ربما كانت سبباً من أسباب لوعته، مرة أخرى، قائلاً[1]:

قفا عـــنـــد مما تعرفـان ربوعـي
وإن سـبقت فرط العـزاء دموعي
نحيي عـلى طول البلى رسـم دمنة
كأن لـم تكـن مـن آلفـين جميـع
كأن حمامـــات ثـلاث بـربعهـا
وقعـن فمـا يسـأمن طـول وقوع
وإنـي لصـب مـا علمـت وإننـي
لبعـض هوى نفـسي لغيـر مطيع

ويتخيل الشاعر قلبه، وقد اشتدت به البلايا طائراً سجيناً، لفت حول عنقه الحبال المتينة، باكياً، يجتر مرارة التشفي من أولئك المحيطين به، والمحيطين إيـاه، الذين دأبـوا على تنقصه، وعذلـه، ولومه، وتوبيخـه، على سلوكه، الـذي ربما لم يلق قبولهم. لسبب أو آخر، مطيفـاً بالمنازل العافية من حوله، يهديها أرق تحياته وأسناها، وأنضرها، ويستهديها ذكر أيام صبوته وشبابه، المرتحلين، وإجابتها عما توقف بحلقومه، على أصداء بحة صوته المتقطع من تساؤلات حارة، تتلظي أمام عينيـه، وفكره، وتحرك بلابل صدره، وتهيج خواطره، بقوله[2]:

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (12).
(2) شعر أبي حية، النص رقم (25).

لعل الهـوى إن أنـت حييـت منزلاً

بأكبـاد مرتـد عليك عقابلـه

وفي موضـع آخر –من شعره– نراه يسقط ما يتراءى له من بعض أحواله، وقد جرت في أوصاله الرغبة الأكيدة في النوم، مما طال شوقه إليه، ليستريح بـه مـن عناء ما يلاقيـه، طوال يومه من كـد، ومشقة –علـى جمله، الذي يستعين به، على القيام برحلته عبر الفجاج، مضطراً حتى تداعب ريح الصبا جوارحـه؛ فينهض، منتبهاً، ينفض آثار الغفلة والنوم، مقـروراً بما شهدته مخيلته من أحلام الكرى، وأبعدته، ولو بعض الوقت، عن مكابدة الآلام[1]:

وأغيـد من طول الـسرى برحت به

أفانـين نهـاض عـلى الأيـن مرجم

سريـت بـه حتـى إذا مـا تمـزقت

توالى الدجى عن واضح اللون معلم

أنخنـا فلمـا أن جـرت في دماغـه

وعينيـه كأس النـوم قلت لـه: قم

أما (الناقـة) فقد صورها ماني في حالة شعوريـة تترجم جانباً مما يخامره من قلق، وتوتر، وتوجس، واضطراب، وعنت ومشقة، ونفور، وقد دأبت على الخروج متسارعة –مثله من زقاق إلى آخر، دون داع، وكأنها عروس أكرهت على مواجهـة كل مظاهر المقت والكراهيـة، والبغضاء، والفراق

(1) شعر أبي حية، النص رقم (46).

وهــي تتشبث، ضعيفة، يائسة، محبطة، واهنة القوي، بأمل الهروب، الذي قد ينجيها من بعض ما حل بها، ومزق شملها من ذل الاغتراب، وهوانه[1]:

تـــخـــرج مـــن زقـــاق

لـــهـــا إلـــى زقـــاق

كـــأنـــهـــا عـــروس

فـــرت مـــن الـــطـــلاق

وفي الوقــت نفســه يطالعنا أبو حية باتخــاذه الغراب الأســود رمزاً لميعة صبــاه، وخضرة شبابه، وتألقه، موازنة بالعقعق الأبلق، الذي عمه البياض، ذلك اللون الكئيب في ناظريه، وفي أعماق ذاته السوداوية الحزينة؛ بسبب ارتباطه لديه بمشيب رأسه، وضعف قوته[2]:

زمــان على غــراب غــداف

فطيره القدر السابــق

وصـــار على وكــره عقعق

من البلق ذو شيبة ناعق!!

وتنسجم هذه الرؤية الإنسانية والأدبية مع سابقاتها من رؤاهم الفنية، التي وقفنــا على بعض معالمها في دراستنا كلاً مــن (بوحهم الذاتي)، و(شعرهم الاجتماعــي)؛ مما يشي بالتوافــق الفكري، والمعنــوي والنفسي السائد في صفحــات ديوانهم الشعري، ويجيب عن الســؤال المطروح بهذا الصدد،

(1) شعر أبي حية، النص رقم (43).

(2) شعر محمد، ص 182.

عن مدى تأثرهم، في هذا الرافد من شعرهم، هو الآخر بما ابتلوا به، أو عانوا مــن أعراضه، من محنــة الوسوسة – إجابة بالإثبــات والإيجاب؛ لنصل إلى رؤية نقدية إجمالية تلخص لنا السمة الأساسية الغالبة على مضامين شعرهم، وهــي ما جعلناه مفتاحاً فنياً، يسهل لنا الولوج في رحابهم الفنية، ويدعونا إلى معــاودة السؤال نفســه، للمرة الرابعة، ونحن نستعــد لدراسة أدواتهم التشكيلية، التي بنوا على أسسهــا معالم حسهم الشعري، والجمالي.. وهو السؤال الذي نحاول الإجابة عنه في القسم التالي من هذه الدراسة..

الفصل الرابع

التشكيل الجمالي في شعر الموسوسين

تأسس التشكيل الجمالي في شعر الموسوسين -كغيره من أشعار معاصريهم- علـى عدة لبنات، أو أعمدة فنية تقليدية موروثـة، متكاملة التأثير، والتأثر، هي: البناء الفكري/ المضمون، والإيقاعية، واللغة، والصورة..

وقد وقفنا، في القسم السابق، عند معالم اللبنة الأولى/ المضمون، الذي لا يمكن أن يعيش، في رأيي، داخل العمل الأدبي، بمعزل عن غيره من اللبنات/ الأعمـدة الأخرى، ولذلك نتوقـف، هنا، عند بقية المكونـات، ندرسها، ونبحـث في خصائصها الفنية، في إطار كلـي، ينظر إليها مستقلة متراكبة، في الوقـت نفسه.. وإن كانت الحاجة تفرض علينا أن نستهل دراستنا إياها بإلقاء بعض الضوء على وحدة النص الشعري في ديوانهم..

1 ـ وحدات النصوص الشعرية

تتوزع وحدات النصوص الشعرية في ديوان الموسوسين على فصائل فنية عدة متكاملة هي: الأبيات المتناثرة اليتيمة، من جهة، والنتف الشعرية، التي يتكون كل منها من بيتين اثنين، من جهة ثانية، والمقطوعات الشعرية، التي لا يزيد عـدد أبيات كل منها على سبعة الأبيات، مـن جهة ثالثة والقصائد القصيرة، والمتوسطـة، والمطولة، من جهة أخرى.. وهي الوحدات النصية التي نفصل القول فيها، بعض التفصيل، في السطور التالية:

- وحدة الأبيات اليتيمة

ويصل عددها (53) نصــاً (12%)، منها (17) نصاً، مما جرى على لسان أبي حية النميري، و(6) نصوص، مما أنشده كل من بهلول، وخالد الكاتب، وجعيفران، و(5) نصوص، مما ورد على لساني كل من سعدون، وسمنون، و(4) نصوصــ، مما تيسر لنا من شعر ماني، و(نص واحد) مما أنشده كل من بكار، وأبي دانق، وصباح، ومصعب الكاتب..

- النتف الشعرية

وعددهــا (86) نتفة (19,4%)، منها (21) نتفة أنشدها ماني، و(16) نتفة مما جاء على لسان كل من أبي حية وسمنون، و(15) نتفة مما ورد على لساني خالد وسعدون، و(14) نتفة علــى لسان جعيفران، و(13) نتفة على لسان بهلــول، و(3) نتف على لسان ابن أبي الشيصــ، إضافة إلى نتفة واحدة مما أنشده كل من بكار، وأبي بكر، ومصعب الكاتب..

- المقطوعات الشعرية

وعددها (273) مقطوعة (61,7%) منها (167) مقطوعة، أنشدها خالد الكاتــب، و(23) مقطوعة أنشدهــا جعيفــران، و(17) مقطوعة مما جري على لسان أبي حيــة، و(15) مقطوعة مما ورد على لساني سعدون، وماني، و(11) مقطوعــة ممــا أنشــده سمنون، و(7) مقطوعــات مما جاء على لسان كل مــن بهلول وابــن أبي الشيصــ، و(5) مقطوعات ممــا أنشــده مصعب الكاتب، ومقطوعة واحدة، ممــا أنشده كل من بزدعة، وأبي بكر، وأحمد بن عبدالسلام، وأبي حيــان، وأبي دانــق، وقديــس..

- القصائد القصيرة والمتوسطة والمطولة

وعددهـا (30) قصيـدة (6,8 %)، منهـا (27) قصيدة قصـيرة (8–15) بيتـاً، أنشد مصعب سبع قصائد منها، وأنشد أبو حيـة (5) منها وجاءت (4) قصائـد على لسان خالـد، و(3) على لسان كل مـن جعيفران، وابن أبـي الشيص، وقصيدتان اثنتـان على لسان سعـدون، وواحدة على لسان بهلول.. وانفرد أبو حية بقصيدتـين متوسطتين (16–30) بيتـاً، كما انفرد خالد الكاتب بقصيدة واحدة، أنشدها في (43) بيتـاً..

وواضـح، من معـاودة النظـر في دلالات الأرقـام السابقـة، أن أكثرية النصوص التي تيسرت لنا مـن شعر الموسوسين إنما تقـع ضمن الوحدات النصية الثـلاث الأولى: (الأبيات، والنتـف، والمقطوعـات) محتلة أكثر من (93%) مـن نسبـة عدد النصوص الشعرية التي صحـت نسبتها لهم، في الوقت الذي جاءت المقطوعات الشعرية، وحدها، بنسبة تتجاوز (61%).

وانحسـر عـدد القصـائـد المتوسطة والمطولـة انحسـاراً ملحوظاً، لم تجـاوز (3) قصـائـد فقـط، بنسبـة (0,6%)، ممـا يدفعنـا إلى طـرح عدة أسئلة، ملخصـها:

– هل تأثـرت قرائح هؤلاء الشعـراء، واستعداداتهم الفنيـة بعلتهم التي أصيبـوا بها، أو نسبـوا إليها تأثراً سلبيـاً أدى إلى عدم تمكنهـم من الإطالة النسبيـة في عدد أبيات نصوصهم الشعرية، مجـاراة لغيرهم من كبار شعراء عصرهم، ومشهوريهم؟!

– هـل كان هؤلاء الشعراء يقرضون الشعر عفو الخاطر من باب الهواية، والارتجال، وبمنـأى عن دوائر الاحتراف، والتخصص في الشاعرية، وما يفرضهما، هذا وذاك، على أصحابهما من تجويد، وتنقيح، وإطالة؟!

– هـل أنشد هـؤلاء الشعراء أشعارهـم التي تيسر لنـا الوقوف عليها في مظانهـا، بصورتها الحالية، التي وصلت بها إلينا؟!.. أم طرأت عليها بعض مظاهر التغيير والحذف، والضياع، لأسباب أو أخرى، حالت دون وقوفنا على صورتها الحقيقية المثلى؟!

والحقيقة أننى أشعر بعجزى –وليلتمس لى القارئ الكريم العذر على ذلك– عن عدم القدرة على الإجابات المنطقية الشافية عن هذه الأسئلة ونحوها..

كما أننى لا أستبعد أن تكون الإجابة عن كل سؤال على حدة، من هذه الأسئلة، بكل من الإثبات، والنفي معاً.. في ظل ما نفتقر إليه من علم ودراية كافيين، بكل أحوال هؤلاء الشعراء، ومواقفهم الأدبية والإنسانية، على السـواء، بسبب سكوت المصادر عن كشف النقاب عن كثير من جوانب شخصياتهم النفسية، والفكرية، والأدبية، في محيط عصرهم، وتغييبها –بالتالي– عناصر أساسية كانت جديرة بالمساعدة في حل هذه المعضلات، ونحوها، مما يعترض طريق الباحث في أشعارهم..

ولذا فإننى أراني مدفوعاً، حيناً إلى التسليم المشوب بالحذر، بأثر الإصابة الحقيقة، أو المزعومة بالوسوسة، وما يتصل بها من أعراض نفسية، وعقلية، وبدنية، في التقليل النسبي من طاقات أصحابها، وتبديدها، دون تحقيق

أكبر قدر من النتاج الأدبي بصورته المألوفة في دواوين معاصريهم، وأراني، أيضاً، أميل، في الحين نفسه إلى حاجتنا إلى التقليل من شأن هذه الإصابة، في التأثير السلبي على بعض الشعراء، وخاصة أولئك الذين أشارت المصادر إلى إصابتهم بعلتهم في مراحل متأخرة من حيواتهم، وبالتالي يكون ما وصل إلينا من نتاجهم الشعري، أو معظمه، على الأقل، قد أنشد، حالتئذ، قبل أن تراودهم الوسوسة، وتخامر عقولهم، وأرواحهم، فتحجبهم عن السير في مسيرتهم الأدبية، بخطواتها المعهودة.

وفي الوقت نفسه أراني أميل إلى كلا الاحتمالين معاً بصدد تمتع هؤلاء الشعراء معظمهم بطاقات الشاعرية وتمكنهم منها، وميل بعضهم إلى الاكتفاء، مختاراً، أو مضطراً بتسلية نفسه، أو المحيطين به، وتعزيتهم عن بعض ما يعانون به من فقد، وفجيعة، بسبب اضطراب أحوالهم، واختلال البناء القيمي السائد في عصرهم.

أما وصول ما أنشده هؤلاء الشعراء إلينا بصورته الصحيحة الكاملة، أو تعرضه لعوامل التغيير المقصودة، أو غير المقصودة، فأمر يحدده مزيد من مطالعة بطون الكتب، واستقصاء ما حوته من نصوص أشعارهم؛ للوقوف على الإجابة السديدة عن هذا السؤال..

وفي نظري أن أشعار هؤلاء لم تكن بمعزل عن مثيلاتها من النصوص الشعرية التي أنشدها معاصروهم، وسابقوهم، بصورة، أو بأخرى، ثم وصلت إلينا بهيئة مختلفة؛ لأسباب قد يرجع بعضها إلى هؤلاء الشعراء أنفسهم، وعدم اكتراثهم بإيصال ثمرات قرائحهم إلى ألسنة الرواة،

ومـــدارك العلماء، والنقـــاد؛ بسبب انشغالهم الاضطـــراري بأنفسهم، وما أصابهـــم من علل وأسقام، مـــن جهة، وقد يرجع بعضهـــا الآخر إلى روح عصرهم، الذي يبدو أنه قد تجافى، في نظراته لهم، عن إبداعهم الشعري، أو جـــزء منه، ووضعهم، كما وضعها، في ركن قصي من الإهمال، والتناسي، إيماناً من أصحابه بأن هؤلاء الممحونين المختلين، الذين يعيشون، معظمهم، على هامش الحياة، وحافة الهاوية، ما كان لهم أن يحتلوا مكاناً أدبياً طليعياً تكالبت عليه المطالع، والمصالح الانتهازية المتبادلة بين أطرافها الفاسدة، في كثير من الأحيان..

ومـــع ذلـــك نستطيع، فيما تيسر لنـــا من بعض الإشـــارات، الميل وجهة اليمين، أو وجهة اليسار في تأكيد جانب، أو آخر، من هذين الجانبين المشار إليهما بهذا الصدد، مكتفين بأربعة شعراء من مشاهيرهم، وهم جعيفـــران، وأبو حيـــة، وخـــالد الكاتـــب، وماني..

فبمطالعتنـــا النصوص التي يشتمل كل منها على بيت واحد، أو بيتين في أشعـــار هؤلاء وغيرهم نلحظ أن المعـــاني فيها جاءت مقتضبة دون تحليل، أو تفصيـــل، أشبه بشذرة خاطفة، أو إيماضة سريعة، دون تمهيد، أو تعقيب، مما يعني أن إنشادها من قبل أصحابها، بهيئتها التي وصلت بها إلينا أبياتاً يتيمة دون تعرضها للحذف من قبل بعض الرواة والنقاد.. عدا ما يدركه قارئ قول جعيفران[1]:

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (29).

كأنهم و.......... عــامدة

صيــاقــل في جلاية النــصل

مــن عدم الوقوف على تحديد المقصودين بالمشبـــه، لولا إشارة الجاحظ، وهــو راوي النص، إلى المعنيين به، مما يرجح تعرضــه لحذف بيت أو أكثر، كانا قبله..

ومثل هــذا النص، في تعرضه للحذف، والنقصــان، مثل قوله الذي رواه ابن أبي عون في (تشبيهاته) في وصف مؤاجرين[1]:

كأنهم والعيس تعلوهــم

وقد علت للقــوم أنفــاس

بيــادر للخــرج مــوقوفة

لما أتاهم إذنهم داســوا

فالمشبه في هذين البيتين محذوف، مما يشي بتعرضهما لما تعرض له سابقهما من حذف..

أما أبــو حية فيلاحظ قارئ شعره مدى تعرضــ بعض نصوصه للحذف والنقصان، وخاصــة بائيته التي أفردها رثاءً لأحد مشاهير عصره، مستهلاً بقوله[2]:

كأن أبا حفص فتى البأس لم يجب

به الليـل والبيض القلاص النجائب

---

(1) شعر جعفر، 115.

(2) شعر جعفر، 106.

دون سابق إرهاص، أو تمهيد، على عادة شعر عصره، وسابقيهم، في هذا الشأن، ونحوه..

وإضافة إلى ذلك يطالعنا، في أكثر من موضع من شعره، بنصوص تحتوي على ضمائر، لا نجد إشارة إلى أصحابها.. ومن أمثلة ذلك قوله[1]:

وهم جمـرة لا يصطلي الناس نارهم

توقـد لا تطفـا لريـب النـوائـــب

وقـوله:

فبيتن مـاءً صافياً ذا شريعة

لــه غلل بين الإجــام عذوب

وقـوله:

غضاب يثـيرون الأحـول عيونهم

كجمـــر الغضـــا ذكيتـــه فتوقــدا

وقـوله:

وغاداه من حـــلان ذئـب مجــاعة

شـــقى بـــه ضـــارورة وفقــور

وقـوله:

وقربوا كل قنعاس قراسية

أبد ليس به غب ولا سرر

(1) شعر أبي حية، النص رقم (2).

.. وغيره[1] مما يشي بتعرضها لحذف بيت، أو أبيات من كل منها..

وبانتقالنا إلى شعر خالد -يطالعنا الدكتور إبراهيم النجار بقوله[2]: «ما خرج عن الغزل من شعر خالد ضاع معظمه، كما ضاع معظم ما خرج عن الزهد من شعر أبي العتاهية، وما أصبناه إنما هي مطولات ومقطعات نزيرة، لا يتجاوز عددها (22)، احتفظت بها الرواية مبددة، ونحن نورد نماذج منها، في هذا الموضع، حتى نقوم ما ذكره الشابشتي (ت 388هـ)[3] وأقرته الرواية، فيما بعد، من أن خالداً كان لا يقول إلا في الغزل، ولا يتجاوز الأربعة الأبيات، ولا يزيد عليها..»..

ونلاحظ، في قراءتنا لصفحات من شعره، مدى تعرضها -هي الأخرى لمثل ما تعرض له سابقها من الحذف؛ بدليل وقوفنا على نص، يبدأ بجملة فعلية فاعلها ضمير متصل بمحذوف، وهو قوله[4]:

زموا المطي غداة البين وارتحلوا

وخلفوني على الأطلال أبكيها

إضافة إلى نصوص تبدأ بحروف عطف، دون ذكر المعطوف عليه، بقوله[5]:

فلو أن خداً كان من فيض عبرة

يرى معشباً لاخضر خدي فأعشبا

---

(1) شعر أبي حية، النصوص: (8، 15، 17، 19).

(2) شعر أبي حية، النصوص: (20، 23، 26، 32، 38، 50).. وغيرها..

(3) شعراء منسيون، 192 - 193.

(4) الديارات، 10.

(5) شعراء منسيون، 191.

وقوله:

وقـالـوا: هـويـت غـزالاً ربيبـاً

وبـدر تمـام وغصنـاً رطيبـاً

وقوله:

ولـم أدر ما جـهد الهـوى وبلاؤه

وشـدته حتـى وجدتـك في قلبـي

وقوله:

ولما نظرت الدمع غاض إلى الحشـا

وأن فـؤادي مـن دموعـي في بحـر

.. وفي شعر ماني شطر بيت يصف فيه السحب، وما تحمله من مياه، وهو قوله[1]:

المـزن يمحـو بكـف مالـه قـدم

....

إضافة إلى إنشاده نصوصـاً عدة أخرى، تستهل بجمل اسمية، أو فعلية، تشتمـل على ضمائر لا يوجد أصحابهـا فيما وصل إلينا منها، وخاصة في قوله[2]:

لـه وجنـات في بيـاض وحمـرة

فحافاتها بيض وأوسـاطها حمـر

---

(1) شعراء منسيون، ص 110، 111، 113، 142..

(2) شعر محمد، 189.

وقـوله:

تــخــرج مـــن زقـــاق

لـــهـــا إلى زقـــاق

وقـوله:

كأنهـا وريـاح الجيـش خافقـة

طير علـت فوق بحر وهـو ملتطم

.. ممـا يقطـع باندراجهـا في سلـك تلـك النصوص المشـار إليهـا، بهذا السبيل..

2 ـ الإيقاعية

وأقصـد بها ائتـلاف عناصر الموسيقـي الداخلية، والخارجيـة المتعارف عليها، من وزن، وقافية، ومماثلة صوتية وحسن تقسيم، ورد الأعجاز على الصـدور.. ونحو ذلك مما درج عليه معاصروهم، وسابقوهم، في تذوقهم للعملية الشعرية، ودراسة مكوناتها، ونقدها..

وعلى الرغم مـن إيماني بتداخل عناصر هذه (الإيقاعيـة)، وتبادلها التأثر والتأثير، في بعضها البعض – أراني مضطراً إلى تقسيمها أركان عدة أساسية، متكاملـة، تسهل دراستهـا، وفي مقدمتها: الأوزان، والقـوافي، وما ينتج عن تمازجهما، وتفاعل آثارهما مـن موسيقي داخلية.. وهي الأركان التي تخصص لها الصفحات التالية:

أ. الأوزان

سألــت عقلي، قبل إعدادي هذا المبحــث، سؤالاً راود فكري، كثيراً، ألا وهو: –هل للموسوسين، أو المنسوبين للوسوسة، أوزان شعرية خاصة بهم، دون غيرهم من شعراء عصرهم، وسابقيهم؟

وبصيغة أخرى: هل انفرد هؤلاء الشعراء بإنشاد ما تيسر لنا من أشعارهم على أوتــار تفعيلات خليلية (عروضية) مغايرة لمــا درج عليه شعراء العصر العباسي، وسابقيه من أعصر الأدب العربي؟!

وللإجابــة عن هذا السؤال –بصيغتيه– عاودت النظر، ملياً، فيما وقفت عليه من صفحات ديوانهم الشعري؛ فتبين لي ما يلي:

1. تيسر لي الوقوف على أكثر من (1600) بيت، مما صحت نسبته للشعراء الموسوسـين، في العصر العباسـي، جاءت أوزانها موزعة علـى (13) بحراً خليلياً..

2. تقــدم بحر الطويل على غيره مــن الأوزان الشعرية، في هذا الديوان، بمجيئــه في (371) بيتــاً، بنسبة (22%)، وتلاه البسيط، بــوروده في (222) بيتاً، بنسبــة (13,2%)، فالكامل في (211) بيتــاً، (12,5%)، فالخفيف في (196) بيتاً، (11,6%)، فالوافر (172) بيتاً، (10,2)، فالمتقارب (158) بيتاً: (9,4%)، فالسريع (90) بيتاً: (5,3%)، فالمنسرح (84) بيتاً، (5%)، فالرمل (76) بيتــاً: (4,5 %)، فالرجــز (46) بيتاً / شطــراً، (2,7%)، فالهزج (34) بيتاً: (2%)، فالمجتث (16) بيتاً: (9%)، فالمديد (8) أبيات، .47%)..

3. أهمل هؤلاء الشعر استعمال أبحر المضارع، والمقتضب، وركض الخيل/ الخبب /المتدارك..

4. استعمل هؤلاء الشعر تسعة أبحر من أوزانهم، المشار إليها، مجزوءة، وهي: الكامل في (72) بيتاً، والمتقارب (43) بيتاً، والوافر (38) بيتاً، والرمل (35) بيتاً، والخفيف (34) بيتاً، والبسيط (22) بيتاً، والرجز (12) بيتاً/ شطراً، والمنسرح (7) أبيات، والسريع في بيتين اثنين..

5. بلغ عدد الأبيات المجزوءة (267) بيتاً، بنسبة (15,8%) من مجموع أبيات الديوان.. مما أنشده كل من خالد الكاتب، وماني وجعيفران، وسمنون، وسعدون، وبهلول، وعبدالله بن أبي الشيص..

6. اتباع جميع هؤلاء الشعراء نظام السير، داخل النص الشعري الواحد، على تفعيلات البحر الشعري، أو الوزن الواحد، تاماً، أو مجزوءاً، دون الخروج عنه، إلى أكثر من نمط شعري واحد..

7. سلامة جميع نصوص أشعارهم التي وقفنا عليها من الأخطاء العروضية المقصودة، أو غير المقصودة، عدا أربعة أبيات وردت قلقة العبارة، فيما وصل إلينا من شعر خالد الكاتب، أحدها ما نلحظه في إنشادنا عجز البيت الرابع من مقطوعته الشعرية، التي يستهلها بقوله[1]:

كم إلى كم أذوب شوقاً إليكا

ليس يخفي مابي غليل عليكا

---

(1) شعر محمد، ص 169، 182188..

ويختمها بقوله:

لتمثلن أن يقبلـن خديك

وإن لم تصـل إلى خديكا(!)

إضافة إلى ما نطالعه في إنشادنا الأبيات (21، 23- 25) من لاميته المطولة الوحيدة، التي يستهلها بقوله[1]:

أنــاب وأقــصر عــن جهله

وعــري المطية من رحله

وهي قوله:

إذا مــا انتضتــه مهماتــه

لهذ الغرايب من جدله(!)

يباري الذئاب غداة الضرا

ب مزايـل للوصل عن وصله

إذا أعمدته يـدا فكـره

بنـاه الضميـر على صقله(!)

يعبر عنــي ولا مسهب

ولاعازب الحلم عن حلمه(!)..

---

(1) شعراء منسيون.

.. وبموازنـة هـذه الملاحظات النقديـة بتمثيلاتها في أشعـار معاصريهم[1] وسابقيهم[2] -يتبـين للدارس مدى مواكبتهم إياهـم في هذا الجانب الفني

---

(1) شعراء منسيون، 193 – 195.

(2) لاحظ (جان كلود فاديه) ومتابعوه أن شعراء القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادياستعملوا بحر الطويل؛ بنسبة (25.8 %)، والكامل (15.8 %)، والبسيط (15.6 %)، والسريع (8.5 %)، والخفيف (8.1 %)، والرمل (7.8 %)، والوافر (7.7 %)، والمنسـرح (5.3 %)، فالرجـز (3.45 %)، والمتقـارب (1.9 %)، والهـزج (1.6 %) والمجتـث(92 %)، ولم يستعملوا كلاً من المقتضب، والمضارع والمتدارك..
ينظر: العروض وإيقاع الشعر العربي: د. سيد البحراوي، 56.
وموسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، 192– 198.
وبمطالعتـي أشعـار كل من رؤبة بن العجاج التميمي(ت 145هـ)، وأبي نخيلة الحماني (145هـ)، وعمار ذي كناز (أواسط القـرن الثـاني) ومطيع بن إياس (ت 166هـ)، وبشار (167هـ)، وصالح بـن عبدالقدوس (ت167هـ)، والحسين بن مطير (ت 169هــ)، وابن المولى (ت 169هـ)، والسيد الحميري (ت 173هـ) والخليل بن أحمد (ت 175هـ)، وسفيان العبدي (ت 178هــ)، وأبي عطاء السندي (ت 180هـ) وعبدالله بن المبارك، (ت181هـ)، ومروان بن أبي حفصة (ت 182هـ)، وسلـم الخاسـر (ت 186هـ) والمؤمل بن أميل (ت 190هـ)، ومحمد بن ذويـب العماني (ت 190هـ) وأبي الخطاب البهدلي (ت 192هـ) وهارون الرشيد (ت 193هـ)، وابنه الأمين (ت 198هـ)، وبكر ابن خارجة، وبكر بن النطاح، وعلي بن أبي طالـب الأعمـى، وأبي فرعون الشاسي، ومحمد بن عبدالملك الوراق، وأبـي الشمقمق (ت 200هـ) -وهي أشعار تتجاوز (25) ألـف بيـت، لاحظـت أن أصحابها قـد أنشدوها على كل من ابحـر الطويـل(20.54 %)، فالرجز (18.38 %)، فالكامـل (13.42 %)، فالبسـيـط (10.74 %)، فالخفيـف (9.3 %)، فالوافـر (8 %)، فالسريـع (5.47 %)، فالرمل (5.37 %)، فالمتقـارب (3.82 %)، فالمنسـرح (3.8 %)، فالمجتـث (1.46 %)، فالهزج (88 %). فالمديد (15 %) فالمتدارك (1 %) فالمقتضب(0.05 %)..
كمـا أثمرت مدارستي أشعـار آل ابي أمية الكاتب، وآل ابي عيينة، واليزيديين، وآل وهـب، إضافة إلى شعر الإمام الشافعي (ت 204هــ) والرياشـي (ت 210هـ)، وأبـي العتاهية (ت211هـ)، وعلي بن جبلـة (ت 213هـ)، والخريمي (ت 214هـ) والباهلـي (ت215هـ)، وابن كناسة (207217هـ)، والمأمون (ت 217هـ)، والقاسم بن يوسف (ت 220هـ) وأخيه أحمد (ت 213هــ)، وناهض بن ثومة (220هـ)، وابن وهيب الحميري (225هـ)، وعتـاب الناطقي (ت 226هـ)، وأبي شراعة القيسـي (ت 230هـ)، وأبي تمام الطائي (ت231هــ)، وديك الجن الحمصي (ت 235هـ)، ودعبل الخزاعي (ت 246هـ)، وأبي العميثل (ت246هـ) وأبي الشبل البرجمي (ت 247هـ)، والعتبي (ت 255هـ)، وأبي علي البصير (ت 257هـ)، ويزيد المهلبي (ت 257هـ)، وإسماعيل الحمدوي (ت بعد 257هـ) وعلي الحماني (ت 270هـ)، وإبراهيم بن المدبر (ت279هـ)، وأبي العيناء (ت 283هـ)، والبحترى (ت 284هـ) -وهي أشعار تزيد عن (33) ألف بيت – عن وقوفي على استعمالهم كلاً مـن أبحر الطويـل (24.19 %)، والكامل (15.44 %)، والبسيط (11.76 %)، والوافـر (10.3 %)، والخفيف (8.61 %)، والمنسـرح (6.41 %)، والمتقـارب (5.94 %)، والرمـل (5.09 %)، والسريـع (4.2 %)، والرجـز (2.05 %)، والمجتث(1.7 %)، والمديد (1.65 %)، والهزج (1.4%)، والمقتضب (0.02 %)، والمتدارك (0.002 %)..
ولاحظـت في قراءتـي أشعـار (13) شاعـراً من شعراء القـرن الرابع الهجرى هم علـى بن بسام العبرتانـى (ت 302هـ)، ومنصـور الفقيـه (ت 306هــ)، والحلاج، وابن دريـد الأزدى (ت 321هـ)، وابن طباطبا العلـوى (ت 322هـ)، والخبز أرزى(ت327هــ)، والوزير المهلبى (ت 352هـ)، والمتنبى (354هــ)، وأبي فراس الحمدانى (ت 357هـ) والزاهي (ت 361هـ)، والناشئ الأصغر (ت366هـ)، والقاضى الجرجانى (ت392هـ)، وأبي الفتح البستى (ت400ه)– وهي أشعار تزيـد عـن (13) ألف بيت – أن أصحابها استعلموا أبحر الطويـل (22.16 %)، فالبسيط (15.06 %)، فالكامل (13.9 %)، فالرجز (9.47 %)، فالخفيف (9.29 %)، فالوافر (8.15 %)، فالمتقارب (60 – 28 %)، فالمنسرح (4.73 %)، فالرمـل (4.1 %)، فالسريـع (3.89 %)،، فالمجتـث (1.84 %)، فالهـزج (1.05 %)، فالمديـد (0.41 %)، فالمتدارك (0.03 %)، فالمقتضب (0.01 %).. ينظر بالتفصيل كتابي: الشعر العباسي تجلياته وبناؤه التشكيلي ص 246–293..

مـن جوانب إبداعهم الشعري، غير متأثريـن، تأثراً ظاهراً، أو غير ظاهر بما أصيبوا به، أو نسبوا له من وسوسة، ونحوها..

ب. القوافي

لم يتأخر الشعراء العباسيون الموسوسون عن ركب معاصريهم، وسابقيهم من شعراء العرب، في الاستفادة من الطاقات الإيقاعية الرحيبة التي تتيحها القافيـة لأشعارهـم، مـن غني، وثـراء إنشـادي، يرتبط بكل مـن المعاني، والأوزان، من جهة، وبالعاطفـة، والأحاسيس المهيئة الأسماع، والأفئدة، والعقـول، إلى استقبـال أوتارها -أو لنقـل ثمرة أوتارهـا الشجية المتوالية المنتظمة.. من جهة أخرى..

وفي دراستنا القوافي شعر هؤلاء الشعراء يتطرق حديثنا عن كل من حروف الروي، وحركاته، من حيث الكثرة والقلة، والاستعمال، والإهمال، إضافة إلى التصريع، وما يتصل به، وسابقيه، في الصفحات التالية..

- حروف الروي:

أنشد الشعـراء الموسوسون أشعارهم على حروف الروي المستعملة على ألسنـة معاصريهم، مكثرين من الـراء، الذي يأتي في أكثر مـن (240) بيتاً، يشتمل عليها (66) نصاً من نصوص أشعارهم، منها (11) نصاً وصلت الراء بالهاء.. وخاصة في شعر خالد الكاتب، ومصعب، وماني.

ويلي الراء في استعمالهم روياً اللام التي تأتي في نحو (234) بيتاً، يضمها (49) نصـاً، منها (11) نصاً موصولة اللام بالهاء، فالدال التي تجيء في أكثر مـن (200) بيت، هـي مجموع أبيات (55) نصاً، منهـا (11) نصاً موصولة

بالهـاء.. فالميم التي استعملها هؤلاء الشعـراء في (145) بيتاً، / (37) نصاً، منهـا (4) نصوص موصولـة بالهاء والكاف، وبعدها النـون، والتي تكرر استعمالها في (133) بيتاً/ (36) نصاً منها نص واحد، ورد على لسان خالد الكاتب، موصولة بالهاء فالباء التي جاءت على ألسنتهم في (13) بيتاً/ (44) نصـاً، منهـا (55) نصوص، موصولـة بالهاء، والكاف، فالفـاء التي تكرر استعمالها، روياً، في (89) بيتاً/ (25) نصاً، منها نصان اثنان، في شعر خالد، وصلت فيه بالهاء..

ويليهـا التاء التـي جاءت في (78) بيتـاً/ (21) نصاً، منهـا تسع نصوص موصولة بالهاء.. فالكاف في (75) بيتاً/ 25(نصاً، منها نص واحد وصلت فيـه بالهـاء.. واستعمـل هذا الحـرف الأخير (الهـاء) رويـاً في (58) بيتاً، تضمهـا (19) نصاً، كما جاءت الحـاء والسين رويـاً في (46) بيتاً، موزعة في روي الحاء علـى (8) نصوص، وفي الروي الآخر على (13) نصاً، منها اثنـان وصلت فيهما بالهاء.. وتأتي الضـاد روياً في المرتبة الثالثة عشرة، في أشعارهم مستعملة في (9) نصوص، تليها الياء في (29) بيتاً/ (9) نصوص، فالألف المقصـورة في (22) بيتاً/ (7) نصوص، فالهمزة روياً في (14) بيتاً/ (5) نصوص، فالزاي (9) أبيات/ نصان اثنان.. فالجيم في (5) أبيات موزعة على نصين اثنين أيضاً.. فالضاد في (4) أبيات/ (نص واحد)

أما الطاء والظاء فيأتيان، روياً، في (3) أبيات/ (نص واحد) موصولة الهاء، لكل منها.. ويذيل كل من التاء والذال والشين، هذه الحروف روياً في بيتين اثنين، اشتملت عليه نتفة واحدة على كل حرف من هذه الحروف الثلاثة..

وفي الوقـت نفسه لم يتيسر لي الوقوف على أشعار أنشدها هؤلاء الشعراء على روي الخاء، ولا الغين، ولا الواو..

وقـد ساير هـؤلاء الشعـراء اتجاهـات معاصريهم، معظمهـم، في إنشاد أشعارهـم على روي القوافي الموحدة، داخل النص الشعري الواحد؛ دون الجنوح إلى تعـدد القوافي/ حروف الروي، في كل نص بعينه.. مدفوعين، فيما يبدو لي، بميلهم الواضح إلى النتف، والمقطوعات، والقصائد القصيرة، في أكـثر صفحات شعرهم، وهو الميل الفني الذي لا يتطلب، غالباً، حاجة إلى اللجـوء لنظام تعدد حـروف الروي داخل النصـ الواحد.. ومع ذلك يلاحـظ قـارئ أشعارهم مدى ميـل بعضهم إلى مجاراة بعضـ معاصريهم، في العـزف علـى أوتار ما تمكـن تسميته بالقـوافي الداخليـة، أو التأسيس لها، مـع القوافي الخارجية المتحدة، في بعض أبيـات نصوص هذه النتف، والمقطوعات، والقصائد، بدليل وقوفنا على أكثر من (20) نصاً أنشدها كل من خالد ومصعب الكاتبين، وسعدون، وأبي حية النميري، من أمثلة ذلك ما نطالعه في إنشادنا قول خالد[1]:

(1) لاحظـت بقرءاتي أشعار (43) شاعرة وشاعـراً من شعراء العصر الجاهلي، وهي نحو (17700) بيت، وأشعار نحو (40) شاعـرة وشاعـراً من المخضرمـين 15400 بيت وأشعار (85) شاعـرة وشاعراً من شعراء العصر الأمـوى 55 ألف بيت أن أصحابهـا (من الجاهلية حتى نهاية العصر الأمـوي) قد استعملوا أوزانهم الشعرية كالتالي: الطويل (39.95 %)، والكامل (14.45 %)، والوافـر (14.21 %)، والبسـيط (12.24 %)، والرجـز (5.38 %)، والمتقـارب (4.59 %)، والخفيف (3.84 %)، والرمل (2.13 %)، والسريع (1.46 %)، والمنسرح (1.21 %)، والهزج (0.22 %)، والمديد (0.09 %)، والمتدارك (0.004 %) .
ينظر بالتفصيل لكاتب هذه السطور: الأدب الأموي، 3 – 35..

قضـيـب بان جنـاه ورد

تحملـه وجـنـة وخـد

لم أثـن طـرفي إليـه إلا

مـات عزاء وعـاش وجد

ملك طـوع النـفـوس حتى

علمه الزهـو حيـن يبدو

واجتمع الصد فيـه حتى

ليس لخلق سـواه صد

وقوله:

هـذا محبـك مطـوي عـلى كمـده

عـبري مدامعه يبكي على جسـده

لـه يـد تسـأل الـرحمـن راحتـه

ممـا بـه ويـد أخـرى عـلى كبـده

يا طول زفرته من طـول حسـرته

ومـا أعـد لـه في يـومـه وغـده!

يا من رأي أسـفاً مسـتبعداً دنفـاً

كانـت منيتـه في عينـه ويـده

وقوله:

ولما رأيت الدمع غاص إلـى الحشـا

وأن فـؤادي مـن دموعـي في بحـر

نظـرت إلى عينـي لا مـاء فيهـا
فأيقنـت أن الدمـع تحتهما يجري
فلولا استبان الدمع في مضمر الحشا
تفجـر أنهـار الدموع مـن الصدر

وقوله:

بحسـن وجهـك يا روحى وريحاني
وسـؤل نفسـي في سـري وإعلاني
لا لا تكـلني إلى صبري فيـسـلمني
سلمت مـن كـل إقصـاء وهجـران
وانظـر إلي بعـين أسـقمت بدنـي
فجوهر اللحـظ من عينيك أعـداني

فغير خاف على منشد هذه المقطوعات الأربع مدى ميل صاحبهن إلى الجمع بـين حرف الدال المضمومة، روياً، في مقطوعتـه الأولى تاء مشددة مفتوحة بالألف المقصورة في كلمة (حتى) في البيتين الأخيرين، وبين الراء المكسورة، رويـاً، في مقطوعتـه الثانية، والشين المفتوحة، بالألـف المقصورة نفسها في كلمة (الحشـا) في البيتين الأول والثالث، من جهـة، وفي كلمة (فيهما) من جهـة أخرى.. سائراً في النهج نفسـه، في مقطوعته الثالثة التي أنشدها على الـدال المكسورة الموصولة بالهاء، جنباً إلى جنب التاء المفتوحة، والمكسورة، مع الهاء، أيضاً، في بيتيها الثاني والثالث.. مجانساً بين النون المكسورة قبلها – أيضاً في كل من (فيسلمني)، و(بدني)، في بيتيهما الأخيرين.

ومثـل هذه المزاوجة بين قافية خارجية موحدة الروي، وشبه قافية أخرى داخلية، في تفعيلات بعض الأعاريض، ما نلحظه في قراءتنا قول سعدون[1]:

اعمـل وأنـت مـن الدنيـا على وجـل

واعلـم بأنـك بعـد المـوت مبعـوث

واعلم بأنـك مـا قـدمت مـن عمل

محـصي عليك ومـا خلفت موروث

وقوله:

هجرت الورى في حب من جاد بالنـعم

وعفـت الكرى شوقـاً إليـه فلم أنـم

وموهـت ذهني بالجنون على الورى

لأكتـم ما بـي في هـواه فما انكتم

فإن قيل: مجنون فقـد جننـي الهـوى

وحرمة روح الأنس في حندس الظلم

وقوله:

ولو لم يكن شيئاً سوى الموت والبلى

وتفريـق أعضـاء ولحـم مبـدد

لكنت حقيـقـاً يا ابـن (آدم) بالبـكـا

على نائبـات الدهر مع كل مسـعد

---

(1) شعراء منسيون، ص 124، 131، 142، 183، 187.
وينظر أيضا: ص 123، 129، 133، 156، 171، 178، 180، 182، 184..

فقــد اعتمد على الجمع بين كل من الثــاء المضمومة روياً/ قافية خارجية، وبين اللام المنونة في (وجل)، و(عمل) قافية داخلية في نتفته الأولى، والجمع بين كل من الدال المكسورة روياً/ قافية خارجية، وبين الألف المقصورة في (البلى)، و(البكا) قافية داخليــة في نتفته الأخرى، والجمع بين هذه الألف نفسهــا، قافية داخلية أيضــاً، في كل من (الورى)، و(الهــوى)، وبين الميم الساكنة، روياً/ قافية خارجية في قصيدته القصيرة.

وسلك أبو حية النميري مثل هذا المسلك الفني نفسه باعتماده على الجمع بين البــاء المضمومة روياً/ قافية خارجية، وبين النــون الممدودة بالألف في (حولنا)، و(مالنا) بقوله[1]:

ليالي أهلانا جميعاً وحــولنا
سوائم منها رائح وغريب
وإذ يتجنبن الذنوب وما لنا
إليهن إلا ودهــن ذنوب

كما جمع بين الألف المقصورة في كلمة (الهوى) التي تردد مرتين، قافية داخلية، وبين الدال المفتوحة بالمد، روياً/ قافية خارجية بقوله:

أخو الشيب لا يدنو إلى الحور بالهوى
ليقــرب أن أزداد في قــرب بعــدا
يعاطينه كأس الســلــو عن الهوى
ويمنعنــه وصــلاً يعاطينــه المـردا

---

(1) ديوان المصابين، 320، 321.

أما مصعب الكاتب فقد كرر جملة (فقلت له) مرتين في لاميته المفتوحة، مزاوجاً بين القافية الداخلية، والخارجية في قوله[1]:

وقائـل قـال لي: أقصـر فقلت لـه

أمـا تراني بحـب المرد مشـغولا

فقـال لي: أنـت مجنـون فقلـت له

لا تكثـرن عـلى القـال والقيـلا

– حركات الروي:

واكـب الشعـراء الموسوسون العباسيـون اتجاهـات معاصريهم، وبعض سابقيهـم في العـزف على أوتار حـركات الروي، جنبـاً إلى جنب الروي الموقوف/ الساكن..

ونلاحـظ، في مطالعتنا صفحات ديوانهم، ميلهـم إلى الروي المكسور، الذي ورد استعماله في أكثر من (181) نصاً شعرياً بأشعارهم، وتشتمل على أكـثر من (619) بيتاً.. منها (30) نصاً/ (170) بيتاً اجتمعت فيه الكسرة مع كسرة سابقيه، مما نلحظ أمثلته في قول مصعب[2]:

هذا نبي الإلـه - قبلكم

قد أنكرته عيون إخوته

---

(1) شعر أبي حية، النصان: (3، 14).

(2) ديوان المصابين، 138، 158، 159، 142- 143.

وقول سمنون[1]:

أنـت الحبيب الذي لا شـك في خلدي

منه فـإن فقدتك النفـس لم تعش

وقول أبي بكر الموسوس[2]:

اعـــذر أخـــاك عـلى رداءة خطـه

واغفـر رداءتـه لجـودة ضبطـه

كما تلتقي الكسرة/ حركة روي، مع الفتحة قبلها، في أشعارهم في (27) نصاً (100) بيت، كما نلحظ في قرائتنا قول أبي حية[3]:

عوجـا نحـي ديـار الحي بالسـند

وهـل بتلـك الديار اليوم مـن أحد؟

وقول أبي دانق[4]:

ما تـنظر العيـن منه

إلا أقامـت منـه على حسـن

وقول بهلول[5]:

إذا تضايق أمر فانتظر فـرجاً

فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

---

(1) ديوان المصابين، 316.

(2) ديوان المصابين، 184.

(3) ديوان المصابين، 15.

(4) شعر أبي حية، النص رقم (11).

(5) ديوان المصابين، 120

وفي الوقت نفسه يقف قارئ شعرهم على (5) نصوص/ (17) بيتاً سبقت فيها الضمة حركة الروي/ الكسرة، مما يتضح لنا في قوله جعيفران[1]:

كأنهم و.......... ورعامدة

صياقل في جلاية النصل

وقول أبي حية[2]:

لو أنها رخصة قضيت من وطري

لكن جلوتها تربي على السفن

وقول سمنون[3]:

كان لي قلب أعيش به

ضاع مني في تقلبه

أما السكون بحروف المد، وغيرها، قبل الروي المكسور، فقد اجتمع في (199) نصاً/ (332) بيتاً.. ومنها قول ماني[4]:

بكفيك تقليب الفؤاد وإنني

لفي ترح مما ألا قي فما ذنبي؟!

وقول خالد الكاتب[5]:

بكى عاذلي من رحمة فرحمته

وكم مسعد لي في الهوى ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها

دموع دموعي لا دموع عيوني

---

(1) ديوان المصابين، 24.
(2) شعر جعفر، 115.
(3) شعر أبي حية، النص رقم (45).
(4) ديوان المصابين، 172.
(5) شعر محمد، 162.

وقول بهلول[1]:

أف للدنيا فليست لي بـدار

إنما الـراحة في دار القرار

وتلي الكسرة حركة روي الضمة، التي تجيء في أشعارهم، أكثر من (440) مرة، في (122) نصـاً.. مجتمعة مع ضمة أخرى، تسبقها في سبعة نصوص منها/ تشتمل على (26) بيتاً.. ومن أمثلتها ما نلحظه في قول سعدون[2]:

ما حال من سكن الثرى ما حاله..؟!

أمـسى وقـد رثـت هنـاك حبالـه

أما الفتحة فقد اجتمعت مـع الضمة حركة الروي، سابقة إياها في (32) نصاً/ (113) بيتاً، من أشعارهم.. كما نلحظ في قراءتنا قول ماني[3]:

دعتني إلى وصلها جهرة

ولـم تدر أني لها أعشق

وقول خالد[4]:

يـا مـن يلـوم لقد أسـ

ـأت إلـى مـحب لمته

---

(1) شعراء منسيون، 185.

(2) ديوان المصابين، 29.

(3) ديوان المصابين، 154.

(4) شعر محمد، 183.

.. ووردت الكسرة مع حرف الروي المضموم في (22) نصاً/ (83) بيتاً.. ومن ذلك ما نراه في قول أبي حية[1]:

استبق دمعك لا يود البكاء به

واكفف بوادر من عينيك تستبق

وقول سعدون[2]:

يا أيها الراقد كم ترقد؟!

قم -يا حبيبي- قد دنا الموعد

- وفي الوقت نفسه نلحظ مجيء الكسر، حرف لين، أو غيره، سابقاً للحركة المضمومة في (51) نصاً/ (199) بيتاً.. مما يشي بأثر جلي من حياة هؤلاء الشعراء، الذين كان دأبهم الحركة، وشغلهم الشاغل التنقل من مكان إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى، فانعكس ذلك، في رأيي، على حركات رويهم انعكاساً إيجابياً بتوفير هذا الجانب الملموس من اجتماع الحركات، مع غيرها معطياً إيحاءً قوي الدلالة بما وراءه من حالات نفسية شديدة القلق، والتوتر المشحون بالترقب، والحذر، اللذين يأخذان بأصحابها، أحياناً، إلى التزام جادة التوقف، هامدين، أو شبه هامدين.. مجسدين ذلك التوقف الوقتي الطارئ، على بعض أحوالهم، بالتزام روي ساكن في نحو (50) نصاً/ (180) بيتاً من أشعارهم.. جامعين بينه، وبين سكون آخر، يسبقه حرف لين، يضاعف إحساسنا بالسكون، كما نلحظ في قراءتنا قول أبي

(1) شعراء منسيون، 117.
(2) شعر أبي حية، النص رقم (30).

بكر الموسوس[1]:

زنـــاره في خصره معقود

كأنه من كبدي مقدود

وقول سمنون[2]:

يا من فؤادي عليه موقوف

وكل همي إليه مصروف

وقول خالد[3]:

يـــا تـــائــهـــا بجمالـــه

أتتيه عن رد الســلام؟!

وقد يجمعون بين هذا الروي الموقوف/ الساكن، وبين فتحة تسبقه، كما ورد في أشعارهم، في (20) نصاً/ (74) بيتاً، ومنها قول ماني(225):

إذا مـــا رأيـــت ابتســـام الأميـــ

ـــر في الجدب فابــشر بصوب المطر

وقول سمنون[4]:

روحـــي إليـك بكلهـــا قـــد أجمعـــت

لـــو أن فيـك هلاكهـــا مـــا أقلعـــت

---

(1) ديوان المصابين، 144.
(2) ديوان المصابين، 14.
(3) ديوان المصابين، 187.
(4) شعراء منسيون، 179.

وقول عبدالله بن أبي الشيص:

تعتل من غير علـه

بالحسن أضحت مدلـه

.. وقد تسبق الضمة الروي الساكن، كما جاءت في (9) نصوص/ (22) بيتاً من أشعارهم، كما يبدو في قول خالد[1]:

محب شفه ألمه

وخامر جسمه سقمه

وتواكب الكسرة في ذلك ونحوه، بمجيئها حركة الحرف، الذي يسبق حرف الروي الساكن/ الموقوف، في (14) نصاً/ (44) بيتاً، مما تيسر لنا من أشعارهم، كما نطالع في قول ابن أبي الشيص[2]:

أبا سعد بحق الخمـ

س والمفروض من صومك

أقلت الحق في النسـ

بة أم تحلم في نومك؟!

وقول خالد[3]:

دعاه ثم اكتوى على كبده

وأن من شوقه ومن كمده

---

(1) شعر محمد، 171.

(2) ديوان المصابين، 176.

(3) شعراء منسيون، 176.

.. وواضح أن هؤلاء الشعراء قد تمكنوا تمكناً ملموساً، في هذا الجانب من إبداعهم الشعري، ولم يخرجوا عنه، لسبب أو آخر، إلا في نصين، مما تيسر لي الوقوف عليه من شعرهما، وهما قول قديس[1]:

إذا الليل ألبسني ثوبه
تقلب فيه فتيً موجع
رأيت التصبر ستر الهوى
إذا اشتملت قوة الأضلع(!)
وكيف يطيق فتي كتمه
وأجـفـانـه أبـداً تدمع

وقول خالد[2]:

أو سكنت الجنان ترتع فيها
لأضا من جمـالـك الملكوت

.. وهو النص الذي وقع الإقواء فيه، باجتماع الكسر بين مرفوعين.. وهو عيـب لم ينفرد به.. من دون معاصرين سابقين مـن الشعراء.. ولا يعد –في رأيي– أثراً من آثار إحساسه بمرض، أو علة.. لكونه أشبه بقطرة في بحر لا تضره، ولا تنقصه إن أخرجت منه..

وتجـدر الإشارة – هنـا إلى ملاحظة تنطبق على المبحثـين السابقين، وما يتصل بهما من حديـث عن الأوزان، في أشعارهم، وهي أنني لاحظت أن

(1) ديوان المصابين، 223.
(2) شعراء منسيون، 130.

هؤلاء الشعراء قد استعملوا ما استعملوه من أوزان شعرية، تامة، أو مجزوءة، قليلاً أو كثيراً، وحـروف روي، وحركاتها في كل مضامين شعرهـم، دون إفراد وزن، أو روي أو حركة لمضمون بذاته، دون غيره.. ولو صح أن بحراً بعينـه، تامـاً، أو مجزوءاً، أو حرف روي بذاتـه، أو حركة روي، ما، كانت مقصـورة الاستعمال لدي هؤلاء الموسوسين -لجازلنـا أن نعد كل ما أشرنا إليه من أوزانهم وحروف روي نصوصهم، وحركاتها الثلاث، مع الوقف/ السكون، صالحاً ومفضلاً لدي هؤلاء الشعراء..

- التصريع:

التصريع ضرب من الموازنة، والتعادل بين كل من (العروض) و(الضرب)، يتولـد فيهما جرس موسيقي رتيب[1] يؤدي إلى توفـير صبغ نغمي عذب، يجعلـه أكـثر تهيـؤاً للالتقـاء بحاجـات المستمعـين والقـراء الوجدانية، والعاطفية، وأداء لما يختلج في صدورهم من معان، وأفكار، وإيحاءً وتأثيراً في مدركاتهم، مستفيدين من الطاقات الصوتية الرحبة المتدفقة، التي ينتجها لهم ازدواج الروي؛ فتنضاف إلى طاقة الوزن الشعري، الذي يعزفون على أوتاره أنغامهم، وتتآزر معها في تكوين هذا الشعر، وتجعلها زاخرة بالحركة، والحيويـة، وتجعل منشديها لا يكادون يقطعون الصوت عند حرف الروي في أواخـر الشطـر، حتى يفضي في آخر الشطر التـالي، إلى روي مماثل؛ مما يتيح لهم وقفات متقاربة على نحو مؤثر شجي رخيم[2].

---

(1) ديوان المصابين، 253.

(2) شعراء منسيون، 116.

وتأثـراً بأجـواء الغنـاء، ومجالـس الطرب، واللهـو، وما يتصـل بها من معازف وقيان، ونحوها – واكب الشعراء الموسوسون العباسيون اتجاهات معاصريهم، وسابقيهم من شعراء العربية في عزفهم على أوتار هذه المنظومة التقليديـة الموروثة، وهـي التصريع، غـير متخلفين، لسبـب، أو آخر، عن توفـير أكبر قدر ممكـن من نصوصهـم الشعرية التي وصلـت إلينا، قصائد ومقطوعات، ونتفاً، وأبياتاً يتيمة..

وإذا كان العرف التفني قد جري، معظمه على اقتصار بعض الشعراء على استخـدام التصريـع في قصائدهم المطولة، أو شبه المطولـة، دون غيرها من نصوص الشعر، التي تندرج تحت ما يسمى القصائد القصيرة، والمتوسطة، والمقطوعات، والنتف، والأبيات اليتيمة –فإن ما سلكه الشعراء الموسوسون أمر يدعو للتأمل، والبحث؛ تفسيراً لهذا المسلك الفني؛ وثبراً لأغواره..

فبمطالعـة أبيات لامية خالد الكاتب المطولة الوحيدة نلحظ حرصه على تصريع شطري بيتها الأول، مع الثامن عشر، بقوله[1]:

أنـاب وأقـصر عن جهله

وعـري المطية من رحله

يـعـود المـلام إلى أهله

ويهدي الثناء إلى أهلـه

---

(1) الشعراء وإنشاء الشعر، 134.

وبمطالعة قافية أبي حية النميري المكونة من أربعة أبيات يلفتنا دأبه على تصريع شطري مطلعها، بقوله[1]:

ألا أيها الربع القواء ألا انطق

سقتك الغوادي من أهاضيب فوق

ومثل ذلك، وزيادة في حائيته المكونة من (23) بيتاً، وهي التي صرع صدرها، وجمع إلى التصريع بعض دلالات القافية الداخلية في الأبيات التالية، قائلاً[2]:

ألا يا غراب البين فيم تصيح؟

فصوتك مشنوء إلى قبيح

حبيباً عداك النأي عنه فأسبلت

على النحر عين بالدموع سفوح

إذا هي أفنت ماءها اليوم أصبحت

غداً وهي ريا المقيين نصوح

ظلت وقد ولوا بليل وقلصت

بهن...... وروح

واستهل مصعب الكاتب نونيته المكونة من (14) بيتاً بتصريع أولها بقوله[3]:

عمرت بقاع عمر الزعفران

بفتيان غطارفة هجان

---

(1) الأدب الأموي تجلياته وبناؤه التشكيلي، 79-80.

(2) شعراء منسيون، 193 - 195.

(3) شعر أبي حية، النص: (28).

كما استهل لاميته المكونة من (13) بيتاً بتصريع مثله، قائلاً:

هجرت مجوني فاسترحت من العذل

وكنـت ومـالي في التمـادي من مثل

وواكبـه، في هذا وذاك، ابن أبي الشيصـ، بتصريع ضاديته، التي تشتمل علي (12) بيتاً، ورائيته التي تضم (10) أبيات؛ بقوله:[1]

أصبـح فـي ضـنك مـن الأرض

أكثـر في الأرض مـن الأرض

وقوله:

أظن الـدهر قـد إلى فبرا

بأن لا يكسب الأموال حرا

أما بهلول فقد صدر أبيات دالية من ثمانية أبيات بقوله[2]:

عرضنا على المولي ونحن عبيد

فهنا شقي رده وسعيـد

فإذا ما تقدمنا خطوة في مطالعة بعض المقطوعات، لاحظنا حرصهم على تصريع أوائلها، كما فعل جعيفران بقوله[3]:

بـت ضـيـفـاً لهشام

في شرابـي وطـعـامـي

---

(1) شعر أبي حية، النص: (10).

(2) ديوان المصابين، 330، 326، 327.

(3) ديوان المصابين، 214، 215، 211.

وسراجـــي الكوكب الدر

ري في كـــــل ظــلام

لا حــراماً أجــد الخبــ

ز ولا غـــير حـــرام

تستبين الجــوع مــني

في حــديــثــي وكــلامــي

وماني بقوله[1]:

شــادن وجهــه مـــن البــدر أوضا

بعضــه في الجمــال يعشــق بعضــا

وفي الوقت نفسه نلحظ أن أبا بكر الموسوس يصرع شطري البيت الأول من طائيته المكونة من ثلاثة أبيات، قائلا[2]:

اعــذر أخاك على رداءة خطه

واغفر رداءته لجودة ضبطه

فالخط ليس يراد من تحسينه

وبيانه إلا إبــانــة سمطــه

فإذا أبان عن المعاني سمطه

كانت ملاحته زيــادة شرطه

---

(1) ديوان المصابين، 25 – 26.

(2) شعر جعفر، 120.

كمــا يطالعنا برذعــة الموسوس بكافية، مــن ثلاثة أبيــات مصرعة المطلع بقوله[1]:

آأنكـرت مــا عاينت من كـف دالك

وهل ينكر التدليـك من قول مالك؟

وينشــد سعــدون بائيــة، في عــدد أبياتها نفســه، مستهلاً إياهــا بتصريع مطلعها، قائلاً[2]:

تحب الصالحين بزعم قلبك

وتخلــو إن فقدتهم بذنبك؟

فمن حب الخليل تفــر منه

وهــذا كله من كذب حبك

ستندم حــب لا ندم بمجد

ونعلم ما يحل غداً بجنبك!!

كما ينشد دالية، من بيتين اثنين، يستهلها بتصريع أولها:

عصيت مــولاك يا سعيد

ما هــكــذا تفعل العبيد

فراقب الله واخــش منه

يا عبد سوء غدا الوعيد!!

---

(1) شعر محمد، 176.

(2) ديوان المصابين، 15.

وهو، في هذا الشـأن، يساير ركب أترابه، وفي مقدمتهم سمنون، الذي صرع شطري البيتين، من نتفته الدالية، بقوله[1]:

يـــا عـــين ســـحـــي أبـــدا

يـــا نفس مـــوتـــي كمدا

ولا تـــحـــبـــي أحـــدا

إلا الجليل الصـــمـــدا

أما خالد الكاتب، فقد اكتفي بتصريع البيت الأول من نتفته العينية قائلاً[2]:

كلما اشتـد خضوعي

لجوي بيـن ضلوعـي

ركـضـت في حلبتي خد

دي خيل مــن دموعي

ومثله بهلول، في دأبه على تصريع صدر نتفته الرائية[3]:

أف للدنيا فليست لي بدار

إنما الراحة في دار القرار!!

أبت الساعات إلا سرعة

في بلى جسمي بليل ونهار!!

---

(1) ديوان المصابين، 8.

(2) ديوان المصابين، 133، 143. وينظر أيضاً في الظاهرة نفسها: ص: 142، 161- 162.

(3) رائق الشهد، 42.

وابن أبي الشيص في تصريع صدر نتفته الضادية[1]:

ومعرضــة تظـن الهجـر قرضـا

تخــال لحاظهــا للضعــف مــرضي

كأنــي قــد قتلـــت لهـــا قتيــلا

فما منــي بغيــر الهجـر ترضــي

.. وفي الوقــت نفسه نراهم يصرعون شطــري الأبيات التي وصلت إلينا متناثرة يتيمة، كما نلحظ في قول خالد الكاتب[2]:

كيــف ترجــي لــذاذة الاغتمــاض

لمريـض مــن العيــون المــراض؟!

وقول مصعب[3]:

كأس وصلــت ظلامهــا بنهـــار

وفللــت حــد خمارهــا بعقــار

وقول أبي حية[4]:

كفــى بالنــأي مــن أســماء كافي

وليــس لحبهــا إذ طــال شــافي

---

(1) شعراء منسيون، 154.

(2) ديوان المصابين، 29. وينظر مثلها ص 37.

(3) ديوان المصابين، 216.

(4) شعراء منسيون، 151.

وقول سعدون[1]:

خـذ مـن الناس جانبا

كـــي يـظـنـوك راهـبـا

وقول جعيفران[2]:

ألا عجزت عن الصبر العقول

لأن سبيلـه مـر ثقـيـل

.. وحرص ماني على تكرار التصريع، بالجمع بين وقوعه في صدر أبيات مقطوعته الرائيـة المكونة من أربعة أبيات، وبين تصريع بيتها الأخير، أيضاً، بقوله[3]:

لا تظـن الـــذي جري

مـطـراً كـــان ممطـرا

إنـــمـــا ذاك كـلـه

دمـــع عـيـنـي تـحـدرا

وتـــوالـــت غيومهـا

مـــن هـمـومـي تفكرا

هـكـذا حـــال مـــن يـرى

مـــن حـبـيـــب تـغـيرا

(1) ديوان المصابين، 335.

(2) شعر أبي حية، النص (27).

(3) ديوان المصابين، 134.

.. وشاركه، في ذلك مبالغاً فيه، خالد الكاتب مكرراً عزفه على وتر هذا (التصريع المضاعف) في أكثر من عشرة نصوص، ومنها ما نلحظه في إنشاد قوله[1]:

أدل بـنـور بهجته
علـى ذلي ونـخـوتـه
يـفـرقـهـا بطلعته
ويقسمها بلحظته

وقوله:

لست أدري أطال ليلي أم لا
كيف يدري بذاك من يتقلـى
لو تفرغت لاستطالـة ليلي
ولرعي النجـوم كنت مخلا
يا غزالاً من القصور تجلـى
صام طرفي لناظـريك وصلى

وقوله:

راعـي النجـوم فقـد كادت تكلمه
وانهـل بعـد دمـوع يالهـا دمـه
يا مـن تجاهـل عمـا كان يعلمـه
عمـداً وبـاح بـسر كان يكتمـه

(1) شعر جعفر، 115.

وقوله:

عــد شوقي إليه ذنباً عليه

لو تيقنت لا عتــذرت إليه

أنا أذنبت أو فتور بجفنيه

دعــا مقلتي إلى مقلتيه؟

وقوله:

تــاه على ربــه فأفقــره

حتى رآه الغني فأنكره

يا حلبياً قــضــي الإله له

باتيه والفقر حيــن صــوره

لــو خلطوه بالمسك وسخه

أو طرحوه في البحر كدره

.. ونــراه في مواضــع أخرى مــن شعره، يجعــل التصريــع، في مواضع متأخــرة، عن المطلع، مخالفة لنهجه، ونهج أترابه، ومعاصريهم، كما طالعنا في النصوص السابقة، فيضعه في البيت الثاني حيناً، بقوله[1]:

قــل لظبي كله حسن

إرث لي من فعلك السمج

عينه ســفــاكــة المهج

من دمي في أعظم الحرج

---

(1) شعر محمد، 171.

وقوله:

صافحته فاشتكت أنامله

وكـاد يندى بنانه بيدي

وكنت إذ صافحت يداه يدي

كأنني قابض على البرد

.. وحيناً آخر في البيت الثالث، وما بعده، بقوله:

يـا مـن يـلـوم لقد أسأ

ت إلى مـحـب لمته

لو كنت تعلم ما يقـا

سي قـلـبـه لرحمتـه

أو لو رثـيـت سـألته

عـمـا بــه فعلمتـه

أسقمـتـه وبليـتـه

مـا كـان لـو داويـتـه

وواكبـه، في ذلك سعدون، الذي يطالعنا بتأخر التصريع إلى البيت الثاني، حيناً، والثالث، حيناً آخر، كما يتضح من قوله[1]:

(1) شعراء منسيون، 119، 171، 175، 189، 198.. وينظر أيضاً في الظاهرة نفسها: ص118، 132، 138، 145-146، 152، 157، 176..

أتتركني وقـد آليت حلفاً

بأنك لا تضيـع من خلقتنا؟!

وأنك ضامن في الرزق حتى

تودي ما ضمنت وما قسمتا

وقوله:

ألا يـا عـسـكـر الأحيـاء

هـذا عـسـكـر الـمـوتى

أجابـوا الدعوة الصغرى

وهـم منتظرو الكبـرى

وقوله:

يا من بنى القصر في الدنيا وشـيده

أسست قصرك حيث السيل والغرق

لو كنـت تغني بذخر أنـت ذاخـره

أسسته حيث لا سـوس ولا خـرق

والمـوت مصطبح منـكـم ومغتبق

فاحتل لنفسـك قبل الورد يا حمق

.. أما مصعب الكاتب فقـد أهمل تصريع شطري البيت الأول من تائيته المكونة من تسعة أبيات معوضاً عنه بتصريع البيت الثامن بقوله[1]:

---

(1) شعراء منسيون، 189، 132، 117.

يا أيها المرد قد نصحت لكم

خافوا من الله فضل نعمته

قدعقرب الصدغ فوق وجنته

على بياض من تحت حمرته

.. ويؤكد هذا المسلك الفني، ونحوه، مما أسلفنا الإشارة إليه -ما تحقق لهؤلاء الشعراء من تمكن فني نجحوا في خلاله في الاستفادة من طاقات هذه الأداة التشكيلية/ التصريع، يعوضون بها، في رأيي، جانباً مما جنحوا إليه، مختارين، أو مضطرين، من ميل فني إلى النصوص ذات الأبيات القليلة، نتفاً، ومقطوعات، وقصائد قصيرة.. وكأني بهم يعلنون، بدأبهم هذا، على التصريع، بأشكاله المختلفة، نوعاً من التحدي، والإصرار على المنافسة، في أوجه من نابذوهم بالسخرية، والتهكم، من سوء أحوالهم، جراء إصابتهم إلى حد ما، بأعراض الوسوسة، وما قد ينعكس بدوره، بصورة، أو أخرى، من وهن فكري، ونفسي، وبدني، يترك آثاره المباشرة، وغير المباشرة، في إبداعهم الشعري.. ناجحين في إبداء ما أعلنوه، صراحة، أو ضمناً من تحد، وإصرار، بما دأبوا عليه من مسلك فني، اتضحت لنا بعض معالمه في الصفحات السابقة..

ويزيد من صحة اعتقادي بهذا التمكن الفني الذي أراه قد تحقق لهؤلاء الشعراء بمطالعة جوانب أخرى من عزفهم الداخلي، وهي التي نخصص لها المبحث التالي..

- الموسيقى الداخلية:

ويقصد بها -في هذا المبحث- كل ما شكله الشعراء، أو استعانوا به، من أدوات التأثير الصوتي الفعالة، مواكبة لكل من مكونات الوزن -بتفعيلاته، وزحافاته وعلله، ومكونات القافية- بحروف رويها، وحركاتها، وما يسبقها، أو يتبعها من حروف لينة، ونحوها -وتتمة لها، مما يعرف بالتناسب أو المماثلة/ المجانسة الصوتية التامة، وشبه التامة... إضافة إلى ما يمكن تلمسه من روافد تشكيلية إيقاعية أخرى، عن طريق حروف المد، وبعض الصيغ/ الأبنية الصرفية لبعض الكلمات، والعزف على أوتار كل من الحركة الدائبة المتواترة السريعة المنبثقة عن دلالات الجمل الفعلية، والحركة المنتظمة الناتجة عن حسن التقسيم.. وغير ذلك، مما ننظر إليه، ونستقبله بصورته الكلية، التي لا تتجزأ، وإن كانت الضرورة تفرض على الدارس تقسيمها -للدراسة فقط- عدة أقسام متوالية، يكمل بعضها بعضاً..

ونستهل حديثنا بالوقوف عند مظاهر المماثلة/ المجانسة الصوتية، قاصدين بهما ذلك التناسب الصوتي الفعال الناتج عن تكرار بعض الحروف، أو المقاطع الصوتية، أو الكلمات، والجمل، بصورتها نفسها، التي وردت بها في بعض كلمات النص الشعري، موضع الدراسة، أو بصور أخرى قريبة الشبه منها، بعد إجراء الشاعر، أو الشعراء، بعض التغيير، أو الصرفي/ الصوتي عليها أفعالاً، وأسماءً وحروفاً..

ومن أمثلة ذلك ما نلحظه في إنشادنا أبياتاً من ميمية أبي حية النميري، التي دأب فيها على تشكيلها وفاق تفعيلات بحر الطويل (فعولن

مفاعيلـن)، صحيحـة، أو مقبوضـة، إضافـة إلى العزف علـى روى الميم المكسورة المسبوق بألف المـد، وتكرار بعض الحروف المضغفة في كل من أعاريض أبياته، وأضربها، وحشوها، على السـواء، وخاصة فيما نطالعه عنـد سماعنا كلاً من: (خبر، وأحـب، والموشى، والدارين، وكل، عشية، وأقتتل، وتفتير، واصحاح، والسقائم، واللهو، وأصد، والصد وأحلولك، والـذي، ونميمة، وبنـا وبكم..) إلى جانب ميله إلى بعض الصيغ الصرفية ذات الدلالـة المعنوية والإيقاعية التأثيرية الإيجابيـة الفعالة، ولا سيما صيغ (فاعل، ومفاعل، وافتعل، وافتعال).. بقوله[1]:

وخـيرك الواشـون أن لـن أحبكـم

بـلى وسـتـور اللـه ذات المحـارم

لبسـن الموشي العصب ثم خطت به

لطـاف الخطـي بـدن عظام المآكم

ويدريـن بالداريـن كل عشـيـة

وحـم المـداري كل أسـحم فاحـم

كأن لم أبرح بالعيون وأقتتـل

بتفتير أبصار الصحاح السـقائـم

إذا اللهـو يطبيني وإذ أسـتميلـه

بمحلوك الفودين وحـف المقـادم

(1) ديوان المصابين، 135، 163، 150.

وإن دماً -لو تعلمين جنيته

على الحي- جاني مثله غير سالم

أصد وما الصد الذي تعلمينه

عزاء بكم إلا اجتراع العلاقم

حياء وبقيا أن تشيع نميمة

بنا وبكم إلا ابتلاع العلاقم

وانتقل -في موضع آخر من شعره- إلى العزف على أوتار البحر نفسه، بتفعيلاته الصحيحة، والمقبوضة، مع روي اللام المضموم، مسبوقاً بكسر ما قبله، وموصولاً بهاء ساكنة، لعلها تترجم مدى سكونه بعد طول حركة ونشاط، دائباً على تكرار الحروف، مشددة، وغير مشددة، وتكرار بعض الكلمات، بصورتها نفسها التي جاءت بها، أولاً، أو بشيء من التغيير، مصدرا، واسم فاعل، ومفرداً، وجمعا.. ومكثراً من حروف اللين الممدودة: (الألف، والواو، والياء)، وجانحاً إلى استعمال بعض الصيغ والبني الصرفية المتنوعة، وفي مقدمتها: (فعائل، وفاعل، ومفعل، ومفعل، ومفعل..).. بقوله[1]:

لعل الهوى إن أنت حييت منزلا

بأكباد مرتد عليك عقابله

فلما سألت الربع: أين تيممت

نوى الحي؟.. لم ينطق وضلل سائله

---

(1) ديوان المصابين، 316، 317.

وكنت إذا خبرت أن مكلفا

بكى أو تعناه عداد يماطله

من الحب عنفت المحب فقد بكى

فؤادي حتى أسلمته عواذله

كأن فؤادي طائر في حبالة

رأى غيه لما اعتقته حبائله

وفي مطالعتنا رائية سمنون، التي بثها جانباً مما تحرك من لواعج صدره، واضطرام جوانحه، من شوق عارم، جانحاً إلى العزف على تفعيلات بحر البسيط (مستفعلن فاعلن) مخبونة العروض والضرب.. والتلفظ بالروي المكسور مسبوقاً ومتبوعاً بمد، ألفاً وياء، يترجم - بها جميعها في رأيي -مدى تأرجحه بين حركات، جسدتها تفعيلة العروض بحركاتها الثلاث المتعددة اللائي تسبقن الحرف الأخير، ووصله: (دنف، يحمله، جسدي، نفسي) وبين سكون، يكاد يسيطر عليه؛ عاجزاً، لا يملك القدرة على (التمادي) في السعي؛ إدراكاً لغاياته، وتحقيقاً لمآربه، ومترجما ولعه بتحقيق مدى التناسب الصوتي، الذي يساعد المستمع له وقارئ شعره على التفاعل، والتهيؤ المقصودين، عن طريق ذلك كله، إضافة إلى تكرار الحروف التي تتكون منها بعض مفردات أبياته، وخاصة: (قل، والمذلة، والصخر، وتفطر، والنار، ودب، وحبك، ودبيب، وتنفست، وكل..)، وتكرار بعض الكلمات، والجمل، مما نلحظ دلائله بكل من: (أفديك

ويفديك)، و(تنفست، ونفسي)، و(الصخر/ مرتين) بقوله[1]:

أفديك بل قل أن يفديك ذو دنف

هل في المذلة للمشتاق من عار؟!

بي منك شوق لو أن الصخر يحمله

تفطر الصخر عن مستوقد النار

قد دب حبك في الأعضاء من جسدي

دبيب لفظي من روحي وإضماري

ولا تنفست إلا كنت مع نفسي

وكل جارحة من خاطري جاري

وينشد عبدالله بن أبي الشيص قصيدة قصيرة، يشكو بها بعض ما آلت إليه أحواله، من سوء، متشاكياً من تلاحق المحن، والمصائب فوق رأسه، منشداً إياها على تفعيلات بحر الوافر (مفاعيلن مفاعيلن فعولن)، مع الميل إلى (الراء) المشددة المفتوحة، روياً يتكرر تصريعاً بشطري بيتها الأول.. مضيفاً إليه ولعه الملحوظ بتكراره في غير كلمات الضروب/ القافية، وعروض المطلع، أكثر من (14) مرة في ثمانية أبيات فقط، مما نراه بكل من (الدهر، وحر، والأحرار (مرتين)، وأردت، وحارب، ورقاب، ورفعت، والجهر، وشرف، وركوب، وبحر، ودرع (مرتين) ويراقب.. إضافة إلى تكرار كل من (التاء، والدال والزاي، والقاف، واللام، والنون...) بكل

(1) شعر أبي حية، النص رقم: (38).

من: (أظن، والدهر، والزمـان، ونقص، وملك، وكل، والدجي، ويهتك، والليـل / مرتين).. معضداً هذا الولع الفني وذاك، بالإفراط من صوغ أكثر مـن (14) كلمة من كلمات أبياته العشرة علـى وزن (فعل) ساكنة الوسط، جنباً إلى جنب صيغة (أفعال)، التي تأتي ثلاث مرات في كل من (الأموال، والأحرار، والأنساب)، وصيغة المبالغة (فعول) مرتين، في كل من (ركوب، وقعود)، مع المجانسة التامة وشبه التامة، أسماء وأفعالاً، مفردات، وجملاً، في كل من (درع الليل..، ووجه، ويكسب كسباً، ويحل المحل..).. كما نلحـظ إفراطه في الميل إلى حركة (الفتحة) داخل أبياته، أكثر من (30) مرة، غـير فتحة الـروي، وتصريعه، مما يؤكد حالة شعوريـة، ربما سيطرت عليه، بعضـ الوقت قبل إنشاده هـذا الرائية، أو في أثنائها، وهي رغبته الجامحة في التطلع إلى أعلي، داعياً، يطلب العون على ما أصابه قائلاً[1]:

أظـن الدهر قد آلى فبّرا
بأن لا يكسب الأموال حرا

لقد قعد الزمان بكـل حـر
ونقـص من قواه المستمرا

كأن صفائح الأحرار أردت
أباه فحارب الأحـرار طـرا

ومن جعل الظلام له قعـوداً
أصاب به الدجى خيراً وشرا

(1) شعر أبي حية، النص رقم: (46).

وإذا عاودنا النظر في أبيات هذه الرائية، وما قبلها -لاحظنا أن صاحبها قد جانس بين كل من (الحر) التي تقع آخر كلمات البيت /الضرب، وبين (الأحرار)/ الجمع، التي ترد مرتين، حشوا وجزءاً من العروض والضرب في كل من الصدر والعجز.. وجاء بكلمة (الأنساب) مرتين صدراً وعجزاً، كما جاء بكلمتي (درع الليل)، حشواً وجزءاً من العروض والضرب.. وأتي بكلمة (وجه)، منصوبة منونة، حشواً في الصدر، وأول كلمات العجز، حريصاً، في هذه المواضع الثلاثة، المشار إليها، على عدم إجراء أي تغيير صرفي / صوتي في بني الكلمات المجانسة، على عكس ما فعله، بقصد، أو غير قصد، في الموضع الخامس من رائيته، وهو الذي جانس فيه بين كل من (يحل)/ الفعل المضارع و(المحل)/ اسم الزمان / المكان.. وكلتاهما تقع في عجز بيته التاسع..

أما سمنون فقد لاحظنا مجانسته بين كل من قوله: (أفديك)، و(يفديك)، وكلتاهما جمله فعلية، تقع في حشو صدر بيته الأول..

وجانس أبو حية، كما أسلفنا، بين (الحب) وهي كلمة مفردة/ مصدر ثلاثي معرف، و(المحب)، وهي مشتق، اسم فاعل رباعي، معرف أيضاً، وكلتاهما تقع في حشو صدر البيت، وجانس بين (حبالة) مفردة مؤنثة نكرة، في عروض البيت، و(حبائل) صيغة منتهى الجموع، في ضرب البيت نفسه، كما جانس بين كل من الفعل المضارع (أصد)، والمصدر الثلاثي (الصد) وكلاهما في صدر أحد أبيات ميميته المشار إليها، مما يدل على أن هؤلاء الشعراء لم يتبعوا مسلكاً فنياً واحداً بعينه، وإنما نوعوا في اختياراتهم

الكلمات والجمل المرتدة/ المجانسة تنوعاً شمل (الاسمية) و(الفعلية) و(الإفراد) و(الجمع) و(الكثرة) و(القلة)، و(النكرة) و(المعرفة)، من جهة، كما شمل صدور الأبيات، وأعجازها، وأعاريضها وأضربها، وحشوها، من جهة أخرى.. مما يدل على عدم اتباعه -هو وسابقيه/ سمنون وأبي حية- مسلكاً فنياً واحداً بعينه..

وتزداد ثقتنا بصحة هذه الملاحظة النقدية - التي لم ينفردوا بها عن ركب معاصريهم، وسابقيهم، من شعراء الجاهلية والإسلام - بمطالعة بعض النصوص الأخرى، مما جري على ألسنة هؤلاء الموسوسين، أو المنسوبين للوسوسة، مشهوريهم، ومغموريهم، وفي مقدمتهم سعدون، الذي نراه يشغف بتكرار حرف النداء (يا)، سابقاً للمنادي، خمس مرات، تقع أربع منها في أوائل كل بيت من أبياته البائية الأربعة التالية، وتقع الخامسة في مستهل عجز بيتها الأول، إضافة إلى ردة كلمة (كلام) المنصوبة، وهي أولى كلمات عجز بيتها الثاني، على (كلم)/ الفعل الماضي، الواقع ضمن مفردات صدره، ورد (انتحاباً) المصدر المنصوب، الواقع ختاماً لكلمات البيت الثالث، على فعله (وفاعله) الخماسي، (ينتحب)، إحدى مفردات حشو عجزه.. بقوله[1]:

يا من كلما نودي أجابا

ومن بجلاله ينشي السحابا

(1) ديوان المصابين، 180.

ويامن كلم الصديـق موســي

كلاماً ثم ألهمــه الصوابــا

ويا من رد يوسـف بعـد ضر

على من كان ينتحب انتحابا

ويامن خص أحمد باصطفاء

وأعطــاه الرسالة والكتابــا

أما برذعة الموسوس فقد رد كلمة (الدلاك)/ جمع التكسير، وهي إحدى كلمات حشـو صدر بيته الثاني علـى (التدليك)/ المصـدر الرباعي، وهي إحـدى كلمات حشو عجز بيتـه الأول، و(دالك)/ اســم الفاعل الثلاثي، وهي آخر كلمات صدره، قائلاً[1]:

أأنكـرت مــا عاينت من كـف دالك

وهل ينكر التدليـك من قول مالك؟

لقــد أمــن الـدلاك مــن أن تنالهــم

حــدود الزنا في واضحات المســالك

---

(1) ديوان المصابين، 211.. وبقية الأبيات هي:

وامكن من رقاب المال قوماً ... وملكهم به نفعاً وضرا

إذا رفعت بنو الأنساب صوتاً ... أعادوا الجهر بالأنساب سرا

فاصبح كل ذى شرف ركوباً ... لأعناق الدجى بحراً وبرا

يهتك جيب درع الليل عنه ... إذا ما جيب درع الليل زرا

يراقب للفتى وجهاً ضحوكاً ... ووجهاً للمنية مكفهرا

ليكسب من اقاصى الأفق كسبا ... يحل به المحل المشمخرا

ورد أبـو دانق البغدادي الفعل الماضـي (سلم)، وهو الكائن ثاني كلمات حشـو عجز بيت شعري علـى نظيره نفسـه (سلم) الواقع ثـاني كلمة من كلمات حشو صدره، بقوله[1]:

فـلا سـلمت مـــن حـذري وخوفي

متـى سـلمت صفاتك من لســاني

ورد أبـو بكر الموسوس كلمة (الخط) المفـردات المعرفة بأل، الواقعة أولى كلمات صدر بيته الثاني، على (خطه) المفردة المعرفة بالإضافة إلى الضمير، والواقعـة آخر كلمات صـدر بيته الأول، كما رد كلمـة (سمطه) المرفوعة المضافة المفردة الواقعة آخر كلمات صدر بيته الثالث على (سمطه) المجرورة المضافـة المفردة الواقعة آخر كلمات بيته السابق، وفعل نحو ذلك، أو قريباً منـه في رده (رداءة) على نظيرتها في البيـت الأول، و(أبان)، على كل من (إبانة)، و(بيان) في البيتين الآخرين. .قائلاً[2]:

اعــذر أخــاك عــلى رداءة خطــه

واغفــر رداءتــه لجــودة ضبطـه

فـالخـــط ليس يراد من تحسـينـه

وبيانــه إلا إبــانــة ســمــطــه

فــإذا أبان عـــن المعاني ســمطـه

كانــت ملاحتــه زيــادة شــرطــه

---

(1) ديوان المصابين، 133.

(2) ديوان المصابين، 8.

وسايره بكار المجنون، في شأنـه هذا، ونحوه، برده كلمة (البلاد) جمع التكسير المعرفة، إحدى كلمات حشو صدر بيته الثاني، على (بلدة) المفردة النكرة، الواقعة عروض بيته الأول، من جهة، ورده (أحبائي) جمع التكسير ثانيـة كلمات حشـو عجز بيته الثاني على مثيلتها – تقريبـاً: (أحباي) أولي كلمات عجز بيته الأول، بقوله[1]:

كفـــى حزنـاً أنـي مقيـم ببلـــدة

أحبـاي عنهـا نازحـون بعيـــد

أقلـب طـرفي في البـلاد ولا أرى

وجـوه أحبـائـي الذيـــن أريــد

أمـا صبـاح الموسوس فقـد رد المصدر الثلاثـي (سوء) وهـو الواقع ثاني كلمات حشـو العجز، في الفعـل الماضي الرباعي وفعلـه (أسأت)، وهما اللذان – يحتلان الصدارة من كلمات صدر قوله[2]:

أسـأت إذ أحسـنت ظنـي بهـم

والحـزم سـوء الظـن بالنـاس

ورد بهلـول كلاً مـن كلمة (القضـاء) المصدر الثلاني، الـذي يحتل آخر موضع من مفردات بيته الأول من نتفته الهمزية، على (قاضي) اسم الفاعل الثلاثـي، الواقع في مستهـل كلمات حشو عجزه، من جهـة، و(الأرض) المفـردة المؤنثـة الواقعة، ثانية كلمـات حشو عجز بيته الثـاني على مثيلتها

(1) ديوان المصابين، 119.

(2) ديوان المصابين، 15.

في عجز بيتـه السابق، من جهة ثانية، وكرر كلمـة (ويل) ثلاث مرات في صدره، وكلمة (أهل) مرتين، قائلاً[1]:

إذا خـان الأميـر وكاتبـاه

وقـاضي الأرض داهـن في القضـاء

فويـل ثـم ويـل ثـم ويـل

لأهـل الأرض من رب السمـاء!!

وبلـغ خالد الكاتـب إلى أقصى مدي، في هذا الجانـب الإيقاعي، بعزفه على وتـر التكرار، تكرار الكلمات، والجمل، بصـورة مؤثرة فعالة تعتمد على رد الفعل المضارع (يدرك) من صدر البيت الثالث على ماضيه (أدرك) من صدر سابقه، من جهة، وتكـراره أسلوب التمني (ليته..) أربع مرات، تقـع إحداها في عجز بيتـه الأول، وتقع الأخريات في أوائـل أبياته الثلاثة الأخرى، من جهة أخرى بقوله[2]:

أمـا فـؤادي فلـه

فـليتـه علـلـه

أو ليتـه أدرك بـال

إحـسـان مـا أمله

أو ليتـه يـدرك من

قـلبـي مـا حـل له

---

(1) ديوان المصابين، 12.

(2) ديوان المصابين، 200.

أو ليته كافأني

بالود إذ يقتله

واتجه اتجاهاً آخر، في مسلكه الفني هذا، بتكرار كلمة (الرقيب) ثلاث مرات، اثنتان منها مجتمعتان، والأخرى منفردة جنباً إلى جنب تكرار (الحبيب)، قائلاً[1]:

كيف خانت عين الرقيب الرقيبا

أخطأتني لما رأيت الحبيبا

رحمتني فساعدتني فقبلـ

ت بعيني مع الحبيب الرقيبا

وجمع بين كلمة (الأنين) وتربها متتاليين، بقوله:

منعته من طاعة العاذلينا

زفرة تتبع الأنين الأنينا

.. ويشعر قارئ هذا النصوص الشعرية وسابقاتها، وغيرها[2] مدى براعة أصحابها في تشكيل صورهم السمعية المعتمدة على كل من المجانسة/ التكرار، تكرار الحروف، والمقاطع والكلمات، والجمل، في كل أنحاء نصوصهم الشعرية: صدوراً، وأعجازاً، وأعاريض، وأضرباً، وحشواً، وحرصهم على تعويض ما ألمحنا له من اقتصارهم الاختياري، أو الاضطراري على إنشاد الأبيات اليتيمة، والنتف، والمقطوعات، والقصائد

---

(1) ديوان المصابين، 18.

(2) شعراء منسيون، 168.

القصـيرة ببثها، أوتـاراً شجية من أوتـار كلفهم المقصـود، وغير المقصود بالإيقاع الموسيقي..

وتتأكد صحة هذا الشعور بمطالعتنـا نصوصاً أخرى حرص منشدوها – بكثرة – على العزف المتناغم على أوتار الصيغ والبني الصرفية ذات الدلالات المعنويـة، والإيقاعات الموسيقية الترنمية المتنوعـة الدلالة على جانب خفي، أو ظاهـر ملموس، مما يبدو أنهـم كانوا يقعون تحت تأثـيره، إبان إنشادهم الشعـري.. ومن هـذه النصوص ما أنشـده ماني، معتمـداً في بناء معجمه اللغـوي على بعض المشتقات، كأسماء الفاعلين والمفعولين، وصيغ المبالغة، بأوزانها المتواترة المعروفة، جنباً إلى جنب الجمل الفعلية، والاسمية المتتابعة، والمصـادر الكثيرة، بأوزان وشيـات بعينها؛ مما يـترك في آذان المتلقين آثاره الإيقاعية المنشودة من خلال تكرار القراءة، والاستماع، والتواصل المتبادل بين الشاعر، وجمهوره، ومعضداً ذلـك، ونحوه، بالعزف المقصود، وغير المقصود على أوتار التكرار المفرد، أو المضاعف، بشياتها المتعددة، قائلاً[1]:

---

(1) ينظر مثلاً قول بهلول:

اضمر ان اضمر حبي له ... فيشتكي إضمار إضماري
رق فلو مرت به ذرة ... لخضبته بدم جاري

وقول سعدون:

يا من بنى القصر في الدنيا وشيده ... أسست قصرك حيث السيل والغرق
لو كنت تغنى بذخر انت ذاخره ... أسسته حيث لا سوس ولا خرق
والموت مصطبح منكم ومغتبق ... فاحتل لنفسك قبل الورد يا حمق
واذكر ثموداً وعاداً: اين انفسهم ... فلو بقى أحد من بعدهم لبقوا

وقول مصعب:

يا أيها المرد قد نصحت لكم ... خافوا من الله فضل نعمته
إذا سطا أمرد وتاه على ... عاشقه كان غب سطوته
عقوبة الأمرد الذي كثرت ... ذنوبه في خروج لحيته

(ديوان المصابين، 57، 150، 316).

ومـتـرف عقـد النعيـم لسـانـه

فـكـلامــه وحــي بـإيـمــاء

وكأنمـا نهـكـت قـوي أجفـانـه

بالــراح أو شـيـبـت بإغـفــاء

لـو صافــح المـاء القـراح بكـفـه

لجـرت أناملـه كجـري المـاء

يرفـو إلى (نعـم) بنيـة مسـعـف

ولسـانه رنـق عـلى (لا..لاء)

مـاء النـعيـم بخـده متـقـطر

والصـدغ منـه كعطفـة الـراء

فقد زاوج في هذه الهمزية بين إيقاعات الوزن والقافية، وبين كل من صوغ بعض أدوات معجمه الشعري على وزن المفعل: (المفعول) في قوله: (ومترف)، و(مفعـل): (الفاعل) في كل من (مسعف، ومتقطـر)، و(فعيل): (المبالغة) في (النعيـم) -مرتين- إضافة إلى المصادر، التـي جاءت رباعية على وزن (إفعال) في كل مـن (إيماء، وإغفاء)، أو ثلاثية، علـى وزن: (فعلة)، في كل من: (نية)، و(عطفـة)، أو (فعـل) في (جرى)، ناهيك عن تواتـر الجمل الفعلية بدلالاتها الحركيـة الصاخبـة، في كل من (عقد النعيم لسانـه) و(نهكت قوي أجفانه)، و(شيبـت أجفانه بإغفـاء)، و(صافح الماء)، و(جرت أناملـه)، و(يرفو..) في الوقـت الذي قلت فيه جمله الاسمية، التـي نطالعها في كل من قوله: (كلامه وحي)، و(لسانه رنق)، و(ماء النعيم متقطع)، و(الصدغ كعطفة الراء)..

ومثـل هذا النص – في ثرائه اللفظـي، وتناغمه الموسيقـي – ما نلحظه بمطالعتنا قوله:

دعا طرفــه طرفي فأقبـل مسرعــاً

وأثــر في خديــه فاقتص من قلبــي

شــكوت إليــه ما لقيت مــن الهوى

فقال: (على رسل) فمت فما ذنبي؟

فقد كرر الشاعر كلمة (طرف) في صدر بيته الأول، جانحاً إلى استعمال الجمـل الفعليـة، ذات الأفعال الماضية، في كل مـن: (دعا طرفه طرفي..)، (وأثـر، فاقتص، وشكوت، ولقيت، فقال، فمــت).. إلى جانب دأبه على (تضعيـف) نطقه بعض كلماته، أو جمله، مـن خلال التشديد الواضح في كل من (أثر، وخديه، واقتص، ومت..) ناهيك عن العطف بالفاء، أكثر من أربع مرات، (فأقبل، فاقتص، فقال، فمت، فما ذنبي..)، وبناء بعض كلماته على وزن اسم الفاعـل: (مسعد)، واستعمال بعض الأساليب كالعطف، والاستفهـام، والإكثـار من أحرف المـد/ العلة، في كل مـن (دعا، طرفه، وطـرفي، وفي، وخديه، وقلبـي، وشكوت، وإليه، ومـا لقيت، والهوى، وقال، وعلي، وما ذنبي...) وغيرها..

ويـزداد إحساسنـا بوقع الكلمـات المبنية علـى أوزان أسمـاء الفاعلين، والمفعولـين، وصيـغ المبالغة وغيرهـا من المصـادر، جنبـاً إلى جنب عزفه علـى أوتار حـروف المد الطويلة/ العلـة، والتشديد، ونحـوه من الوسائل التشكيليـة، بمطالعتنـا أبياته اللامية التي وصف به نفســه، ومدح محمد بن

عبدالله الطاهري، بقوله:

مدمن التخفيف موصول

ومطيل اللبث مملول

ليس لي إلف فيعطفني

فارقت نفسي الأباطيل

أنا موصول بنعمة من

حبله بالمجد موصول

أنا مشمول بمنة من

منه في الخلق مبذول

أنا مغبوط بنعمة من

طبعه بالخير مأمول

ملك قل النظير له

زانه الغر البهاليل

طاهري في مركبه

عرفه في الناس مبذول

دم من يشقى بصارمه

مع هبوب الريح مطلول

يا أبا العباس صن أدباً

حده بالدهر مفلول

فغير خفي ما نراه في أطراف هذه اللوحة الشعرية من حرص الشاعر على تشكيل بعض عناصرها الإيقاعية على وحدتي الوزن والقافية، وتآزرهما؛ جنباً إلى جنب صوغ أدوات معجمه اللغوي، صياغة تأتلف ائتلافاً مع موقفه الشعري، الذي ينحو نحو (الذاتية/ الغيرية)، في وصفه جانباً من جوانب نفسه، وقد شارف على الوقوف ضارعاً، معجباً بممدوحه، الذي ورث معالم النجابة، والسؤدد، والفضل، كابراً عن كابر، مجسداً أحاسيسه بالتضاؤل، والانتفاخ، في الوقت نفسه أمام ممدوحه الذي كثر خيره، وتعالى مجده؛ مما دفعه إلى الإكثار من صيغ أسماء الفاعلين بدلالاتها الإيجابية، وإيحاءاتها الحركية المتعددة، ولاسيما في كل من: (مدمن، ومطيل، وطاهر، وصارم..)، مع مثيلاتها من (أسماء المفعولين)، التي تعكس بدلالاتها ما استجاشته أسماء المفعولين في نفوسنا، وخاصة في كل من (موصول ومملول، ومشمول، ومبذول، ومغبوط، ومأمول، ومركب، ومطلول، ومفلول..) إضافة إلى صيغة المبالغة (النظير)، والمصادر المختلفة الأوزان والشيات، وفي مقدمتها (التخفيف) و(اللبث) و(النعمة)، و(المجد)، و(الخلق)، و(الخير)، و(هبوب)، وغيرها من الصيغ، التي تكتظ بأحرف المد، وترتبط بغيرها بالعطف، وغيره من التوابع، إضافة إلى المزاوجة بين الجمل الاسمية، ومثيلاتها الفعلية، مخاطبة في المتلقي مخيلته التي تواكب كل ذلك، وتتواصل مع طاقاته المتناغمة، بشتى مكوناته، وعناصره الظاهرة الملموسة، وشبه الظاهرة، التي تتواءم مع غيرها، في كل، لا يتجزأ، في إطار من تكامل تجربته، وتكامل عملية استقبالها.

ومثل هذه النصوص في بنائها الإيقاعي ما نلحظه بمطالعتنا قول جعيفران[1]:

ألــكــن لا يــفــصــح حرفــين في

صــــدق ولــحــــان بـــإعـــراب

فهو يميـل إلى صيـغ (أفعل)، و(فعـل)، و(فعال)، و(إفعـال) ناجحاً في التعريض بخصمه، الذي يعيش حسب رؤيته - بازدواجية مفرطة ممقوتة، عاجزاً عن عمل الخير منجرفاً، بشراهة، نحو الشرور والآثام..

كما أنشـد دالية، وصف بها جانبـاً من مواقفه الإنسانيـة والفنية، محباً، يشعـر بضآلة شأنه أمام تثاقل محبوبته، وعدم رثائها له؛ مما جعله يحس بمزيد مـن الجهد، وحـرارة الشوق، يؤرقـه حنينه، ويسقمه وجـده، عازفاً على وتـر صيغة اسم المفعـول (مجهود، وممهود، ومصفـود، وموجود..)، جنباً إلى جنـب ما يجذب انتباهنـا من شغفه بالتشديد ونحـوه، تضعيفاً لبعض حروف كلمات أبياته، إلحاحاً على توفير طابع إيقاعي منشود، وخاصة في كل مـن (غرد، والديك، ودجنته، وحثثت، والسير، وكل، ولذ، والدجي، والنفس، والليل، ومدرع، والسود، وترقي، وزودته..) قائلاً:

مــا غـــرد الديـك ليـــلاً في دجنتــه

إلا حــثــثــت إليك الســير مجهـودا

ولا هــدت كـــل عــين لــذ راقــدها

بنومــة في لذيــذ العيـــش ممهــودا

---

(1) شعر محمد،128، 133-، 159، 161، 163، 185 - 187.

إلا امتطيت الدجى شـوقاً إليك ولو

أصبحـت في حلق الأقيـال مصفودا

أسـعى مخـاطـرة بالنفـس يا أمـلي

والـدرع مـدرع أثوابـه السـودا

فلـم ترقـي ولـم ترثي لمـكـتئب

زودتـه حركـات القـلـب تزويدا

هيهـات لا غـدر في جـن ولا بـشر

مـن الخـلائـق إلا فيـك موجـودا

وفي أبيات داليتـه الأخرى، التي مدح بها أبا دلف العجلي، ندرك مدى دأبـه على الجمع بين أكثر مـن صيغة صرفية، ذات وقع موسيقي، يتناغم مع طاقات كل مـن الوزن، والقافية والتصريع، والتكـرار، ورد الأعجاز على الصدور، والتكرار المتعدد المواقع، والهيئات، تناغماً، تتجلي فيه قدرته على تشكيـل لوحته الشعرية، التي يحاول بها التواصل مع مستمعيه، من خلال تكراره كلاً من صيغ التفضيل (أفعل)، في كل من (أكرم، وأفجع، وأشبه)، وصيغ أسماء المفعول: (مفعول، ومفعل) في كل من: (موجود) و(مفقـود) و(محمـود)، و(معبود)، و(معدود)، (ومكـرم)، جنباً إلى جنب صيغة اسم الفاعـل (فاعل)، التي يجسدها لفظا: (واحـد، وقاسم)، وصيغتي (فعلي) في كلمة (نعمي)، و(فعلة) في كلمة (غبـطة)، إضافة إلى العزف على أوتار بعض الحروف التي نلحظ مجيئهـا في كل بيت، على حدة، بصورة إيقاعية مؤثـرة، وفي مقدمتها (الميـم) في البيت الأول، و(الحـاء) في البيت الثاني،

و(القاف) في البيت الثالث، و(العين) في البيتين الرابع والخامس، بقوله:

يـا أكـرم الأمـة مـوجـودا

وأفجـع الأمة مـفـقـودا

لماسـألـت الناس عـن واحـد

أصبـح في العالم محمودا

قـالو جـميـعـاً: إنـه قـاسم

أشبه آبـاءً لـه صيدا

.. وأمثـال هـذه الداليـة، وسابقاتهـا، في الاستفادة من هـذه الطاقات الإيقاعية، كثيرة فيما نطالعـه بقراءتنا أشعار أبي حية[1]، وخالد الكاتب[2]،

---

(1) شعـر جعفر، ضمن كتاب (إلى روح الأستاذ الدكتور مصطفـى مندور)، 351-353، وينظر شعره (ط. دار التيسير/ ص 93، 100، 102).

(2) ينظر مثلاً: شعر أبي حية، النصوص: (3، 42، 53) وبصفة خاصة قوله:

فلأبعثن مع الرياح قصيدة   مني مغلغلة إلى القعقاع

ترد المناهل لا تزال غريبة   في القوم بين تمتع وسماع

وقوله:

وخنساء مخماص الوشاحين مشيها   إلى الروح أفنان خطا المتجشم

وقوله:

جديرون يوم الروع أن يخضبوا القنا   وأن يتركوا الكبش المدجج ثاويا

ضربناهم ضرب الحساما غرائب..

وسمنون[1]، وسعدون[2]، وعبدالله ابن أبي الشيص[3]، ومصعب الكاتب[4].. وغيرهم..

ومـع تعدد هذه الروافـد الإيقاعية المتنوعة، فيما أسلفنـا الإشارة إليه من أشعارهم -يـزداد إحساسنا بوقع الجمل الفعلية، وكـثرة حركاتها المتدفقة بانسيابية جياشة بإنشادنا أبيات سمنون:

---

(1) ينظر شعراء منسيون، ص 109، 114، 130، 137، 152، 156، 197، 178، 188، وغيرها.. وبصفة خاصة قوله:

أعان طرفي على جسمي وأحشائي ... بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما يجني على بدني ... لا علم لي أن بعضي بعض أدوائي

وقوله:

يا وحيد الجمال عند القلوب ... وحقيقاً بالمنظر المحبوب
وبديع المثال معتدل القد ... د مليئاً بكل حسن وطيب

وقوله:

شوق تجدد في فؤاده ... وهوىً تمكن من قياده
ومدامع تجرى دماً ... من جربهن على رقاده

وقوله:

بفترة أجفانك الفاتره ... ولحظة مقلتك الساحره
وحسن سوالفك المشرقا ... ت ووجنتك الناضرة
خف الله في دنف هائم ... على قلبه دارت الدائره

.. وغيره..

(2) ينظر قوله:

لئن أمسيت في ثوبي عديم ... لقد بليا على حر كريم
فلا يحزنك أن أبصرت حالاً ... مغيرة عن الحال القديم
فلي نفس ستذهب أو سترقى ... لعمرك بي في أمر جسيم

(ديوان المصابين، 191).

(3) ينظر قوله:

زعم الناس أنني مجنون ... كيف أسلو ولي فؤاد مصون
علق القلب بالبكا في الدياجي ... وهو بالله مغرم محزون؟!

(ديوان المصابين، 160).

(4) ينظر قوله:

مات بديع الشعر والظرف ... والأدب الموصوف والوصف
ياجدثاً حل ابن أوس به ... واغتاله من زمن صرف
إن لم يكن جادك مزن فقد ... جادتك منا أعين مذف

(ديوان المصابين، 220)

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم

وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح

فلما دعا قلبي هواك أجابه

فلست أراه عن فنائك يبرح

رميت ببين منك إن كنت كاذباً

وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شيء في البلاد بأسرها

إذا غبت عن عيني بعيني يملح

فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل

فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

فقارئ هذه الأبيات تستثيره تكراريات الجمل الفعلية المتواترة أكثر من (24) مرة، منها(5) مرات تعتمد على فعل واحد بعينه، وهو (كان)، و(6) مرات تعتمد على أساس تكرار الأفعال (شاء) و(وصل)، و(ليس)، بعد إسنادها إلى الضمائر، التي تتكرر، بدورها، بصورة حاشدة..

ومثـل هذه الاستثارة مـا نعايشه بمطالعتنا أبيات خالـد، التي وصف بها جانباً من رحلة الظعن، وما تتطلبه من حركات متوالية[1]:

زمــوا المطي غداة البـين وارتحلوا

وخلفونـي عـلى الأطـلال أبكيهـا

أتهجـرون فتــيً أغري بكـم تيهاً

حقـاً لدعــوة صــب أن تجيبوها

أهــدي إليكـم عـلى نـأي تحيتـه

حيـوا بأحسـن منهـا أو فردوهـا

شيعتهم فاسترابوا بي فقلت لهم:

إني بعثـت مـع الأجمـال أحدوها

قالـوا: فما نفس يعلـو كذا صعداً

ومـا لعينـك لا ترقـي مآقيهـا؟!

قلـت: التنفـس لـلإدلاج نحوكـم

ومـاء عيني جـار مـن قذى فيهـا

وقوله، في موقف شعري آخر:

يـا رحمتا للعاشقينا

ما إن أرى لهم معينا

كم يهجرون ويعذلون

ويجـزعون فينحلونا

---

(1) ديوان المصابين، 177.

وتـــراهـــم مـــمـــا بهـــم
بـــين الـــبريـــة خاشعينا
ويتحملون ويظهرون
تـــجـــلـــداً للشـــامتينا

وقول أبي حية[1]:

وقـــد جعلـــت إذا ما قمـــت يوجعني
ظهري فقمت قيام الشارب السكر
وكنـــت أمشي عـــلى رجلـــين معتدلاً
فصرت أمشي على أخرى من الشجر

.. ونلاحظ، في قرائتنا هذه النصوص السابقة، إلى جانب ما تذخر به من طاقـات إيقاعية أشرنا إلى معالمها، انتهاء بعضـ كلماتها – أعاريض وأضرباً وحشواً – بالتنوين، وانتهاء بعضها الآخر بحروف علة.. مما يدفع منشدها إلى التوقـف عند إنشاده إياها، والترنم بها، بتؤدة، واطمئنان، يسمحان له، وللمستمع تقسيم فقرات البيت/ الأبيات، تقسيماً حسناً، يعضد إحساسه بإيقاعاتـه، وخاصـة إذا عاودنا النظر في كل من أبيـات سمنون، التي نعيد كتابتها، هنا، حسب مراحل التلفظ بكلماتها هكذا:

(1) شعراء منسيون، 191. وينظر أيضاً القطعتان: (140، 166)، ص 172، 184.

وكان فؤادي

خالياً

قبل حبكم

وكان بذكر الهوى

يلهو

ويمرحو

فلما دعا قلبي

هواك أجابه

فلست أراهوو

عن فنائك يبرحو

رميت ببين

منك إن كنت كاذباً

وإن كنت في الدنيا

بغيرك أفرحو

وإن كان شيء في البلاد بأسرها

إذا غبت عن عيني

بعيني

يملحو..

.. ومثـل هذه الكتابة الشعرية، المعتمدة على حسن تقسيم بعض فقرات أبيات خالد:

زموا المطي غداة البين وارتحلوا

وخلفوني

على الأطلال أبكيها

أهدي إليكم

على نأي

تحيته

حيوا

بأحسن منها

أو

فردوها

شيعتهم

فاسترابوا بي

فقلت لهم

إني بعثت مع الأجمال أحدوها..

قالوا

فما نفس

يعلو

كذا

صعداً

وما لعينك لا ترقى

مآقيها..

وقول أبي حية:

وقد جعلت إذا

ما قمت يوجعني

ظهري

فقمت قيام الشارب السكري

وكنت أمشي

على رجلين معتدلاً

فصرت أمشي

على أخرى

من الشجري

.. ومثل هذه الأبيات، في حسن تقسيمها ما نطالعه عند قراءتنا قول بهلول[1]:

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (22).. وينظر أيضاً قول مصعب:

نصيحة من حوى أذناً وطرفا — أتتك وسوف تسعد إن فعلتا

عليك إذا لقيت بحسن بشر — وكن من أكثر الثقلين سمتا

ولا تخل الأصابع من عقود — ولحت الناس بالأوتار غتا

وعظهم وانههم من منكرات — ولا تدع البكاء إذا وعظتا

وراخ الذي تهواه كيما — يقال: أخو أبيه وقد ظفرتا

.. (ديوان المصابين، 318).

أولئـــك خـــدام/ كـــرام/ وســـادة

ونحــن عبيد الســو/ ءبئــس عبيد

ترى الناس إلا هم/ سكارى/ وماهم

ســكارى/ ولكــن العذاب شــديــد

ولا فــزع يحــزنهــم/ بــل بقــريه

لهــم فــرح/ يحــل هنــا/ك وعــيد

وقول سعدون[1]:

ولا خير في شكوى/ إلى غير مشتكي

ولا بد من شكوى/ إذا لم يكن صبر

وقول ابن أبي الشيص[2]:

إذا عاهدوا/ فالنكث نحت عهودهم

وإن وصلوا / خلوا / فوصلهم هجر

وقول خالد[3]:

كبـــد شـــفها غـــليـــل التصـــابـــي

بـــين عتـــب/ وســـخطة/ وعـــذاب

كل يـــوم/ تدمـــي بجرح من الشـــو

ق ونـــوع/ مجـــدد/ مـــن عـــذاب

---

(1) ديوان المصابين، 26.

(2) ديوان المصابين، 145.

(3) ديوان المصابين، 209.

وقوله:

وتــركــتــنــي/ متحيراً

مــتــلــدداً/ ذلــفــاً/ لمابي

وقوله:

يــا من أعــوذ بوصله/ مــن صده/

وبعطفــه/ مــن قربــه/ في بعــده

بكمــال صورته/ وزهــرة وجهه/

وضيــاء وجنتــه/ وحمــرة خده

وقوله:

يا طول زفرتــه/ من طول حسرته

ومــا أعــد لــه/ في يومــه/ وغــده

يا من رأي أسفاً/ مستبعداً / دنفاً

كانــت منيتــه/ في عينــه/ ويــده

.. وغــيره.. مما يطول القول فيه؛ تأكيــداً لبراعة قائليه في مواكبة اتجاهات معاصريهــم، وسابقيهم؛ استفــادة من حسن التقسيم، وغــيره من الطاقات الإيقاعية الأخرى التي أسلفنا الإشارة إليها في الصفحات السابقة، مدركين أن إصابتهم بالعلة، أو نسبتهم لها لم تؤثر في هذا الجانب الحيوي من مكونات تجاربهم الشعرية، بأي تأثير سلبي ينضاف إلى الأوتار السابقة التي لمسنا بعض مظاهرها في وقوفنا على جوانب من مضامين شعرهم، وبنائه الفني.

وحتى تتسنى لنا معرفة ما إذا كان هذا الأمر نفسه، أو شبهه قد تحقق لهم في بنائهم لمعجمهم اللغوي، وتشكيلهم لصورهم الشعرية.. فإننا ننتقل إلى بحث هذا الجانب الفني من خصائص شعرهم، مخصصين له الصفحات التالية..

3 - لغة الشعر وصوره

ارتبط بناء لغة الشعر، وصوره الفنية في أشعار الموسوسين بما خصصوا له الجانب الأكبر من مضامين شعرهم، وهو التعبير عن مدى قلقهم، وتبرمهم، ومعاناتهم مما أصيبوا به، أو نسبوا إليه من وسوسة، وجنون، وما واكبها من أعراض، ومواقف، وحالات شعورية، وفكرية، وفنية.. من جهة.. وببعض المهن التي زاولها بعضهم، وفي مقدمتها الكتابة/ الخطاطة، من جهة ثانية، وتأثره باتجاه بعضهم إلى التصوف، والتزهيد، من جهة ثالثة، إضافة إلى مواكبتهم روح عصرهم، بمكوناته الثقافية، واتجاهاته الفكرية التي عايشوها.. من جهة أخرى..

ويدرك قارئ أشعار هؤلاء الشعراء مدى التداخل، الذي أحدثه أصحابه بين روافد هذا المعجم الشعري المتعددة، من جهة، ومدى التواصل والتماس الفنيين اللذين عقدوهما في أطر تجاربهم الفنية المرتبطة بتباين مواقفهم الإنسانية، والفنية، من جهة أخرى..

ويحتل المعجم اللغوي المرتبط بالوسوسة، والجنون مكان الصدارة موازنة بغيره من معاجمهم التي شكلوا بها جانباً من تجاربهم الشعرية، لاهجين بمفردات تشي بالعلة، والمرض، وما يتصل بهما.. وفي مستهلها (الوسواس)

وهـي الكلمة التي تكرر مجيئها على لساني جعيفران وماني بمواقف متباينة، إثباتاً ونفياً، وتشكياً، وتغزلاً، وهجاء، مما يتضح في قول جعيفران[1]:

رأيـــت الـنــاس يرمو
نـــي أحــيـانــاً بــوســواس

وقوله:

رأيـــت الـنــاس يرموني
بــوســـــواس وإلمـــام

وقوله:

طـــاف بـــه طيـف
مـــن الـــوســـواس

وقوله:

ومــا بي اليوم من جن
ولا وســـــواس بلبال

وقول ماني[2]:

سلي عائداتي: كيف أبصرن كربتي
فإن قلت: قد حابينني فاسألي الناسا
فإن لم يقولوا: مات, أو هــو ميـت
فزيدي -إذن- قلبي جنوناً ووسواسا

---

(1) شعراء منسيون، 112، 129، 131. وتنظر أيضاً النصوص ذوات الأرقام: (5، 28، 35، 58، 127، 130، 136، 139، 165..) وغيرها..
(2) شعر جعفر، 104، 106، 113، 119.

وتلي هذه الكلمة/ الوسواس من حيث الأهمية، في هذا المعجم الشعري كلمة (الجنون)، وما يشتق منها، أو يتصل بها، مما ورد على لسان جعيفران بقوله الأخير، وما جاء على لسان ماني، إضافة إلى قول سمنون[1]:

زعم الناس أنني مجنون

كيف أسلو ولي فؤاد مصون؟

وقول مصعب[2]:

فقال لي: أنت مجنون فقلت له:

لا تكثرن على القال والقيلا

مواكبة لقول جعيفران[3]:

رأيـــت الـنــاس يدعوني

بمجنــون عــلـى عمد

وقوله:

قالوا على كـذباً وبطلا

إني مجنون فقدت العقــلا

وقوله:

زعــمـــوا أنـــي مجنو

ن أرى الــعــري جميلا

---

(1) شعر محمد، 175.

(2) ديوان المصابين، 160.

(3) ديوان المصابين، 328.

ويتصـل بهاتـين المفردتين ما أشار إليـه هذا الشاعر، في قولـه المتقدم من (إلمام)، إضافة إلى (العدوى) التي ألمح إليها بقوله يخاطب أبا دلف، مادحاً[1]:

يا معدي الجود على الأموال

....

أمـا خالد الكاتـب فقد نوه بهذه (العـدوى)، ونحوهـا في إطار تجربته الغزلية، واصفاً جانباً من ذاته، قائلا[2]:

طويل الضنى يستلذ السقـام

لأنـك يـا طـرف أعديته

وقوله:

وانظـر إليّ بعـين أسـقمت بدنـي

فجوهر اللحظ مـن عينيك أعداني

ومـن (العـدوى) إلى (العلـة) التي جـاء استعمالها موزعـاً على المصدر الثلاثـي، وصيغـة المبالغة (فعيـل)، والفعل المضارع، كمـا نلحظ في قول عبدالله بن أبي الشيص[3]:

تعتل مـن غيـر علـه

بالحسن أضحـت مدله

---

(1) شعر جعفر، 98، 113، 116، 118.

(2) شعر جعفر، 114.

(3) شعراء منسيون، 117، 183.

وقول سمنون[1]:

تركت الفؤاد عليلاً يعـاد

وشردت نومي فمالي رقاد

وقول خالد[2]:

بجسمي لا بجسمك يا عليل

ويكفيني من الألم القليـل

وقوله الذي يشير إلى (المرض) و(المريض)[3]:

ما على الغضبان لو كان رضي

ورثى له من تمادي مرضـي

وقوله:

ومريض طرف ليس يصرف طرفه

نحـو امـرئ إلا رمـاه بحتفـه

.. ومـن العلة والمرض، إلى (الجـرح)، و(التجارح) اللذيـن يردان على لسان كل من ماني، بقوله[4]:

وما جرحـت بطرف العـين وجنته

إلا ومـن كبـدي يقتـص محجـره

---

(1) ديوان المصابين، 222.

(2) ديوان المصابين، 179.

(3) شعراء منسيون، 165.

(4) شعراء منسيون، 151، 157.

وخالد الكاتب بقوله[1]:

لقد تعاتبنا بأبصارنا

فيما جناه الخلف من عمده

حتى تجارحنا بتكرارنا الـ

ـلحظ في قلبي وفي خده

وقوله:

ومر بفكري خاطراً فجرحته

ولم أر خلقاً قط يجرحه الفكر

ويتصل بهذه الكلمات ما يعرف بالعيادة، وهي التي جاءت الإشارة إليها فيما أوردنا من قولي ماني وسمنون على صيغتي (الفعل المبني للمجهول/ يعاد)، و(اسم الفاعل/ عائدات)..

أما كلمة (الشفاء) فقد وردت على لسان خالد بقوله[2]:

جد لي بالشفاء يا مبتليه

هل نرى السقيم قد تبين فيه؟!

.. وواكب هذه الإشارة وسابقاتها تنويههم بالآفات كما نلحظ في قول خالد[3]:

وأضحى جديد الهم والشوق بالياً

ولا أحسب الآفات إلا من الهجر

---

(1) شعر محمد، 170.

(2) شعراء منسيون، 129، 133.

(3) شعراء منسيون، 190.

وتنويههم با(لداء، والأدواء)، وهما الكلمتان اللتان جري الحديث بهما على لسانه بقوله[1]:

أعان طرفي على جسـمي وأحشائي

بنظـرة وقفت جسـمي على دائـي

وكنـت غـراً بمـا يجني عـلى بدني

لا علـم لي أن بعضي بعـض أدوائي

وقول جعيفران[2]:

يـا أكلـة ذهبـت أبقـت حرارتهـا

داءً بقلبـك مـا صمنـا وصلينـا

ومثله إشارتهم للدواء، في قول خالد[3]:

رب مـالي ولـلـهـوى؟

مـا لـهـذا الـهـوى دوا

وإشارتهم للغربة، التي وصف بها جعيفران نفسه قائلاً[4]:

طـاف بـه طيـف مـن الوسـواس

فهـو غريـب بـين هـذي النـاس

ويتضمن هذا النص – أيضاً – إشارته إلى (الأنس) وعدمه، مضيفاً إليه قوله:

فما يرى يأنـس بالأناس

....

---

(1) شعراء منسيون، 144.

(2) شعراء منسيون، 109.

(3) شعر جعفر، 125.

(4) شعراء منسيون، 187.

ويجمع خالد، في استعماله هذه المفردة، بين الجملة الفعلية، بفعلها المضارع، وبين المصدر الثلاثي، قائلاً[1]

وتأنس بالشوق أنس المحـ

ـب علماً بأنك أهديته

ثم نراه يصوغ منها اسم الفاعل، مرة، ويشير إلى اسم الجنس مرة ثانية، ويذكر نقيضها/ المستوحش، مرة أخرى بقوله[2]:

ومستوحش آنس بالبكاء

على قلبه وعلى إنسه

ومنها إلى (التهيام)، التي ترد على لسان جعيفران، بقوله[3]:

وما كنت أخا موق

قديماً قبل تهيامي

وواكب ذلك إشارته إلى (القلق)، في قوله[4]:

نم لا أرقت فإن الهم أقلقه

فبات يسهد ليلا أنت راقده

وإشارته للحزن، بصيغة (اسم المفعول/ المحزون)، قائلاً[5]:

وهل يقرر المحزون إلا على الرضى

....

---

(1) شعر جعفر، 106.
(2) شعراء منسيون، 117.
(3) شعراء منسيون، 148.
(4) شعر جعفر، 119.
(5) شعراء منسيون، 121.

أما جعيفران فقد أتي بها جملة فعلية، بقوله[1]:

كـيـف لا أحــزن إذ لا

وجدت في الناس خليلا؟!

وفي موضـع آخر من شعره نراه يعرج علـى (التصفيد) وحلقاته المريرة، قائلا[2]:

ولا هــدت كل عيـن لــذ راقـدها

بنومـة في لذيـذ العيـش ممهــودا

إلا امتطيت الدجي شـوقاً إليك ولو

أصبحـت في حلق الأصفاد مصفودا

.. ومثله خالد الذي يشير إلى كل من (الحبس)، بقوله[3]:

أحادث نفســاً ترتقي كل ســاعــة

فأحبســها بـين الترائـب والنحـر

و(الأسر)، بقوله[4]:

لا فكنــي اللــه من أسر الهـوى أبداً

وعشــت أرجـوك يا سـؤلي وعافاك

(1) شعراء منسيون، 144.
(2) شعر جعفر، 116.
(3) شعر جعفر، 100.
(4) شعراء منسيون، 144.

و(الفرار)، بقوله[1]:

لا تقل: لم بكى فعاتبه الد

دمع فراراً إليك من عاذليه؟

ومثلـه أحمد بن عبدالسلام، الـذي يشير إلى الهـروب، مشتقاً منه اسم فاعل، واسمي زمان، ومكان، قائلاً[2]:

ليس للهارب في مهربه

أبـداً من روحـة إلا إليه

وجعيفران الذي نوه (بالعجز)، بصيغتي التفضيل، واسم الفاعل، بقوله[3]:

ولا ترى أعجز من عاجز

سكتنا عن ذمـه بخله

كما نوه بالبلبال (وهو شدة الهم)، بقوله[4]:

ومـا بي اليوم من جن

ولا وسـواس بلبـال

.. وفي الوقـت نفسـه يطالعنـا مـاني بإشارتـه إلى (الكربـة)، في بيتـه سالف الذكر:

سلي عائداتي: كيف أبصرن كربتي

فإن قلت: قد حابينني فاسألي الناسا

---

(1) شعراء منسيون، 162.

(2) شعراء عباسيون، 181.

(3) ديوان المصابين، 36

(4) شعر جعفر، 116.

وإشارته إلى (الترح)، بقوله[1]:

بكفيـك تقليـب القلـوب وإننــي

لفــي ترح ممــا ألاقي فمــا ذنبي؟!

.. وتنويهه با(لإملال)، بقوله[2]:

مــدمن التخفيف مــوصول

ومطيل اللــبث ممــلول

.. وترددت على ألسنتهم الإشارات إلى كل من (الهم)، و(الهموم)، كما نطالع في قول جعيفران[3]:

عــادنــي الهــم فاعتلج

كــــل هـــم إلى فــرج

ســل عــنـك الــهموم بالــ

كـــأس تـــنـــفـــرج!!

وقول خالد[4]:

هن أنحلنني ووكلن قلبي

بلباس الهموم والــزفرات

---

(1) شعر جعفر، 113.

(2) شعر محمد، 162.

(3) شعر محمد، 185.

(4) شعر جعفر، 96.

وكرر إشارته إلى (الزفرات)، قائلاً[1]:

يـا موطـن الزفـرات قلـب محبـه

بالهجر هـل من نائـل, أو موعد؟!

كما كرر الإشارة إلى (الضني) بقوله[2]:

يعرب عـن مدنف كئيب

بـه ضني كامـن وبادي

وقوله:

لقـد ذاب كلي بالصبابـة والضنـي

وأدنفنـي شـوق إلى الحسـن الكلي

وقوله:

فهما بين اكتئاب وضنًي

تركاني كالقضيب الذابل

وقـد جمـع الشاعـر بين هـذه المفـردة/ الضنـي، وبـين (الكآبـة)، أو (الاكتئاب)، في موضعين، من هذه المواضع الثلاثة، مفرداً إياها -مع الحزن الشديد بقوله[3]:

كل جزء منه كئيب حزين

ليس يبكي إلا على ما يليه

---

(1) شعراء منسيون، 118.

(2) شعراء منسيون، 126.

(3) شعراء منسيون، 127، 172، 173...

أمـا مـاني فقد جمع بـين اسم الفاعل مـن هذه الكلمـة (مكتئب) وبين (حرارة الكبد)، في قوله[1]:

مكتئب ذو كبد حـرى

تبكي عليه مقلة أخرى

وتعددت إشاراتهم إلى (السقم)، مفرداً، وجمعاً.. كما نلحظ في قراءتنا قول أحمد بن عبدالسلام[2] :

ديبـاج وجهـك لا ديبـاج تختكـم

أهـدى إلى مـع الأسـقـام أحزانـا

وقول ماني[3]:

لم يبق منه السقام إلا

جلداً على أعظم رقـاق

وقوله:

فقمت وللسقم من مفرقي

إلى قدمـي ألسن تنطق

---

(1) شعراء منسيون، 190.

(2) شعر محمد، 207.

(3) ديوان المصابين، 5.

.. كما أكثر خالد من الاستعانة بكل من (الحسرة)، و(الكمد)، و(الوجد)، و(الحيرة)، و(الاحتراق)، في مواقف متعددة من شعره، كما نطالع في قوله[1]:

يا طول زفرته من طول حسرته

وما أعد له في يومه وغده!!

وقوله:

إذا زفرة غصت فؤادي بحسرة

بعثت بها من مقلتي عبرة تجري

وقوله:

الله يعلم أنني كمد

لا أستطيع أبث ما أجد

وقوله:

إن الحشا لم تزل ستراً فهتكها

عن كل من سترته الشوق والكمد

وقوله:

سلوت وفي قلبي على الهجر خطرة

من الوجد لم يدخل مداخلها الصبر

---

(1) شعر محمد، 181، 183.. وقد أتى خالد بالجملة الفعلية، تارة، وبصيغة المبالغة تارة أخرى، اعتماداً على هذه المادة الصرفية بقوله:

وانظر إلى بعين أسقمت بدني فجوهر اللحظ من عينيك أعدائي

وقوله:

قالوا: تراك سقيماً فقلت: من مقلتيه

(شعراء منسيون، 73، 183).

وقوله:

فإن أنهب القلب وجد به

فجسمك لا شك في إثره

وقوله:

فالوهم يعجز عنه فهو مقتسم

رأياً تحير بين القلب والفكر

وقوله:

وقائل لي: أين الصبر؟ قلت له:

كل الفؤاد من الأحزان فاحترقا

.. وقد أتت هذه المفردات المشار إليها بصيغ صرفية مختلفة تجمع بين الأسماء/ المصادر الثلاثية، من جهة والأفعال الماضية (تحير/ تفعل)، و(احترق/ افتعل)، من جهة ثانية، كما أتي بعضها مقترناً بالزفرات، أو غصة القلب، أو الشوق العارم، والأحزان، من جهة أخرى.. في الوقت الذي نلحظ مجيء (القروح) قروح الجفون، مقترنة بالدموع الحارة، حيناً، ومنسوبة إلى القلب، حيناً آخر، بقوله نفسه[1]:

حسبها أن بكت دماً ودموعاً

بهما أقرحت جفوناً وخدا

(1) شعراء منسيون، 131، 144، 121، 123، 35، 146، 257، 141، 159..

وقوله:

رخي الطرف من وسن الرقاد

قريح الجفن من ألم السهاد

وقوله:

قريح القلب موجعه

بوقع في تسهده

.. ويتردد مجيء (الوهم) في شعره، مرتبطاً بالعين/ الطرف، تارة، وبغير ارتباط تارة أخرى.. كما نلحظ في قراءتنا قوله[1]:

توهمه طرفي فأصبح خده

وفيه مكان الوسم من نظر أبر

وقوله:

لو أعين الوهم ترميه بأضعفها

أثرن في خده من رقة أثرا

وقوله:

فالوهم يعجز عنه فهو مقتسم

رأياً تحير بين القلب والفكر

ويشير هؤلاء الشعراء، وغيرهم إلى كل من ذهاب النفس والقلب، اكتئاباً، ولوعة، كما يشيرون إلى كل من السهد والأرق، هماً، وكرباً وسقماً،

---

(1) شعراء منسيون، 125، 126، 127.

وإعياء، وضعف العقل، أو رجحانه، في دوائر متصلة، يكمل بعضها بعضاً، ولا ينفصل عنه، كما نطالع في قول خالد[1]:

لا أحســب القلب إن ولى الحبيب به

يدعــي بعـــود لأن النفس لــم تعد

وقوله:

بالله فاردد فؤاد مكتئب

ليس له مــن فؤاده خلف

وقوله:

نم لا أرقت فإن الهم أقلقه

فبات يسهد ليلاً أنت راقده

وقوله:

أرقــت حتــى كأنــي أعشــق الأرقا

وذبــت حتــى كأن الســقم لي خلقا

وقول بهلول[2]:

كم من دني ضعيــف العقل تعرفه

لــولا الــولايــة والأرزاق والذهــب

ومن حســـيــب لــه عقــل يــزينه

بادي الخصاصة لا يدري له ســبب

---

(1) شعراء منسيون، 133، 139، 141.

(2) شعراء منسيون، 133، 156، 121، 159.

وقول جعيفران[1]:

ولـــو كـنـت كـقــــارون

ووالي رحـبــــة الجند

رأونــــي راجــح العقــل

جـمـيـلاً حسـن القد

وقوله:

ولـــو كـنـت كـقــــارون

وفـــرعـــــون لإقبـال

رأونــــي حسن العقــل

أحــل المـنـــزل العــالي

وقوله:

قالوا على كذباً وبطلا

إني مجنون فقدت العقلا

.. وتتواتـر في أشعارهم الاستعانة بمفـردات ذات وشائج معنوية وطيدة بهذه المفـردات، وفي مقدمتها: العذاب، والإدمـان، والصداع، واللكنة، إضافـة إلى استعانتهم ببعض الكلمـات، والجمل الدالة على مدى تحيرهم، وترددهـم، واضطـراب أحوالهـم.. ومـن ذلك مـا نلحظـه في إنشادنا قول ماني[2]:

(1) ديوان المصابين، 20.

(2) شعر جعفر، 98، 113، 118..

معذب القلب بالفراق

قد بلغت نفسه التراقي

وقوله:

مدمن التخفيف موصول

ومطيـل اللبـث مملول

وقول خالد[1]:

لو رمقته العيون مدمنة

لذاب من لحظها فلم تجد

وقول جعيفران[2]:

أنت العروس لها جمال فائق

لكنها في كل يوم تصـدع

وقوله:

ألكن لا يفصح حرفين في

صــدق ولحــان بإعراب

وقول خالد[3]:

فأصبحت لا أدري لأية وجهة

أسير ولا في أي حال له عذر

---

(1) شعر محمد، 181، 185.

(2) شعراء منسيون، 135.

(3) شعر جعفر، 105، 93.

.. وبمعـاودة النظر في هذا النصوص، وسابقاتهـا، يتأكد لنا مدى براعة منشديهـا في تشكيلهـم الفني هذا الجانب الحيوي مـن مكونات تجاربهم الشعرية، تشكيلا يتمثل خلاصـة مواقفهم الإنسانية، والأدبية المتباينة التي غلبت عليها مظاهر الحـيرة، والتردد، والقلق، والشعـور المفعم بالمعاناة.. كمـا تتأكد لدينا صحة ما قرره الدكتور عز الديـن إسماعيل برؤيته النقدية الثاقبة إلى لغة الشعر بوصفها خلاصة التجربة الشعرية، بكل ما تتضمنه من ألفاظ، وصور، وأخيلة، وعاطفـة، وموسيقا.. وغيرها من الأدوات الفنية الفاعلـة، التي يرتبط بعضها ببعض بعلاقات من التأثر، والتأثير، وإلي الشعر بكونـه استكشافاً دائماً لعالم الكلمة، واستكشافاً دائماً للوجود، عن طريق الكلمة[1] من جهة.. ويتضح لنا مدى تأثر هؤلاء الشعراء بعلتهم، وما واكبها من أجواء المرض النفسي، والبدني المتصلة بها.. من جهة أخرى..

وإذا تقدمنا خطوة في دراستنا لمعالم لغتهم الشعرية –لاحظنا إلى أي مدى استفـاد بعضهم من ممارسته لأعمال الكتابة/ الخطاطة، في تشكيل عشرات المفردات ذات الارتباط القوي بهذه المهنة.. وفي مقدمتها: (الخط) وجودة ضبطـه، وتحسينه، وبيانه، وترتيبه، ونظمه، وهي الأشياء التي أشار إليها أبو بكر الوسوس بقوله[2]:

اعـذر أخاك على رداءة خطه

واغفر رداءته لجودة ضبطه

---

(1) شعراء منسيون، 135.

(2) الشعر العربي المعاصر، 174.

فالخط ليس يراد من تحسينه

وبيـانه إلا إبانـة سمطه

فإذا أبان عن المعاني سمطه

كانت ملاحته زيادة شـرطه

.. وقـد نقل خالـد الكاتب، باستعانتـه بهذه المفردات، مـن هذا (الجو الإخـواني) الذي انطلق منه أبو بكـر الموسوس إلى (جو نفسي) آخر يرتبط بتجربـة، أو تجارب عاطفية، متأججة المشاعر، والأحاسيس، واصفاً نفسه بالتفاني؛ شوقاً إلى مواصلة محبوبته، ومناغاتها، ومعرجاً على كل من (الخط، والمحو، والمداد، والقرطاس، والمعمـي، والبياض، والسواد، والإعراب)، وغيره مما يرتبط بالكتابة، قائلاً[1]:

حـي الهوى ميت الفؤاد

نائى الكرى حاضر السهاد

إن خط خطاً محاه دمع

يأتي على الخط بالمداد

وكل قـرطاسه المعمـي

بياض دمـع على سـواد

يعرب عن مدنف كئيب

به ضني كامـن وبادي

(1) ديوان المصابين، 15.

وفي وصفه جانباً من معالم الأطلال التي أغرم بها أبو حية يطالعنا بالإشارة الموحية إلى بقايا الكتابة، والنقوش التعبيرية التي تراءت لمدركاته، عند وقوفه بديار أحبته بقوله[1]:

من العرصات غير مخد نوى

كباقي الوحي خط على أمام

وانتقل في موضع آخر إلى التنويه بهذا المعلم نفسه من معالم الأطلال، مضيفاً إليه الإشارة إلى الكتاب الذي خطه يهودي بكفه، مقاربة، وإضافة، ونسخاً، ومحوراً، قائلاً[2]:

كما خط الكتاب بكف يوماً

يهودي يقارب أو يزيل

وفي وصفه جانباً من مزاولته عمله/ الكتابي - الذي انحرف به إلى آفاق التفحش والتماجن- يطالعنا مصعب الكاتب بالإشارة إلى كل من محبرته، ودفتره، بقوله[3]:

ومحبرتي رأس الرياء ودفتري

ونعلي بالأسحار أو رائحاً رجلي

ويخاطب عبدالله بن أبي الشيص أحد إخوانه، منوهاً بالحواشي والديباجة قائلاً[4]:

---

(1) شعراء منسيون، 127.

(2) شعر أبي حية، النص (40).

(3) شعر أبي حية، النص (32).

(4) ديوان المصابين، 326.

اسـلك بحـق الـراح والرشـأ الذي

لـه في حـواشي طرفـه أبداً سـحر

ترى منك مـاء الوجه في ماء وجهه

وللعـين في ديبـاج بهجتـه زهـر

أما الكاتب، كاتـب الأمير، وغيره، فقد أشار بهلول إلى بعض ما تهاوي في دركاته، في عصره، من غش وخيانة، يؤذنان بوقوع الطامة[1]:

إذا خـان الأمـير وكاتبـاه

وقـاضي الأرض داهـن في القضـاء

فويـل ثـم ويـل ثـم ويـل

لأهـل الأرض مـن رب السـمـاء!

وبطول ممارسـة خالد الكاتب لهذه المهنة، وإكثـاره من الشعر الغزلي - نراه يكثر مـن الإلحاح على الاستعانة بمفرداتها، ويكثر من نقلها من التعبير الحقيقـي المباشر إلى آفاق التعبير المجازي، ومن ذلك مـا أنشده، مشيراً إلى كل من الكتابة، والكتاب، وختمه، وجوابه، والإملاء، والخط، والمحو، في إطار صوره الفنية الغزلية، بقوله[2]:

كتب الطرف في فؤادي كتاباً

هو بالشوق والهوى مختوم

---

(1) ديوان المصابين، 209.. وتنظر إشارتا كل من سمنون، ومصعب الكاتب إلى القلم، بقول أولهما:

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا قلم في الخلق يحكيه

وقول الآخر:

وكر يمشق في قرطاسه قلمي ... والليل ملق على الآفاق أستارا

(ديوان المصابين، 195، 323).

(2) ديوان المصابين، 16.

وقوله:

إنـــي كتبت بغرتـــي

ما في فـــؤادي في كتابي

وقوله:

كتبت إليك بماء الجفون

وقلبي بماء الهوى مشرب

فكفي تخط وقلبي يمل

ل وعيناي تمحو الذي أكتب

وفي مواضـع أخـرى يطالعنـا بإشارتـه إلى كل من المـداد، والحروف، والقـراءة، والكتاب، والسطور، والأشطار، واصفـاً جانباً من أعماقه محباً هيمان، قائلاً[1]:

لا تكـف البـكاء عينـي فأقـرا

إن بـين الكتـاب والعـين سـترا

فأرانـــي إذا تأملـــت شـطـراً

كتبـت مقلتـــي بعينـي شـطـرا

وكفاهـا بـأن تـرى في كتـاب

بمـداد سـطـراً وبالدمع سـطـرا

أنـا أمـلي حـروفـه ودمـوعـي

يتبعـن الهـوى ويشـفين صـدرا

---

(1) شعراء منسيون، 177، 112، 109.

ثم نـراه يتطرق إلى عـمليات الإرسال، إرسال الكتب، والرسائل، متخذاً في إطـار تجربته نفسـهـا، أو نحوها، من زفرات جوانحـه سفيراً بينه وبين مخـاطبه[1]:

إنـي إذا لم أجـد شـخصاً لأرسـله

وضـاق بى منتهى أمري وملتمسـي

لمرسـل زفرة من بعدها نفسـي

ياليت شـعري هل يأتيكم نفسـي؟!

وقد يضطر حالتئذ، لإرسال دمعه رسـولاً ينقل رسائله إلى محبيه[2]:

دمـع عينى كان مشـتا

قـاً إلى قـرة عيني

إنـه كـان رسـولاً

بينه الـدهـر وبيني!!

ومن الإرسـال إلى (الجـواب)، الذي ينتظره رداً على ما بعثه بقوله:

وهـو (الجواب) كفاه في إسـكاته

إذ لـم يجـد في الصب مسـكة قائل

وقوله:

فافهم معاني الدمع واجـ

ـعل ما أؤمله جـوابي

---

(1) شعراء منسيون، 138.

(2) شعراء منسيون، 148.

.. وفي الوقـت نفسـه يطالعنا سعـدون بالإشـارة إلى الكتـاب (كتاب الحسنات والسيئات) متوجساً بما تحمله سطوره من جزاء[1]:

في كتابي عجـائب مثبتات

ليتني ما لقيتها في بقائي!!

أمـا خـالد فقـد أفرد (الكاتب) وهـو يرسـل النـظـرات؛ تأملاً في تأن، مطيلاً التحديـق؛ استكشافاً لآفـاق صفحته بقوله السـالف الذكـر:

لو رمقته العيـون مدمنة

لـذاب من لحظها فلم تجـد

.. وفي موضـع آخر، نراه يـولي عنايته بعض أدوات الكاتب، الذي يقوم بمزج الأحبـار، بعضها ببعض، تحقيقاً لبعض مآربه، قائلا[2]:

أيـن لى عبـرة فأطفـئ وجـداً

إن عينـى لـم تأل في الدمـع جهـدا

حسـبها أن بكـت دمـاً ودموعـاً

بهمـا أقرحـت جفونـاً وخـدا

مزجـت ذا يـد كمـا مـزج الشـو

ق بحـر الغليـل سـقمـاً وسـهدا

---

(1) شعراء منسيون، 185، 172، 112.

(2) ديوان المصابين، 130.

ثـم يشير إلى كل من البياض والاحمرار، لونين مفضلين عنده، وعند بعض أترابه، بقوله متغزلاً[1]:

حـين تحمـر وجنتـاك ويحمـر

بيـاض القميـص مـن وجنتيـكا

ومن الألـوان التي تتخذها بعض الأحبار إلى انسكاب هـذه الأحبار، متخذاً من (انحدار الدمع) مجازاً للدلالة على فحوى معناه[2]:

أما وانحـدار الدمع من جفن مقلة

غريق على خـد مـن الدمع مخضل

لقـد ذاب كلى بالصبابـة والضنـى

وأدنفني شـوق إلى الحسـن الكلى

وتطول معاناته، بسبب صدود أحبته عنه، فيلجأ إلى تصوير نفسه بذبالة تحترق بعد طول إضاءة للكاتب وغيره[3]:

أحـرم منكـم بمـا أقـول وقـد

نال بـه العاشـقون من عشـقوا

صرت كأنـي ذبالـة نصبـت

تـضيء للنـاس وهـي تحـترق!!

---

(1) شعراء منسيون، 125.

(2) شعراء منسيون، 162.

(3) شعراء منسيون، 172.

.. وبمعـاودة التأمـل في دلالات هذه الصور الشعريـة المرتبطة بالكتابة -أدواتهـا، وطقوسهـا- يتضح لنا عـدم انفصالها، جملـة وتفصيلاً، عن مثيلاتها السـابقة، التي نيف بها أصحابها شـطر أنفسهم، وقد أصابها شيء من الوهن، والفتور، والعلة النفسية، والبدنية؛ بسبب ما كابدوه من حرمان اجتماعي، وغيره مـن جهة، إضافة إلى مواكبتها مثيلاتها التي نطالعها، في قراءتنا أشعار الكتاب بعصرهـم[1]، من جهة ثانية، وعدم تأثرها السلبي بما أصيب به أصحابها، أو نسبوا إليه من وسوسة، أو جنون، من جهـة أخرى.

وتنطبق هذه الخصائص التشكيلية، وتلك -أيضاً- على ما نلحظه من بناء لغـة الشعر وصوره في أشعار بعض هؤلاء الشعـراء الذين اتجهوا بها اتجاها صوفيـاً، أو وعظياً، إرشادياً، يواكب ما أنشـده بعض معاصريهم، في هذا الفن الشعري، وذلك، وما يتصل بهما..

وتستهل مفردات (المعجـم الصـوفي) في أشعار هـؤلاء الشعراء بالألفاظ التـي وصفوا بها جوانب مـن حيواتهم، بكونهم (أهـل الإشـارة)، الذين يخبرون عن أحوالهـم من غـير استعانة بتعبير باللسان.. ويرد هذا الوصف على لسان سمنون، بقوله، في شأن الحب الصوفي/ العلوي[2]:

الحب شيء لطيف ليـس يدركه

عقل لإدراكـه عز وتدبيـر

---

(1) شعراء منسيون، 158.

(2) ينظر بالتفصيل: العمدة، 2/ 160، 109 - 110، والشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري، 469 - 471، وأربعة شعـراء عباسيين، 263، وفي أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعـر، 190 - 191، وشعر آل أبي أمية الكاتب، 7689، وشعر أحمد بن يوسف الكاتب، 6477..

لكنه في مجــاري الســر يعرفه

أهل الإشــارة لا كيف وتقدير

ويــتراءى لقارئ بعض أشعارهم وصفهــم أنفسهم بـ(المحبــين)، الذين خلصت قلوبهم للمحبة، فاختصــوا بسرها، و(أنسها) و(نورها)، الذي لا يتسنى لغيرهم الاطلاع عليه، أو بلوغ شأنه[1]:

بين المحبين ســر ليس ينســبــه

قول ولا قلم في الخلق يحكيه

سر يـمــازجــه أنس يقابله

نور تحيــر في جو من التيــه

ويوصــف هؤلاء (المحبون) (بالعــارفين)، الذين تحن قلوبهم صافية الود، حنينــاً متواليــاً، يتسامى بهــم إلى درجات الفوز الأسنــى بقرب حبيبهم، ومولاهم/ سبحانه وتعالى، الذي أخلصوه حبهم، وأفردوا له مودتهم[2]:

قلوب (العارفين) تحن حتى

تحل بقربه في كل راح

صفت في ود مولاهــا فما إن

لهــا من وده أبــداً براح

---

(1) ديوان المصابين، 181.

(2) ديوان المصابين، 195.

(وتتولــه) قلوب هــؤلاء العارفين تولهـا بحب مليكهم (جـل شـأنه)؛ فيأخذهم هذا التوله إلى رحاب سامقة من دلائل طاعته، وتقواه[1]:

ولهت قلوب العارفين بحبه

فتناشروا وتبايعوا الأعمالا

ويؤمــن هــؤلاء المحبــون/ العارفون/ المخلصون بــأن صنيع الرب (جل وعـلا) دائما حسـن جميل، يتنزه عن النقائص والعيوب[2]:

صنيع مليكنا حـسن جميل

وما أرزاقنا مما يفـوت

.. وفي الوقــت نفســه يطالعنا أحدهم، وهو سـعـدون، بخطابه، الذي توجه به إلى أحد خلانه من أحد طلاب العلم اللدني، بقـوله[3]:

يـا طالـب العلـم مـن هنـا وهنا

ومعـدن العلـم بـين جنبيكـا

إن كنت تبغى الجنـان تسـكنهـا

فمثـل العــرض بين عينيـكا

إن كنت تـرجـو الجنـان تخطبها

فأسـبل الـدمــع فـوق خديـكا

وقــم إذا قـام كل مـجـتهـد

وادع لكـي يقــول: (لبيـكا)..!!

---

(1) ديوان المصابين، 140141.

(2) ديوان المصابين، 13.

(3) ديوان المصابين، 23.

وقد وصف سعدون مخاطبه الواقعى، أو المأمول، ببعض الصفات النادرة العزيزة، وفي مقدمتها تمثل يوم القيامة أمام ناظريه، ومدركاته، في كل حال وحين، وإسبال الدموع غزيرة، والقيام في تهجد وابتهال يدعو ربه؛ رهبة ورغبة، بطيب نفس، وحرارة قلب..

وفي الاتجاه نفسه نلحظ وصف أحد هؤلاء الشعراء وهو بهلول محبه بالخليل، الذي يرجي رفده، وخيره وبره ويؤمن شره وغدره، قائلاً[1]:

ادن مني ولا تخافن غدري
ليس يخشي الخليل غدر الخليل
إن أدني الذي ينالك مني
ستر ما تتقي وبث الجميل

وفي موضع آخر من شعره يطالعنا بهلول باتخاذه (المرآة) أداة فنية، تعارف عليها، هو وأقرانه من المتصوفين، رامزاً بها إلى (النفس الإنسانية المضيئة بنور الايمان، والمحبة، واليقين، بقوله[2]:

أضمر أن يأخذ المراة لكي
ينظر تمثاله فأدناها
فجاز وهم الضمير منه إلى
وجنتيه في الهوى فأدماها

---

(1) ديوان المصابين، 152135.

(2) ديوان المصابين، 34.

ويـرى المتصوفة أن خـير وصال بالله (تعالى) إنما يتـم بذكره، وتسبيحه، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله[1]:

سبحان من لم تزل له حجج

قامت على خلقــه بمعرفته

قد علموا أنه مليكهــم

يعجز وصف الأنام عن صفته

وتبع هذا التسبيح لله، وتنزيهه حثهم مريديهم على وجوب هجر العالمين/ الورى، والتشوق بحرارة إلى قرب المحبوب الأسنى (سبحانه)[2]:

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم

وعفت الكرى شــوقاً إليــه فلم أنم

ويستوجــب هذا التشــوق المفعم بالمحبــة والهيام إخلاصــ العبادة لله، والتجرد لطاعته، والعمل باحكامه[3]:

وكن لربك ذا حب لتخدمه

إن المحبين للأحباب خدام

ويتخــذ هؤلاء المحبون من (لغة العتاب) أداة فنية، يعبرون بها عن جانب من أحاسيسهم الجارفة بالمحبة، والوداد، واصفين محبوبهم (سبحانه وتعالى) بأنه (يعاتبهم).. على حد قول سمنون[4]:

---

(1) ديوان المصابين، 38. وينظر: اصطلاحات الصوفية. 98.

(2) ديوان المصابين، 135.

(3) ديوان المصابين، 158.

(4) ديوان المصابين، 157.

يعاتبني فينبسط انقباضي

وتسكن روعتي عند العتاب

.. وفي موضع آخر من شعره يشير إلى محبوبه، الذي يعتبه ولا يملك رد هذا العتاب بعتاب مثله، إجلالاً لمحبه وتقديراً[1]:

بليت بمن لا أستطيع عتابه

ويعتبني حتى يقال: له الذنب

وإضافة إلى ذلك نلحظ كثرة تعويلهم على لغة (المناجاة) التي خصوا بها معبودهم/ سبحانه، بوصفه الأجل، الذي يطلع على مكنون أسرارهم، وبواطن اعتقاداتهم، ومنتهى أمورهم؛ ويصلح فسادها، ويتولى رعايتها، بفضله[2]:

يا من يرى باطن اعتقادي

ومنتهى الأمر في فؤادي

أصلح فساد الأمور مني

ولا تدع موضع الفساد

وقد تتحول (مناجاتهم) إلى (بكائية ضارعة) ينيبون فيها إلى الله، مخاطبين ذنوبهم التي يرون أنها تراكمت عليهم بسبب كثرة ما اقترفته جوارحهم من المعاصي والآثار، كما نلحظ في مناجاة سعدون بقوله[3]:

---

(1) ديوان المصابين، 170.

(2) ديوان المصابين، 173.

(3) ديوان المصابين، 143.

يا ذنوبي عليك طال بكائي

صرت لي مأثماً فقل عـزائي

في كتابي عجائب مثبتات

ليتني مالقيتها في بقائــي

نظر العين قادني للخطايـا

إذ أذنت اللحـوظ للأهواء

تالياً للقران يتلو المعاصــي

اسمه في السماء: (عبد مرائي)

ويدفعهــم إحساسهــم المتنامي بالمــوت إلى الشعور بالــذل والانكسار، والفقد، ويدعوهم إلى القناعة والتزهد في متع الحياة الدنيا[1]:

نغص المــوت ريحه كـل طيــب

ودهاني بفقـد كل حبيب

ولكم إذا رأيـت من حدث الســ

ـن غريراً كغصن بان رطيــب

أحس بالموت فانثنـي بانكســا

ر واضعاً خده بــذل عجيــب

قائلاً: إخوتــي سلام عــليكـم

آذنت شمس مدتي بالمغيب!!

---

(1) ديوان المصابين، 130.

وتتردد، في مواضع كثيرة من أشعارهم، مفردات (لغة النصيحة) والوعظ والإرشـاد، وهي اللغة التي تغلب عليها الأساليـب الإنشائية: أمراً، ونهياً، وتمنياً، وترجيـاً، واستفهاماً.. ونحوه.. متجهـين في نصحهم، ووعظهم اتجاهـات متعددة تبدأ بعـين الشاعر نفسـه، أحياناً، مخاطبـاً فيها بصيرتها النافـذة، وإحساسها المرهف؛ عسى أن تجـود بالدموع غزيرة، حزناً عليه، نفسه، وقد آذنت شمسه بالغروب[1]:

عـين فابكـي عـلى قبـل انطلاقي
بدمـوع تمـل منهـا المآقـي
وانظـري مصرعي فقد قضي الأمـ
ـر ونوحـي عـلى قبـل الفـراق

وقـد يجعل الشاعر خطابه لنفسه التي تعيشـ بين جنبيه، حاثاً إياها على عدم التمـادي في المعصية، والضلال، والمسارعـة إلى إعلان توبة نصوح، تتطهر بها من أدران الذنوب[2]:

كل يـوم يمـر يأخـذ بعضـي
يذهـب الأطيبـان مـنـي ويمضي
نفـس كفي عـن المعـاصي وتوبي
فمـا المعاصي عـلى العبـاد بفرض

(1) ديوان المصابين، 132.
(2) ديوان المصابين، 149.

.. ومن النصح للعين، والنفس، إلى الدنيا الفانية، بزخرفها الزائل، ولكن بواسطة ناصح عاقل هو قلبه أو عقله، مرسلاً لها لعناته، وتبرمه[1]:

قل لدنياي: ابعدي وتولي

إن تريني فإنني لا أراك

وصلي واملكي وداد سوائي

إنني مغرم بحب سواك

إن تكوني أسرت بالذنب قوماً

فاذهبي أنت لست من أسراك

وقول بهلول:

أف للدنيا فليست لي بدار

إنما الراحة في دار القرار!!

أبت الساعات إلا سرعة

في بلى جسمي بليل ونهار

وفي خطابهم لمستمعيهم - نراهم يكثرون من أساليب الاستفهام التي تستجيش فيهم رغبات التفكر، والتدبر، وتغيير الأحوال.. ومن ذلك ما نلحظه في قول بهلول[2]:

متى تنقضي حاجات من ليس بالغاً

إلى حاجة حتى تكون له أخرى؟!

---

(1) ديوان المصابين، 152، 29.

(2) ديوان المصابين، 39، 27. 25. وينظر قول سعدون بالمصدر نفسه، 142.

وقوله:

هـب أنـك قـد ملكـت الأرض طراً

ودان لـك العبـاد فـكان مـاذا؟

أليـس غـداً مصـيرك جـوف قبـر

ويحثـو الـترب هـذا.. ثـم هـذا؟!!

.. ومـن الاستفهـام إلى الأمر، الذي يطالعنا به، حاثـاً مخاطبه على التزام الحياء مع الله، (تعالى)، ومراقبته، في السر والعلانية، منيفاً شطر الاستفهام، مرة أخرى، قائلاً:

كـن حييـاً إذا خلـوت بذنـب

دون ذي العـرش من حكيم مجيـد

أتـهاونـت بالإلـه بدبـاً

وتـواريـت عـن عيـون العبيـد؟

أقـرأت القـران أم لسـت تـدري

إن ذا العـرش دون (حبل الوريد)؟!

.. وقد يتجه بعضهـم إلى الاستعانة بأساليب القصـ/ الحكي، المتعارف عليه في عصرهم، جنباً إلى جنب ما درجوا عليه من (مناجيات) كما نلحظ في مطالعتنا قول سمنون[1]:

كان لي قلـب أعيـش به

ضـاع منـي في تقلبه

---

(1) ديوان المصابين، 172.. وينظر مثله ص 177.

رب فـــارده علـى فقد

عيل صـــبري في تطلبه

وأغــث ما دام بــي رمق

يا غياث المستغيث به!!

أو يتجهــون مع كثرة التســاؤلات إلى نقد المجتمع المحيط بهم، مظهرين بعض مساوئه؛ عسى أن يثمر ذلك عن إصلاحه[1]:

أرى كل إنســان يــرى عيــب غيــره

ويعمــى عــن العيب الــذي هو فيه

ومــا خير مــن تخفى عليــه عيوبه

ويبدو لـــه العيب الــذي لأخيــه؟!

وكيــف أرى عيباً وعيبــي ظاهر؟!

وما يعرف الســوءات غير ســفيه؟

وقد يلجأون إلى استشراف آفاق الماضي بصفحاته الناطقة بالعبرة والعظة، كما نطالع في قول بهلول[2]:

هــذي منــازل أقــوام عهــدتهــم

في ظــل عيــش أنيــق مــا لــه خطر

دارت عليهم صروف الدهر فانتقلوا

إلى القبــور فــلا عيـــن ولا أثـــر

---

(1) ديوان المصابين، 161.

(2) ديوان المصابين، 29، 25 – 26، 31..

.. ومن الماضي بآفاقه.. إلى صفحات نورانية من الغيب المنشود، باستلهام مشاهد متجددة من يوم العرض والحساب:

عرضنا على المولى ونحن عبيد

فهنا شقي رده وسعيد

فيا غبننا (يوم التغابن) عندما

يقابلهم وعد ونحن وعيد

ترى الناس -إلا هم سكارى وما هم

سكارى ولكن العذاب شديد

.. أو تشويقهم مع تواتر الأسئلة المحفزة، واستثارة آمالهم، ورغباتهم في الفوز بنعيم الله، وحسن ثوابه، الذي أعده لعباده الصالحين في جنات الفردوس:

يا طالب الحور ألا تستحي

يحملك النوم على السور؟!

وخاطب الحور طويل البكا

مقيد الأعضاء محصور

لا تطعم الغمض وما إن له

راحة جسم أو يرى الحور

في جنة زخرفها ذو العلى

ينعم فيها كل محبور

وفي الوقت نفسه نلحظ أن مفردات هذا الرافد اللغوي، المرتبط بكل

مـن التصوف، والتزهيد، والوعظ، وسابقه، مما يتصل بالكتابة قد اشتملت علـى أدوات معجم شعري آخر، واكب بـه أصحابه اتجاهات معاصريهم، بمكونات ثقافتهـم الدينية، والفكرية، والثقافيـة... وغيرها، مما وصل إليه المجتمع المسلم، آنذاك، وعودة إلى ما أسلفناه في الصفحات القليلة السابقة توقفنا على كثير من مفردات هذا المعجم، وخاصة ما يشير إلى كل من: (جنة النعيم)، و(الحور العـين)، و(يوم التغابن)، و(قراءة القـرآن)، و(الحفظة)، وغـير ذلك[1]، مما نقف على دلائل بينات، من تواصلهم مع نصوص قرآنية

---

(1) تنظر مثلاً: إشارة سمنون إلى كل من الحلال، والشاهد والرقيب بقوله:

حرام على قلب تحرم بالهوى ... يكون لغير الحق فيه تصيب

وقوله:

تفرد فيه فانفردت بحبه ... فصار على شاهد ودليل

وحثه على التزود بالتقوي بقوله ... تخون على الزاد

وما الزاد سوي التقوي.. وحث خالد على التصدق، والتوبة إلى الله بقوله:

فتصدقي لا تأمني أن تسألي ... فلئن سألت عرفت ذل السائل

وقوله:

تب إلى الله واشك هذا إليه ... يا قتيل الهوى بغير قتيل

وإشارات مصعب الكاتب إلى كل من الأمر بالمعروف، والرياء، وأم الفقيه وغيرها، بقوله:

وآمر بالمعروف لا من تقية ... وكيف وقولي لا يصدقه فعلي؟!

أقول إذا لاقيت قوماً: ألا اتقوا ... ولو عرفوا حالي لحل لهم قتلي

ومحبرتي رأس الرياء ودفتري ... ونعلي بالأسحار أو رائحا رجلي

أؤم فقيها ليس همي فقهه ... ولكن لديه المرد مجتمعي الشمل

إضافة إلى استعاذة أحمد بن عبدالسلام استعاذة تقارب إيمانه بالله، (سبحانه)، وتسبيحه، واستغفاره بقوله:

لم يخلق الله من خلق يعادله ... أستغفر الله – إذ أغفلت حمدانا

إني أعوذ بطرف منك يسحرني ... من أن تجرعني صداً وهجرانا!!

وخشية برذعة من حدود الزنا، بقوله:

لقد أمن الدلاك من أن تنالهم ... حدود الزنا في واضحاك المسالك

وتنويه أبي بكر الموسوس بكل من الإنجيل ومدارسته الإسلام الحنيف، بقوله:

يا من إذا درس الإنجيل ظل له ... قلب الحنيف عن الإسلام منصرفا

ووصف بهلول الدار الآخرة بدار القرار بقوله:

أف للدنيا فليست لي بدار ... إنما الراحة في دار القرار

وإشارة سعدون إلى الحفظة، بقوله:

فإذا كان ذا وفاء ورأي ... حفظ الوقت واتقي الحفظه

.... وغيره.......

متواتـرة، وتوظيفها بما يناسب مواقفهــم الإنسانية والأدبية، كما نلحظ في مطالعتنا قول أحدهم:

ترى الناس إلا هم -سكارى وما هم

سـكارى ولكـن العـذاب شـديد

وهو الذي تأثر به في بنائه لقوله:

أقـرأت القـرآن أم لسـت تـدري

أن ذا العـرش دون حبـل الوريـد؟!

وضمنه خطابه الشعري لنفسه، قائلاً:

وانظـري مصرعي فقد قضي الأمـ

ـر ونوحـي عـلى قبـل الفـراق

تضميناً يشبه، في حسن موقعـه، وقوة تأثيره، ما سلطـه كل من أبي الصقر، بقوله:

إنـا إلى اللـه وإنـا بـه

يرتفع الناس وأنحط؟!

وخالد الكاتب بقوله:

هبني أسأت وكـان ذنـ

بي مثل ذنـب أبي لهـب

وقوله:

تكـون مـن نـور الإلـه بلامـس

يقول عزيز: كن من الروح بالقدس

وقوله:

بحسن وجهك يا روحي وريحاني

وسؤل نفسي في سري وإعلاني

وقول بهلول:

حسبي الله توكلت عليه

من نواصي الخلق طراً بيديه

وقول مصعب الكاتب:

وقائل: عذ ببيت الله قلت له

من لي من المرد في الإحرام ينجيني

من لي إذا زاحموني في طوافهم

هناك يبدي ضميري كل مكنون

مالي من المرد إلا الله يعصمني

رب المثاني وطه والطواسين

.. إضافة إلى تنويه عبدالله بن أبي الشيص بكل من الخمس والمفروض من الصوم، بقوله:

أبا سعد بحق الخمـ

ـس والمفروض من صومك

أقلت الحق في النسـ

ـبة أم تحلم في نومك؟!

وتنويهه ببلوغ النفس التراقي، بقوله:

معذب القلـب بالفراق

قد بلغت نفسه التراقي

.. وجنباً إلى جنـب هذه المفردات والجمل القرآنيـة، وشبه القرآنية التي أحسنوا توظيفها، تعبيراً عما يختلج في صدورهم من مشاعر، وأحاسيس، تواكـب مواقفهم المتباينة – نطالع، بين حين وآخر، مدى ولعهم بالأمثال، والمأثورات، ذات الأصول الدينية: القرآنية، والنبوية.. ومن ذلك ما نلحظه في تضمين مصعب الكاتب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم: (الحرب خدعـة) وهو القول الموجـز البليغ، الذي يحمل مغزى المثـل الشعبي[1].. بقوله[2]:

صار على الناس بعد عزته

مثل (قعيس بباب عمته)

وقوله:

تشـبهت بالزهاد والحـرب خدعة

وراءيـت بالتسـبيح والكـف تعقد

وقوله:

قد كنت في النسك قبل اليوم منغمساً

يشوب حبي لهم سمت ابن سيرين

---

(1) قاموس الأمثال العربية التراثية، 223، ومصادره..

(2) ديوان المصابين، 312، 316 – 317 – 321، 326، 333.

.. ومثـل مصعـب، في هذا الشـأن، كمثل خالد الكاتـب الذي يطالعنا بالإشـارات ذات المغـزي الشعبـي المأثور إلى كل من (ضـلال الضب)[1]، و(سحرهاروت)[2]، و(طوق الحمامة)[3]، و(ذنب أبي لهب)[4].. ونحوه، بقوله[5]:

هبني أسـأت وكـان ذنـ
ـبي مثل ذنب أبي لهب
فأنا أتـوب كما أسـأ
ت وكـم أسـأت ولـم تتب

وقوله:

سـتبقى بقاء الضب في اليم أو كما
يعيـش لـدى ديمومة الـبر حوتها
فلـو كان مابـي بالصخـور لهدها
وبالريح ما هبـت وطال خفوتها

وقوله:

أبـا عـلي لقـد طوقتنـي مننـاً
طـوق الحمامة لا يبـلى على القدم

---

(1) قاموس الأمثال العربية التراثية، 66، ومصادره..
(2) ثمار القلوب، 233234 .
(3) ثمار القلوب، 465
(4) قاموس الأمثال العربية التراثية، 21، ومصادره..
(5) شعراء منسيون، 115، 116، 118، 196..

.. وفي الاتجـاه نفسه ينشد أبو حية النميري أبياتاً مدحية في بني العباس، مضمناً إياها تعبيراً مثلياً، بقوله[1]:

وأصبحـت كلهـاة الليـث في فمـه

ومـن يحـاول شـيئاً في فم الأسـد

.. ومواكبـة لهـذا التشكيل الفنـي وسابقيه -نلاحظ مـدى استعانتهم بالألفـاظ والتعبـيرات ذات الارتبـاط القـوي بمنتديـات الأدب، ومجالس العلمـاء، والنقاد، وغيرهم، وفي مقدمتهـا: (الآداب، والإبانة، والإشارة، وبحور الشعر، والبديـع والبيان، والتشبيه، والدراسة، والسؤال، والشعر، والصفات، وطلب العلم، والمقال، والنسب...)، ونحوها[2].

إضافـة إلى ميلهم إلى الاستعانة بـأدوات (المعجم السمعي) من المفردات ذات الـدلالات الصوتية المتباينة، كالغراب صياحه، ونداثه، والحمام نوحه وشجـوه، ومساقطة الحديـث، سره وجهره، ونمه، والدعـاء، والاستماع، والشجو، والغناء، وأصوات المثالث والمثاني، والقهقهة، وغيرها مما يتضمنه قول أبي حية[3]:

ألا يا غراب البين فيم تصيح

فصوتك مشنوء إلى قبيح؟!

وقوله:

---

(1) قاموس الأمثال العربية التراثية، 96، ومصادره.. وينظر شعر أبي حية، النص (11)

(2) ديوان المصابين، ص1516، 35، 64، 119، 152، 214، 215، 220، 223، 225... وغيرها..

(3) شعر أبي حية، النصوص: (10، 24، 28، 38، 44..)

يهيج لي نوح الحمام صبابة

ونوح مرنات شجتها الجنائز

وقوله:

غراب ينادي يوم لا القلب عقله

صحيح ولا الشعب الذي انصاع ملتقى

وقوله:

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى

سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

وقوله:

فوالله لا أنساك زينب ما دعت

مطوقة شجواً على غصن

وقول أبي الشيص[1]:

إذا رفعت بنو الأنساب صوتاً

أعادوا الجهر بالأنساب سرا

---

(1) ديوان المصابين، 211.

وقول مصعب[1]:

بكل فتى يميل إلى الملاهي

وأصوات المثالث والمثاني

وأطيار إذا غنتك أغنت

عن ابن المارقي وعن بنان

تجاوبها إذا ناحت بشجو

بقهقهة القواقز والقنان

وقول خالد[2]:

كيف نم العذول أن خنت عهدا

لم أجد من تحملي فيك بدا

وقوله:

أحادث نفساً ترتقي كل ساعة

فأحبسها بين الترائب والنحر

وقوله:

ما تصل الألسن في الـ

ـوصف إلى أكثره

---

(1) ديوان المصابين، 330.

(2) شعراء منسيون، 125، 144، 146، 182..

وقوله:

والله ما نـمـت بســري عبـرتـي

إلا وقـد ذهــب العــزاء فبانــا

أدعو الحبيب فليس يسمع دعوتي

فــأرده فيزيدنــي هجـرانــا

.. وإثـراء لحيوية صورهـم الشعريـة المختلفة، وتقويـة لآثارها المرجوة في متلقيهـم -نراهـم يلجـأون إلى الاستعانة بالألوان، ومـا يوحي بها من مفـردات، تأتي صراحـة، أو ضمناً، تعبيراً عن إحساس ما، يختلج بصدر صاحبه، أو شعور يمور بجوانحه.. ومن أكثر الألوان تواتراً في أنحاء متفرقة من صورهم: اللون الأبيض، مزاوجة مع الأسود، أو الأحمر، وغيره، ومن أمثلة ذلك ما نطالعه في إنشادنا قول خالد[1]:

ليتها أخطأت مكان السواد

وأصابت مكان غير السواد

وقوله:

إذا ما بـدا وجهه فــي الظلا

م عاد به للعيون النهـار

---

(1) شعراء منسيون، 128، 134، 143، 147.

وقوله:

إلفان يكتحلان بالسهر

بليا من الرقباء بالحذر

وقوله:

طلعت حين بدا بدر الدجى

فيراها الناس شمساً وقمر

وقوله:

والليل وقف علينا ما يفارقنا

كأنما كل وقت منه أوله

وقوله أبي حية[1]:

حوراء تسحب من قيام فرعها

فتغيب فيه وهو جثل أسحم

فكأنها فيه نهار مشرق

وكأنه ليل عليها مظلم

وقوله:

غراب كان أسود حالكياً

ألا سقيا لذلك من غراب!!

(1) شعر أبي حية، النصوص: (4، 7، 18، 29، 38)..

وقوله:

ليالي رأسي غـراب غداف

فطيره الشيب عني فطارا

وقوله:

وبدريـن بالـداري كل عشـيـة

وحـم المـداوي كل أسـحم فاحـم

جنباً إلى جنب قوله[1]:

لبســن الموشي العصب ثم خطت به

لطـاف الخطـى بدن عظـام المآكم

وقول خالد[2]:

أمـا ونسـيم الياسـمين منضـداً

على وجنـة فيها الشـقائق والورد

وقوله:

يضاحك عطف صدغيه الـ

بيـاض عــلى تـــورده

وقوله:

دل على شمس الضحى نوره

ودلت الشمس على الظل

---

(1) شعر أبي حية، النص: (38)

(2) شعراء منسيون، 122، 128، 174..

.. أمـا اللـون الأحمر فقد استعملـه هذان الشاعـران، وغيرهما بكثرة، منفرداً، أو متداخلاً في غيره من الألوان كالاصفرار، والخضرة، ونحوها.. مشيرين إليه بلون الدم، أحيانـاً، والتورد، والتفاح، والحور، أو التقرح، أو الوهج، أحياناً أخرى، كما نلحظ في قراءتنا قول أحمد ابن عبدالسلام[1]:

أبكـي عليـك وما أنفك مـن حـرق

يـا لابسـاً حسـناً للقلـب فتانـا

تفـاح خـدك محمـر عـلى يقـق

ترعـى العيـون بـه دراً ومرجانـا

وقول خالد[2]:

كبد شفها غليـل التصـابي

بين عتب وسخطة وعذاب

كل يوم تدمي بجرح من الشـو

ق ونوع مجـدد من عذاب

وضياء الحجـاب في سالفات

باحمرار النعيم مختضبـات

---

(1) ديوان المصابين، 5.

(2) شعراء منسيون، 112، 118، 126.. وينظر أمثال هذه (الصور اللونية) بالمصدر نفسه، ص 120، 129، 132، 134..

وقوله:

أيـن مـا كنـت مـن تـورد خديـــ

ـك مصوناً عـــن أعين لا حظات؟!

وقوله:

رخــي الطرف مــن وســن الرقــاد

قريــح الجفــن مــن ألــم الســهاد

وقوله:

عــلى أن قلبي ينشــف الدمــع حره

وأين بقايــا الدمع في وهــج الجمر

.. ونلاحـظ -في تأملنا بجوانب هذه الصـور السمعية واللونية- مدى استفـادة أصحابها من دلالات كل مـن المسموع، والمرئي، جنباً إلى جنب (الحركة)، و(الفعل)، و(رد الفعل) المنبعث من كل من التهييج، والانصياع، وسقـاط الحصـي، والرفـع والإعـادة، والميـل، والتجـاوب، والمحادثة، والوصف، والدعاء، والخطأ، والصواب، والظهور، والعودة، والاكتحال، والابتـلاء، والطلـوع، والاستتـار، والتنضيـد، والمضاحكـة، والتصون، والاستـدلال، والسحـب، والتغييـب، والتطهير، واللباس.. ونحوه، مما تطالعنا دلالاته المتوالية على صفحات صورهم الشعرية المشار إليها..

كمـا يثير انتباهنا خلطهم بـين مكونات بعض هذه الصـور الشعرية، الحركيـة، واللونيـة، والسمعيـة، والإيحائية، التشخيصيـة المختلفة، وبين بعض مكونات الروائح، والمشمومـات، وبعض المأكولات والمطعومات،

والمشروبات، مما نلحظ أمثلته في مطالعتنا قول أبي حية[1]:

حديث -إذا لم تخش عيناً- كأنه

إذا ساقطته الشهد بل هو أطيب

وقوله:

حياء وبقيا أن تشبع نميمة

بنا وبكم إلا ابتلاع العلاقم

رمين فاقصدن القلوب ولن تري

دماً مائراً إلا جوى في الحيازم

وقوله:

إذا ربدة من حيث ما نفحت به

أتاه برياها خليل يوصله

وقوله:

ولما أبت إلا التواءً بودها

وتكديرها الشرب الذي كان صافيا

.. جنباً إلى جنب قول خالد[2]:

جرعتني غصص العتاب

وجزت بي حد التصابي

---

(1) شعر أبي حية، النصوص: (4، 28، 50، 52).

(2) شعراء منسيون، 112، 116، 125، 139، 149.

وقوله:

أنت قوتي فما يضرك لو كا

ن لمن أنت قوته منك قوت؟!

وقوله:

عين هذا مما رأيت فذوقي

واصبري للذي جنيت فبعدا

وقوله:

خيال من المسك والعنبـر

سبانـي بطرف له أحور

وقوله:

عشـية حيائـي بـورد كأنـه

خـدود أضيفت بعضهـن إلى بعض

وناولنـي كأسـاً كأن رضابهـا

دموعي لمـا صد عن مقلتي غمضي

وتكشف هـذه الصور الشعرية وسابقاتها عن مـدى نجاح أصحابها في تشكيلها اعتمـاداً على ما أسلفنا الإشارة إليه مـن عناصر اللون، والحركة، والمسموع، والمرئـي، والمطعوم، والمشروب، والمشمـوم.. وارتكازاً على ما نلحظـه من (بناء استعاري)، و(كنائي) كان لـه الآثار الفعالة في تعضيد رغبات أصحابها في البوح بجانب، أو آخر، من مشاعرهم، وأحاسيسهم

التي تواكب مواقفهم الاجتماعية والنفسية، والفنية المتباينة، وخاصة ما نلحظه في تأملنا بكل من (تطويق المنن، وغراب البين، ومحادثة النفس، ونم العبرات، وعودة النهار، ووقف الليل، ومضاحكة العطف، ولباس القلوب، وقصدها، وتفاح الخدود، واحمرار النعيم، وتكدير الشرب، وغصص العتاب، وتذوق العين، وسرقتها، وصبرها، وبقاء الضب، وديمومة البر، وتهدم الصخر، ولهاة الليث، وشجو الجنائز، وانصداع الشعاب، والاكتحال بالسهر، والتغيب في الشعر،...) وغيره مما نطالع أمثلته في قراءتنا كلاً من قول عبدالله بن أبي الشيص[1]:

لعمرك ما سررت بسر من را

ولكني عدمت بها السرورا

رأيت بها القصور مشيدات

على قوم يشينون القصورا

إذا قيل: (البسوا) لبسوا المخازي

....

وقوله:

أكرم بملحود يداني إلى

وجهك يا ابن الكرم المحص!!

---

(1) ديوان المصابين، 212 – 213، 214.

.. وإضافـة إلى هاتـين الصورتـين الاستعاريتين/ الكنائيتـين المتباينتين، يطالعنا خالد الكاتب بعشرات الصور الشعرية المرتكزة على أسس راسخة من الاستعارة، والكناية.. ومنها قوله[1]:

كتبت إليك بماء الجفون
وقلبي بماء الهوى مشرب
فكفي تخط وقلبي يمـل
وعيناي تمحو الذي أكتب

وقوله:

ألبسـته السـقم حتـى مـل عائده
يا سـالم القلب من شـوق يكابده

وقوله:

غداً أيها القلـب ما تصنع
أتـصـبر للـبـين أم تجزع؟!

ومواكبـة لشعـراء عصرهم يعـزف الشعـراء الموسوسـون في تشكيلهم صورهـم الشعرية علـى وتر (الإشارة) التـي نراها بإيحاءاتهـا، ودلالاتها الفنية على لسان جعيفران الذي شكل إحدى صوره الشعرية لمحبوبته التي ودعته مفارقة، مستوحياً من الإشارة الجسمية، والإيماءات بالعيون، وحياً، بوصفهـا عناصر فنية فعالة، تعضد جوانب مـن أدواته التشكيلية الأخرى،

---

(1) شعراء منسيون، 109، 121، 152..

وتجسد براعة بعض المحبين، والعشاق في التغطية على محاولات الوشاة، والعذال الدءوب؛ للتفريق بينهم، وبين محبوباتهم، واستنطاق بعض أجزاء الجسم؛ للتعبير عما يدور بمخيلته، وما يختلج في صدره، ناجحاً في إبراز عناصر الحركة المصاحبة، واللون، لون الخضاب، والعينين، وغيرهما، والتوتر الكامن فيهما، وذلك بتعريجه على كل من الجمل الفعلية المعتمدة على الأفعال الماضية، كناية عن إحساسه المرور، بمضي أيام نشوته، ولذاذته، وذهابها أدراج الرياح، وخاصة فيما نطالعه من متابعة كل من قوله: (أبدت، تولت، وخافت، وودعت، وهمت، وما نطقت، ونطقت، وأومأت، وختلت..) وما ينبجس من كل منها من دلالات مختلفة، تجسد حالته النفسية إضافة إلى إشارته الموحية إلى الأطراف المخضبة، واستشعار أوار الخوف وحرقة البين، ووحي العينين، وختل الرقيبين، بقوله[1]:

أبدت على البين أطرافاً مخضبة

لما تولت وخافت حرقة البين

وودعتني وما همت وما نطقت

وإنما نطقت وحياً بعينين

بلى فلو أومأت نحوي بإصبعها

إيماءة ختلت عنها الرقيبين؟!!

---

(1) شعر جعفر، 122.

وفي موضـع آخـر من شعره -نـراه يبني بعضـ صور الشعريـة اعتماداً علـى (المقابلة) التي تظهر المعنى، وتجسـد الأحاسيس، وتبرز دلالاتها أمام المستمعين والقراء، قائلاً:

يموت هـذا الـذي تـراه

وكـل شيء لـه نفاد

لـو كـان شيء لـه خلود

خلد ذا المفضل الجواد!!

فهو يقابل بـين الموت والخلود، متمنياً لو أتيـح لممدوحه أن يخلد، على عكس ما يراه من الأشياء المحيطة به، مما يصيبها النفاد، معرجاً على المرادفة بين كل من الموت والنفاد، من جهة ثانية، والأسلوبين الخبري والإنشائي في كل من البيتين، على حدة، من جهة أخرى.

أمـا ماني فقد وصف معلماً من معالم محبوبته، التي تيمت فؤاده، وخلبت لبـه، وقد بلغت من الترف والنعيم، والبذخ مبلغـاً عظيماً، أدى به إلى عقد لسانه، وكفـه عن الكلام المتعارف عليه باللسان، إلى كلام آخر يباينه، كما وكيفـاً، مما يأتي وحيـاً وإيماءً بحركات جسمه، وإشـارات أعضاء جسده، وفي مقدمتها جفنا عينيه عينيها، الواهنين الساحرتين، بقوله[1]:

ومترف عـقد النعيـم لسانه

فكلامـه وحـي بإيماء

---

(1) شعر محمد، 159.

وكأنما نهكت قوى أجفانه

بالراح أو شيبت بإغفاء

وشـــكل صورة شعرية أخرى، نزع فيها إلى الكشف الشعري عن جانب مـن إفضائهما (هو ومحبوبته) بطرفيهمـا، ومناغاتها بعضهما إلى بعض في سرعة متواترة، وتنازع واقتصاص، متبادلين، وشكوى، وضراعة، ومعاناة، ولوعة، وجوى، ومرارة قائلاً[1]:

دعا طرفـه طرفي فأقبـل مسرعـا

وأثر فـي خديـه فاقتص من قلبي

شـكوت إليـه ما لقيت مـن الهوى

فقال: على رسل؛ فمت, فما ذنبي؟!

ويبدو في تشكيله صورة ثالثة وقد ذاب في الطبيعة من حوله ذوباناً؛ فجمع بـين (الذات) و(الآخر)، في آن، دون إحساسنا بوجود هوة، أو مساحة من فراغ بينهما، وذلك بوصفه إحـدى السحب السود، مبيناً أثرها في نفسه، وقد عانت ويلات تغير محبوبته/ محبوبه، وصدودها/ صدوده، عنه، بقوله[2]:

لا تظـن الـــذي جرى

مطـراً كـــان ممطـرا

إنـــمـــا ذاك كلـه

دمـــع عيني تحـدرا

---

(1) شعر محمد، 171.

(2) شعر محمد، 164.

وتــــوالـــت غـيـومـهـا

مــن هـمـومـي تفكرا

هـكـذا حـال مـن يـرى

مـــن حـبـيـب تـغـيرا

.. وفي صورة رابعة نراه يتخذ من (السرد القصصي) المكثف بمبادئه المتعارف عليها في عصره، إطاراً فنياً ومادة تشكيلية، يعبر بها عن أحواله المتباينة، عاشقاً، وقد جاءه كتاب، ذات يوم من أحد أعزائه/ عزيزاته، تخبره فيه أنها مشوقة لوصاله، وتواقة لقربه؛ مما أشعره بفيضان عميق من الغبطة والسرور، عجز عن إخفاء مظاهرهما عن أنظار المحيطين به، ممن دفعتهم غيرتهم منه، وحسدهم إياه إلى استلاب هذا الكتاب منه، خلسة، منغصاً عليه لحظات صفوه، وهنائه قائلاً[1]:

وعـاشـق جـاءه كتاب

فـزال عنه بـه العذاب

وقال: قد خصني حبيبي

بنعمة ما لها ثواب

فحق لـي أن أتيه تيهاً

يقصر عن وصفه الخطاب

حتى رمته بصرف دهـر

(1) شعر محمد، 173.

عيـون حســاده الصلاب

فاستل منه الكتاب واش

بحيـلة شأنها عجاب

فليس يهنيه طيب عيش

ولا طعـام ولا شــراب

وفي موضع آخر من شعره نراه يتسامى إلى تشكيل إحدى الصور الشعرية الكلية، أو شبه الكلية، الممتدة، لمحبوبته، جمع في أجزائها بين شتي (العناصر المرئيـة، واللونية، والسمعية، والحركية، والمادية والمعنوية)، التي تمتد آفاقها أرضاً، وجواً، وبحراً، وفكراً، وتخيلاً، وحساً، قائلاً[1]:

وكيف صبر النفس عن غـادة

تظلمها إن قلت: طاووسة

وجرت إن شبهتها بانـة

في جنة الفردوس مغروسة

وغير عدل إن عدلنـا بـها

جوهرة في البحر مغموسة

جلـت عن الوصف فما فكرة

تلحقها بالنعت محسوسة

---

(1) طبقات الشعراء، 385

.. وتبين لنا هذه الصورة وسابقاتها -إلى أي مدى نجح أصحابها في بناء لغة شعرهم، وصوره، بناءً فنياً يواكب روح عصرهم، وما درج عليه أبناؤه من تشكيل الصور الشعرية على أسس راسخة من الموهبة الفنية، والذوق الأدبي الموروث، والثقافة الدينية، وما يتصل بها من عناصر فكرية، واجتماعية.. وغيرها..

وبعد..

فقد حاولت، في الصفحات السابقة، قدر جهدي، دراسة شعر هؤلاء الشعراء، ملاحظاً في ختامها، أنهم، في مضامين شعرهم، قد تأثروا بجانب، أو آخر، مما عانوا منه، أو نسبوا إليه من وسوسة، مضطرين، أو مختارين لسبب، أو آخر، الاكتفاء، في أكثر ما وصل إلينا من شعرهم بالإنشاد الشعري أبياتاً، ونتفاً، ومقطوعات، وقصائد قصيرة.. موفرين لها، قدر طاقاتهم، من (الايقاعية) التي واكبت روح عصرهم، أوزاناً وقوافي، ومماثلة صوتية، ونحوها من روافد الموسيقى الداخلية، التي تجاوزت حدود الأوزان والقوافي إلى غيرها من أدوات التشكيل الصوتي، والايقاعي التي عزف على أوتارها معاصروهم..

وفي بنائهم للغتهم وصورهم الشعرية لاحظت أنهم، بالقدر الذي تأثروا فيـه، سلباً[1]، وإيجاباً، بعلتهم، ومـا واكبها من أعراض المرض/ الوسوسة،

---

(1) يمكننا النظر إلى بعض ما تردد على صفحات أشعار بعضهم من مفردات، أو جمل غير مبنية البناء اللغوي السائد في عصرهم بوصفها أثراً سلبياً متعدد الاتجاهات، وتعبيراً عن المعاناة، أو العجز، أو عدم الاكتراث بالأعراف اللغوية، وغيرها مما نجد بعض دلائله بجنوح بعضهم إلى استعمال (نون الوقاية)، بعد (الفعل المضارع) المختوم بالنون، بعد واو الجماعة، مما نطالعه في قول جعيفران، أو صباح الموسوس:

رأيت الناس يدعوني   بمجنون على عمد

وقوله:

رأيت الناس يرموني   أحياناً بوسواس

ولو كنت أخا مال   أتوني بين جلاسي

يحيوني ويحبوني   على العينين والراس

ويدعوني عزيزاً غي   ر أن الفقر إفلاسي

(شعر جعفر، 98، 104، والفاضل، 256 – 257).

ومثل هذا الحذف الاضطراري؛ لمراعاة صحة الوزن مما نلحظه في قراءتنا قول جعيفران (شعره، 131):

سوف أهجوك إن بقيت بشعر   ليس إن قوموه فلسين يسو

فقـد حـذف (الألف) من (الفعـل المضارع): (يساوي) وقلب ضمة يـاء المضارعة كسرة، مراعاة لصحة الوزن وتـرولاً بلغته إلى أدنى درجات الشعبية، في عصره.

وسار على عكس ذلك في موضع آخر من شعره، مضطراً إلى إقامة صحة الوزن، بقراءة بعض الأفعال المسندة إلى تاء الفاعلة وهاء المفعولية: في: (ولدتهـ) و(خربتهـ) و(أكلتهـ)، مزيدة ياء بين التاء والهاء المشار إليهاء بهذا الصدد، بقوله:

أم سعيد لم ولدتيه   ملوثاً بالكبر والتيه!!

ليتك إذا جئت به هكذا   حين خربته أكلتيه!!

(شعره، 128)

ومـا لاحظتـه، في قراءتي أشعارهم، ميل بعضهم؛ تأثراً بالعلة، أو غيرهـا، إلى التخفيف في نطق بعض المفردات، مسايرة للوزن، كما نلحظ في قراءتنا كلا من قول سعدون مخففاً همزة (القرآن):

تالياً للقران يتلو المعاصي

وقول عبدالله بن أبي الشيص مخففاً (رأي):

لعمرك ما سررت بسر من را   ولكني عدمت بها السرورا

قوله:

لعن الله سر من را بلاداً   ورماها بالقحط والطاعون!!

وقوله بهلول، مخففاً (المرآة):

أضمر أن يأخذ المراة لكي   ينظر تمثاله فأدناها

وقوله، مخففاً (تبرأ)، و(الصحراء) ومائلاً إلى اختيار بعض المفردات الدارجة مثل (تخري)، كما فعل جعيفران من قبل:

كم تمرض وكم تبرا   وكم تأكل وكم تخري

وكم تنقل من بطني   بمن بطني إلى الصحرا

ومثله أبو حية الذي استعمل الفعل (باض) مع (الشيب (قائلا: (شعره، النص رقم(34):

وصد الغانيات البيض عني   وما إن كان ذلك عن تقالي

رأين الشيب باض على لداتي   وأفسد ما على من الجمال

أما عبدالله بن أبي الشيص فقد اضطر إلى حذف (الألف) من الفعل (سأل) بقوله:

لسلك بحق الراح والرشا الذي   له في الحواشي طرفه أبدا سحر

ولا استبعد تأثر بهلول بجانب، أو آخر من ذلك في اضطراره إلى تكرار لفظ الجلالة (اللهـ) ثلاث مرات في قوله:

توكلت على الله   وما أرجو سوى الله

وما الرزق من الناس   بل الرزق من الله

(ديوان المصابين، 130، 212، 224، 38، 209، 37..)، وغيرها..

والجنون، بقدر ما استفاد بعضهم، بقصد، أو بغير قصد، من عملهم بدواوين الكتابة والإنشاء، وجنح بعضهم الآخر إلى آفاق ظليلة حانية من التصوف والزهد، وما نتج عنها -جميعاً- من أبنية لغوية وتشكيلية، عبرت عن مدى وعيهم الفني المتنامي بروح عصرهم، فجاءوا إلى الشعر، وقد (مروا على رؤوسهم ورسمهم المعهود قبل أن يوسوسوا)، على حد قول ابن المعتز[1] الذي أشرنا إلى فحواه في صدر هذه الدراسة..

وتبقى فرص تأكيد صحة هذه النتائج، أو نفيها، أو تعديل جانب منها مرهونة بالوقوف على صفحات مطوية أخرى من أشعار هؤلاء الشعراء، أو معاودة النظر إليها بمنهج آخر أو رؤية أخرى مغايرة.. وذلك ما نرجوه في الأيام المقبلة، بعون الله، وفضله،

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين..

(1) طبقات الشعراء، 384385..

مصادر البحث ومراجعه

الكتب:

- المصحف الشريف (مصحف المدينة النبوية)، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2001م.
- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ)، دار الغد العربي، القاهرة، بدون تاريخ: (د. ت)
- أخبار أبي تمام: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت 335هـ)، حققه / خليل عساكر وزميلاه، م. التجاري للطباعة، بيروت، د. ت.
- اصطلاحات الصوفية: عبدالرزاق بن أبي الفضائل الكاشاني (ت 730هـ)، حققه / د. عبدالخالق محمود، دار المعارف بمصر، 1984م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي (ت 1976م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط 13، 1998م.
- الأغاني: أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني (ت 356هـ)، مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.
- إلى روح الأستاذ الدكتور مصطفي مندور في ذكرى رحيله: إشراف قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة المنيا، دار التيسير للطباعة والنشر، المنيا، 2006م.
- أنس المسجون وراحة المحزون: صفي الدين على بن البحتري الحلبي (ت بعد 625هـ)، تحقيق / محمد أديب الجادر، دار النشائر، دمشق، 1997م.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 754هـ)، دار الفكر، بيروت، 1992م.
- بلاغة الإمام موسي الكاظم: أبو جعفر الكعبي، دار الصفوة، ودار الهادي، بيروت، 2004م.
- البيان والتبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق وشرح / عبدالسلام هارون، م. الخانجي، القاهرة، ط 5، 1985م.
- تاريخ التراث العربي: د. محمد فؤاد سزكين،، نقله إلى العربية / د. عرفة مصطفي، م. جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض، 1983م.
- تاريخ العباسيين: حسين بن محمد ابن وادران (ت بعد 1172هـ) تقديم وتحقيق / د. المنجي الكعبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي (ت463هـ)، م. السلفية، المدينة المنورة، د.ت.
- تجريد الأغاني: محمد بن سالم بن نصر الله ابن واصل الحموي (ت 697هـ)، تحقيق / طه حسين وإبراهيم الإبياري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1997م.
- التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون (ت 562هـ)، تحقيق / د. إحسان عباس، م. معهد الإنماء العربي، بيروت، 1983م.
- التفسير القيم: ابن القيم الجوزية، جمعه / محمد أويس، وحققه / محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.

- التفسير الكبير: فخر الدين بن ضياء الدين محمد الرازي (ت 604هـ)، دار الفكر، بيروت، 1981م.
- تفسير مجاهد (أبي الحجاج، ت 104هـ)، قدمه وحققه / عبدالرحمن السورتي، م. المنشورات العلمية، بيروت، د. ت.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن: أبو الحسن الشريف محمد بن الحسين الرضي (ت 406هـ)، تحقيق / د. علي مقلد، دار مكتبة الحياة بيروت، 1986م.
- التسير في علوم القرآن: عبدالعزيز بن أحمد الدميري الديريني (ت 694هـ)، القاهرة، 1893م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي (ت 42هـ)، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، 1985م.
- ثمرات الأوراق: أبو بكر تقي الدين ابن حجة الحموي (ت 837هـ)، صححه، وعلق عليه / محمد أبو الفضل إبراهيم، م. الخانجي، القاهرة، 1971م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت 671هـ)، مراجعة / صديقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1994م.
- حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر: أبو بكر محمد بن محمد ابن عاصم الأندلسي (ت 829هـ)، تحقيق / د. عفيف عبدالرحمن، دار المسيرة، بيروت، 1981م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت 430هـ)،م. الخانجي، القاهرة، ودار الفكر، بيروت، 1996م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، شرح / عاصم شعيتو، دار الهلال، بيروت، 1987م.
- الدر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت 911هـ)، دار الفكر، بيروت، 1983م.
- الديارات: أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي (ت 388هـ)، تحقيق / كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م.
- ديوان ابن الرومي (أبي الحسن علي بن العباس، ت 284هـ)، تحقيق / د. حسين نصار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1976م.
- ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت 350هـ)، ترتيب وتحقيق / عادل عبدالجبار الشاطي، م. لبنان ناشرون، بيروت، 2003م.
- ديوان الأعشي الكبير (ميمون بن قيس، ت 7 .هـ)، شرح وتعليق / د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع بيروت، د. ت.
- ديوان الفضل بن العباس اللهبي (ت 1 .هـ)، صنعه وحققه / مهدي عبدالحسين النجم، دار المواهب، بيروت، 1999م.
- ديوان رؤبة بن العجاج التميمي (ت 145هـ)، اعتني بتصحيحه وترتيبه / وليم بن الورد البروسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.
- ديوان محي الدين ابن عربي (أبي عبدالله محمد بن علي، ت 638هـ)، شرح وتقديم / نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط 2، 2003م.

- ديوان المصابين (شعر الموصوفين بالمجانين والموسوسين في العصر العباسي): عبدالمجيد الإسداوي، مكتبة عرفات، الزقازيق، 2002م.
- ذخيرة علوم النفس: د. كمال دسوقي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة..
- ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة: أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد الجماعيلي (ت620هـ)، إعداد / أحمد حسن جابر، هدية مجلة (الأزهر)، القاهرة، ذو القعدة 1404هـ.
- رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق والزهد: سيد بن حسين العفاني،م. معاذ بن جبل، بني سويف، 2000م.
- سمط اللآلي شرح أمالي القالي: أبو عبيد الله بن عبدالعزيز البكري الأونبي (ت 487 هـ9، تحقيق / عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، (مصورة عن ط. لجنة التأليف، بالقاهرة).
- سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد، ت 275هـ)، تصحيح / محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت
- سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث، ت 275هـ)، دار الحديث، بيروت، 1969م.
- سنن النسائي (أبي عبدالرحمن بن شعيب، ت 303هـ)، بشرح السيوطي، عناية / عبدالفتاح أبو غدة،م. المطبوعات الإسلامية، حلب، 1994م.
- شرح مقامات الحريري: أحمد بن عبدالمؤمن الشريشي (ت 620هـ)، تحقيق / محمد أبو الفضل إبرهيم،م. العربية الحديثة، القاهرة، 1969م.
- شعر آل أبي أمية الكاتب مضامينه وخصائصه الفنية: عبدالمجيد الإسداوي، دار حراء، المنيا، 1995م.
- شعر أبي حية النميري، جمع وتحقيق / رحيم ضخي التويلي، مجلة (المورد)، العراق، جـ4 / 4 / ربيع 1395 هـ / 1975م.
- شعر أحمد بن يوسف الكاتب: عبدالمجيد الإسداوي، دار التيسير، المنيا، 2003م.
- الشعر العباسي تجلياته وبناؤه التشكيلي: عبدالمجيد الإسداوي، مكتبة عرفات، الزقازيق، 2002م.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والموضوعية: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1978م.
- شعر جعفر بن على الأنباري الشهير بجعيفران الموسوس: عبدالمجيد الإسداوي، دار التيسير، المنيا، 2003م.
- شعر محمد بن القاسم المصري الشهير بماني الموسوس: عبدالمجيد الإسداوي، دار التيسير، المنيا، 2003م.
- الشعر والشعراء: أبو محمد عبدالله بن مسلم القتبي (276هـ) تحقيق / أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط 3، 1977م.
- شعراء الصوفية المجهولون: د. يوسف زيدان، (كتاب اليوم)، م. أخبار اليوم، القاهرة، العدد (319)، مارس، 1991م.
- الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري: حسين صبيح العلاق، م. الأعلمي، بيروت،م. التربية، بغداد، 1975م.
- شعراء بغداد منذ تأسيسها حتى اليوم: على الخاقاني، م. أسعد، بغداد، 1962م.

- الشعراء وإنشاد الشعر: على الجندي، دار المعارف بمصر، 1969م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، تحقيق / أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 3، 1984م.
- الصحة النفسية والعلاج النفسي: د. حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1978م.
- الطب النفسي: د. عماد الدين سلطان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.
- الطب النفسي المعاصر: د. أحمد عكاشة، م. الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998م.
- طبقات الشعراء: عبدالله بن المعتز العباسي (ت 396هـ)، تحقيق / عبدالستار فراج، دار المعارف بمصر، ط 4، 1981م.
- طبقات الصوفية: أبو عبدالرحمن محمد بن الحسن السلمي (ت 412هـ)، تحقيق / نور الدين شريبة،م. الخانجي، القاهرة 1969م.
- الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار): أبو المواهب عبدالوهاب بن أحمد الشعراني (ت973هـ)، ضبطه، وصححه / خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- العروض وإيقاع الشعر العربي محاولة لإنتاج معرفة علمية: د. سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.
- العقد الفريد: أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، تحقيق / محمد سعيد العريان،م. الرياض الحديثة، الرياض، د. ت.
- عقلاء المجانين: أبو القاسم ابن حبيب النيسابوري (ت 406هـ)، تحقيق / مصطفى عاشور،م. ابن سينا، القاهرة، 1989م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو على الحسن بن على ابن / رشيق القيرواني (ت456هـ)، حققه / محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط 5، 1981م.
- عيون التواريخ (وفيه من سنة 219250هـ): محمد بن شاكر الكتبي (ت 764هـ)، حققه / د. عفيف نايف حاطوم، دار الثقافة، بيروت، 1996م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت 72هـ)، تحقيق / إبراهيم عوض عطوة، م. الحلبي، القاهرة، 1962م.
- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة: أبو إسحاق جمال الدين محمد الوطواط (ت718هـ)، دار صعب، بيروت، د. ت.
- الفاضل في صفة الأدب الكامل: أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (ت 325هـ)، تحقيق / د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.
- فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي، تحقيق / د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.
- في أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر: د. محمد يونس عبدالعال، دار حراء، المنيا، 1986م.
- قاموس الأمثال العربية التراثية: د. عفيف عبدالرحمن، م. لبنان ناشرون، بيروت، 1998م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

- الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي المبرد (ت 284هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جار الله محمود الزمخشري (ت 528 هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- الكشكول: بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ت 1031هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): علاء الدين على بن محمد (ت 725هـ)، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، 1997م.
- لطائف الإشارات: أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري (ت 465هـ)، حققه / د. إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م.
- لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق: أبو المواهب الشعراني، عالم الفكر، القاهرة، ط2، د. ت.
- مبادئ الصحة النفسية: د. محمد عبدالظاهر الطيب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت501هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.
- المذاكرة في ألقاب الشعراء: أبو المجد أسعد بن إبراهيم النشابي (ت 657هـ)، تحقيق / شاكر العاشور، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988م.
- المسند: أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ت.
- مصارع العشاق: أبو محمد جعفر بن أحمد ابن السراج (ت 500هـ)، دار صادر، بيروت، 1958م.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، ت 516هـ)، ط. بهامش (تفسير الخازن)، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- معجم السمع والمسموعات: سليمان فياض،م. لبنان ناشرون، بيروت، 2000م.
- معجم الشعراء: أبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق / عبدالستار فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003م.
- معجم الشعراء العباسيين: د. عفيف عبدالرحمن، جرس برس، ودار صادر، بيروت، 2000م.
- المعجم العربي الأساسي (لاروس): المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1999م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط. المجمع، 1988م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- المعجم الموسوعي في علم النفس: نور بيرسيلامي، ترجمة / وجيه أسعد، وزارة الثقافة، دمشق، 2001م.
- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفي وزملاؤه، المكتبة الإسلامية، استانبول، د. ت.
- المفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق / صفوان داودي، دار القلم، دمشق، د. ت.

- المنتخب والمختار في النوادر والأشعار: ابن منظور، تحقيق / د. عبدالرزاق حسين، دار عمار، الأردن، وم. الذهبي بالقصيم، 1994م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت 597هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1937م.
- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: د. عبدالمنعم الحفني،م. مدبولي، القاهرة، 1978م.
- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: د. فرج عبدالقادر طه وزملاؤه، دار سعاد الصباح، القاهرة والكويت، 1994م.
- موسيقي الشعر: د. إبراهيم أنيس،م. الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م.
- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي،م. الآعلمي، بيروت، ط5، 1983م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي (ت 874هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: العباس بن علي نور الدين الحسيني الموسوي المكي (ت1180هـ)، م. الحيدرية، النجف، 1967م.
- نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر: الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الصنعاني (ت 1121هـ)، تحقيق / كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1999م.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)، عناية / جاكلين شوبله وعلي عمارة، دار النشر فرانز شتاينر، شتوتغارت، 1991م.
- الوزراء والكتاب: أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت 319هـ)، حققه / مصطفي السقا وزميلاه، م. الحلبي القاهرة، ط 2، 1980م.
- الوسوسة الأسباب والآثار والعلاج من المنظور الإسلامي: فؤاد بن سراج عبدالغفار، دار الفضيلة بالرياض، ودار الهدي النبوي بالمنصورة، 2004م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي شرح وتحقيق / د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

دوائر المعارف والمجلات:

- دائرة المعارف الإسلامية: بهلول المجنون: ماكدونالد، ترجمة / إبراهيم زكي خورشيد وزميليه، دار الشعب القاهرة، د. ت.
- مجلة (آفاق الثقافة والتراث): العلماء المنسوبون للأنبار: د. خالد المشهداني، مركز جمعة الماجد، دبي، السنة التاسعة، العدد (34) ربيع الآخر 422 هـ / يوليو 2001م.
- مجلة (العربي) الكويتية: أبو حية النميري دون كشوت عربي قبل زميله الإسباني بقرون: عبدالستار الجواري، العدد (24)، تشرين الأول / أكتوبر، 1960م.


الناشيء

تحاول صفحات هذا الكتاب من خلال المنهج الوصفي التحليلي دراسة شعر الموسوسين في العصر العباسي، من حيث مضامينه الشعرية وتشكيله الجمالي.

فنجد شعراء هذا العصر قد تأثروا بجانب أو آخر بما عانوا منه أو نُسبوا إليه من وسوسة، وجنح بعضهم الآخر إلى آفاق ظليلة حانية من التصوف والزهد. وقد اكتفوا بالإنشاد الشعري أبياتاً، ونتفاً، ومقطوعات، وقصائد قصيرة، وفق أبنية لغوية وتشكيلية، عبرت عن مدى وعيهم الفني المتنامي بروح عصرهم. وموفرين لها قدر طاقاتهم من (الإيقاعية) أوزاناً وقوافي، ومماثلة صوتية، ونحوها من روافد الموسيقى الداخلية، التي تجاوزت حدود الأوزان والقوافي إلى غيرها من أدوات التشكيل الصوتي، والإيقاعي التي عزف على أوتارها معاصروهم.